صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني في العراق

إعداد

وضحا محمد عواد الحلاحلة

إشراف

الدكتورة عصمة غوشة

٨٤١,٦٢٠٩

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية
كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب ١٩٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿لاَ يكلّفُ اللهُ نفساً إلّا وسعَها لها ما كَسَبتْ و عليها ما اكتسبت ربَّنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تحمل علينا إصْراً كما حملْتَه على الذين من قبلنا ربنَّا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنّا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢/٨/١٩٩٨م .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١- الدكتورة عصمة غوشة "مشرفا"	.....
٢- الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن "عضوا"	.....
٣- الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي "عضوا"	.....
٤- الأستاذ الدكتور وليد خالص "عضوا"	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــداء

إلى امتزاج القوة بالخير كما امتزاج القمم بالسحاب، إلى منبع الطيب والحنان

إلى المعنى الوحيد للشموخ والصبر أبي وأمي

إلى الشمـــــوس التي أنارت دربـــــــــــي ، إلى النجوم التي أضاءت طريقي، إلى العيون التي ترقب نجاحي أسرتي

إلى دفء الأخوة ونبع الصداقة، إلى ذلك القلب الذي يشع حبا وألحانا وشعرا

أخي جمال

أهديهم جميعا ثمرة جهدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــر وتـقـديـــر

بعد حمد الله وشكره ...

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدّم بخالص شكري وتقديري إلى الدكتورة عصمـــة غوشة تثميناً لجهودها القيمّة التي غمرتني بها طوال فترة إعداد هذه الرسالة، وعرفاناً بـــالفضل الكبير والعناية الموصولة والملاحظات والتوجيهات السديدة التي حبتني إياهـــا، فكـــانت مثـــال الأستاذ الذي لا يتوانى عن تقديم كل عون لطلابه جزاها عني وعنهم كل خير.

كما أتقدّم بخالص شكري وامتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتـــور نصـــرت عبـــد الرحمن والأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي والأستاذ الدكتور وليد خالص الذين منحونـــي شرف مناقشة هذه الرسالة وزودوني من غزير علمهم وجزاهم الله خيراً.

كما أجدني عاجزة عن تقديم امتناني وعرفاني إلى الأخ عبد الله إبراهيم ليده الحانيـــة التي ظلت تمدني بالعطاء ولجهوده الصادقة التي جعلت هذه الرسالة ترى النور سدّد الله خطـــاه وجزاه عني كل خير.

أتقدم بشكري الجزيل إلى مركز الحاسوب العربي الثقافي ، وإلى الآنسة مها عزام وقاد التي تفضلت بطباعة هذه الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمـــــة المحتويـــات	رقم الصفحة
العنـــــوان	أ
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهـــــداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ-و
الملخـــص	ز-ح
المقدمـــــة	ط-ك
التمهيـــــد	١-٢٢
الفصل الأول:	٢٣-٨٠
صورة المرأة في شعر الغزل	٢٣
الصورة المادية	٢٤-٤٥
الزينة والتجميـل	٤٥-٥١
الصورة المعنوية	٥٢-٨٠
الفصل الثاني:	٨١-١١٢
صورة المرأة في الأغراض الشعرية الأخرى	٨١
المديـــــح و التهنئة	٨١-٨٥
الهجـــــاء	٨٦-٩٣
الفخر والشكوى والعتاب	٩٣-٩٦
الرثاء والتعزية	٩٦-١٠٨
الوصـــــف	١٠٨-١١٢
الفصل الثالث:	١١٣-١٣٨
شعر المرأة	١١٣-١١٥
الأغراض الشعرية	١١٥
المديح	١١٥-١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمـــــة المحتويـــات	رقم الصفحة
الهجاء	١٢٠
الرثاء	١٢١-١٢٤
الغزل	١٢٤-١٣٢
الوصف	١٣٢-١٣٣
النصح والإرشاد	١٣٤
الزهد	١٣٥-١٣٨
الفصل الرابع:	١٣٩-١٨٤
الدراسة الفنية	١٣٩
اللغـــة والأسلـوب	١٣٩-١٥٤
الصـــورة والخيـــال	١٥٤-١٦٧
الموسيقـــى	١٦٧-١٧٦
المقدمات والمقطوعات	١٧٦-١٨٤
الخاتمـــة	١٨٥-١٨٦
قائمة المصادر والمراجع	١٨٧-٢٠٣
ملحق أعلام النساء	٢٠٤-٢٠٥
ملحق أعلام الشعراء	٢٠٦-٢٠٩
الملخص باللغة الإنجليزية	1-2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخـــــص

صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني في العراق

إعـــداد وضحا محمد عواد الحلاحلة

إشراف الدكتورة عصمة غوشة

تناولت هذه الدراسة صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني في العراق بـــهدف استجلاء حقيقة هذه الصورة وتوضيح معالمها المحددة، فعرضت مشاركة المـــرأة فـــي الحيـــاة السياسية وما قامت به من شفاعات وأعمال تحققت على يد نساء الخلفـــاء وقهرماناتـــهم، ومـــا شهدته الحياة الاقتصادية من منجزات وأعمال لها، وما نشرته من فنون الأدب والغناء في الحياة الثقافية، وما أدخلته الجواري ومن تغييرات على واقع العلاقات الاجتماعية.

واستقرأت في الفصل الأول ما ورد في المرأة من شعر الغزل الذي يصـــــف مفـــاتن جسدها المادية ونواحي الجمال فيه حتى تكاملت على أيدي الشـــعراء صـــورة عامـــة للجمـــال الحسي. وأخرى معنوية توجه فيها الشعراء إلى رابطة الحب مع المرأة، وما يدور في فلكها من صفات وفضائل أحبوها، وما استعذبوه من صدها وفراقها وعتابها، وما كان يشوب علاقتهم بـــها من فتور وهجر بتأثير الوشاة والحاسدين، وما اصطنعوه من وسائل التعبير عن حبهم من رســـل ورسائل وهدايا.

وتناولت في الفصل الثاني صورتها في الأغراض الشعرية الأخـــرى حيـــث جعلـــها الشعراء جزءا من قصيدة المديح والهجاء والتعزية، إذ شاركت الشاعر رغبته في تحقق مساعيه عند ممدوحه وكانت جزءا من فخره، وبموتها عزى، وبزواجها وولادتها هنأ، وكـــــانت أداتـــه لتشويه صورة المهجو والإساءة إليه بفجورها وقبحها ورداءة غنائها، وهي مصدر عتابه ولومه، ووسيلته في شكوى فقره وتعذر أسباب رزقه، وهمه وحزنه وسبب بكائه بموتها .

وعشت عالمها في الفصل الثالث شاعرة رقيقة استحوذت اهتمام الجميـــع واعجابـــهم ونالت رعاية الخلفاء وعنايتهم؛ فتركت في مجتمعها آثارا واضحة فـــي تنشـــيط حركـــة الأدب والشعر بما أثارته من روح التنافس التي حفلت بها مجالس الأدب والشعر في قصـــور الخلفـــاء ومنتديات الأدب وبما خلفته من رسائل ومساجلات ومقطوعات شعرية، تغلبت فيها على أشـــهر شعراء العصر وأدبائه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درست في الفصل الرابع الشعر من الناحية الفنية، فبحثت اللغـــة والأســـلوب وتـــأثير ازدهار الحياة العقلية عليه، ووقفت عند جمال التصوير وسعة الخيال، وحددت مصادر الموسيقى و تحدثت عن مقدمة القصيدة و عن المقطوعة.

وتوصلت في هذه الدراسة إلى وجود تغيير في صورة المرأة المادية في شعر الغزل، و ذلك نتيجة المزج بين القيم التراثية و قيم الجمال الواقعية التي عاشها الشعراء في هذا العصر. كما بدت صورة المرأة ضئيلة في الأغراض الشعرية الأخرى، و لم يطرأ عليها أي تغيير أو خروج على ما عرف عن صورتها في هذه الأغراض عند العرب.و أبرزت الدراسة دور المرأة الشاعرة في حركة الشعر في هذا العصر.و بينت الدراسة عناية الشعراء بموسيقى الشعر و جمال التصوير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــة:

كثر الحديث عن المرأة في مواقفها المختلفة في الحياة وصورها المتباينـــة فـــي الأدب والشعر بمختلف عصوره؛ لإيمان الأدباء والشعراء بعمق أثرها في البناء والتقدم؛ ولأن الســبيل إلى الحضارة لا يكون إلا بتحديد جوانب القوة والضعف في حياة مجتمعها وتعزيز دورها فيـــه؛ لذلك جاء اختياري لدراسة صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني الذي يبدأ بعهد المتوكل سنة ٢٣٢هـــ وينتهي بعهد المستكفي ودخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـــ . وتحديدا في بيئـــة العراق وأقاليمه المعروفة عن وعي بالتحول الكبير الذي أصاب المجتمع أنذاك، وحقق ازدهـــارا حضاريا أثرت فيه المرأة وتأثرت؛ فدفعني هذا التأثر والتأثير إلى محاولة اســـتجلاء صورتـــها وإبرازها بثوبها الإنساني الأصيل. كما صورتها عيون الشعراء وأقلام الكتاب، وتجلية لجملة من التساؤلات المتعلقة بالمرأة ومنها:

كيف تبدت صورة المرأة في شعر العصر العباسي الثاني حرة و جارية؟

وما الصورة المستحدثة في وصف المرأة في شعر هذا العصر؟

ما صورة المرأة التي أخذت تيارات العصر تتجاذبها فالجواري ملأن دارها والقيان سرقن لـــب من تهوى وهل ثمة رسالة أصدرتها المرأة لتصور كل هذا؟

ما الأثر الذي تركته المرأة في شعر العصر العباسي؟

هل عبرت المرأة عن مشاعرها، وهل وصفت مشاكلها، وكيف بدت المرأة الشاعرة؟

وما السمات الفنية للشعر الذي صور المرأة؟

وتعد هذه الدراسة امتدادا للدراسات والبحوث التي سبقت في تناول هذه الناحية وهـــي دراسات عامة لا تعنى بشيء من التخصص والتفصيل في هذا العصر، ومنها:

- دراسة واجدة الأطرقجي "**المرأة في الأدب العباسي حتى نهاية القرن الرابـــع**" وهـــي أول دراسة مستقلة تناولت موضوع المرأة في العصر العباسي وطوفـــت فـــي الأدب والشـــعر ودرست صورة المرأة في إطار الأسرة والمجتمع وما خلفت من آثار أدبية وشعرية، و تعـد هذه الدراسة ركيزة مهمة في دراسة صورة المرأة في هذا العصر.و قد إعتمدت عليها كثيرا في أثناء دراستي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- دراسة أمل نصير "**الأسرة في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**" وتكاد تكون أول دراسة منظمة ومستقلة لموضوع الأسرة التي تعد المرأة عماده، وحصرت الاهتمام بدور المرأة وعلاقاتها الأسرية كما صورها الشعر.

- دراسة نعمات فؤاد "**المرأة في شعر البحتري**" وفيها قدمت صورة للمرأة في شعر البحتري الغزلي، وخرجت بنتيجة وهي أن المرأة في شعر البحتري لم تكن متميزة وما اسبغه عليها صفات تصلح لأي عروس شعر أو نموذج غزلي .و غيرها من الدراسات التي سيرد ذكرها في ثنايا هذه الرسالة.

وجاءت الرسالة مقسمة إلى تمهيد وأربعة فصول، حاولت في التمهيد أن أتتبع أوضاع المرأة ومشاركتها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في هذا العصر وخصصت الفصل الأول للحديث عن صورة المرأة في شعر الغزل، حيث وصف الشعراء مفاتنها وجمالها ووسائل تجميلها وزينتها وحركاتها وسكناتها في حلها وترحالها وعرضوا لمغامراتهم معها من خلال صورتيها المادية والمعنوية.

وتناولت في الفصل الثاني صورة المرأة في الأغراض الشعرية الأخرى وعرضت كيفية توظيفها في شعر المديح والفخر والتعزية والتهنئة وحددت صورتها في شعر الرثاء والهجاء والوصف.

وعقدت الفصل الثالث لدراسة شعر المرأة وأهميته وقيمته في دفع وتنشيط الحركة الشعرية وأغراضه من مديح وغزل ورثاء وهجاء ونصح وارشاد كان للحرائر فيه خاصة أم الشريف الاثر الكبير.

وأفردت الفصل الرابع للدراسة الفنية، فتناولت اللغة والأسلوب والصور والخيال والموسيقى والقوافي و المقدمات والمقطوعات.

وتقوم هذه الدراسة على منهج استقصائي وصفي وتحليلي يتمثل في استقراء الشعر ثم دراسته ووصف مضامينه وتحليلها وتحديد السمات الفنية العامة التي يقوم عليها.

وكانت الدواوين والمجامع الشعرية والكتب التاريخية والأدبية مصادر دراستي الأساسية. فقد استفدت كثيرا من تاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي الذي انفرد ببعض من التراجم والأشعار لأشهر شعراء العصر ومغموريه ، وأخبار الراضي والمتقي للصولي ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أبرز الدواوين التي استخدمتها فهي لأشهر شعراء العصر كديوان ابن الرومي والبحتري وابن المعتز وعلي بن الجهم وابن دريد والحسين بن الضحاك.

ومن ابرز الكتب الأدبية التي ضمت مادة خصبة وأفردت شعر كثير من الشعراء الذين فقدت دواوينهم كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب طبقات الشعر المحدثين لابن المعتز.

واستعنت بكتابي السيوطي "المستظرف من أخبار الجواري" و " نزهة الجلساء في شعار النساء" كثيرا في دراسة شعر المرأة.

كما استفدت من المراجع الحديثة التي كان بعضها بمثابة مفاتيح لي على الطريق ككتابي شوقي ضيف "العصر العباسي الثاني" و "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" وكتاب العقاد "ابن الرومي حياته وشعره" وكتاب علي اليظي "شاعرية البحتري" وكتاب حسين عطوان "مقدمة القصيدة العربية في شعر العصر العباسي الثاني" .

وتوصلت من خلال استقرائي كتب التاريخ والأدب ، ودراسة الشعر إلى مجموعة من الملحوظات ، ثم قرأت بعض المراجع فوجدت هذه الملحوظات ؛ فأثبت ذلك للأمانة العلمية .

وقد واجهتني في هذا البحث الكثير من العقبات والصعوبات التي تواجه الباحثين عادة منها ما يتعلق بمصادر الدراسة كفقدان بعض الدواوين والمصادر أو صعوبة الوصول إلى بعضها، ومنها ما يتعلق بالشعر كغزارة شعر الغزل وتشابه الصور وصعوبة انتقاء الأمثلة المناسبة له وابتذال وإقذاع شعر الهجاء لدرجة تثير الحرج وبالتالي وجدت صعوبة في إيجاد أمثلة لأعفها وأقربها إلى الذوق السليم، إضافة إلى بعض الصعوبات الخاصة التي واجهتني في عملي وانعكست سلبا على أدائي في مسيرة إعدادي لهذا البحث.

ولكن بالإيمان والعمل والتسلح بالأمل والتفاؤل استطعت تجاوز هذه المعوقات وأخرجت هذه الدراسة ثمرة جهد مخلص وعمل دؤوب.

"وآخر دعواهم أن الحمد لله"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

الحياة السياسية

الحياة الاجتماعية

الحياة الاقتصادية

الحياة الثقافية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة في العصر العباسي الثاني

الحيـــاة السياسيـــة :

شهد هذا العصر اضطراباً سياسياً حيث ضعف الخلفاء، وتحكّم الأتراك بهم، حتـــى أن الخليفة صار بين أيديهم "كالأسير إن شاءوا أبقوه، وإن شاءوا خلعـــوه، وإن شـــاءوا قتلـــوه [١]" فكثرت الفتن والحركات ، وضجّت العامة، ووصلت المرأة إلى مراكز الحكم والسياسة ، بصـــورة تبرز مدى التغير الذي أصاب المجتمع وخاصة المجتمع النسائي [٢]"، عبر مجموعة مـن الأدوار المباشرة والثانوية .

ولعل أكثر النساء تدخلاً ومشاركة في الحكم هن نساء الخلفاء وأمهاتهم، بحكم قربـــهن من الخلفاء وتأثيرهن على عليهم ، ويلاحظ في هذا المجال أن مطلع العصـــر أي فـــي الفـــترة الممتدة من عهد الخليفة المتوكل إلى عهد الخليفة المعتضد (٢٣٢-٢٨٩هـ) لم تشـــهد نشـــاطاً ملحوظاً لهذه المشاركة سوى ما عرف عن دور (قَبِيْحَة)[٣] زوجة المتوكـــل وأم ولـــده المعـــتز، والتي تعدُّ محاولتها انتزاع ولاية العهد لابنَها المعتز دون إخوته [٤] أخطر أدوارها السياسية هـــذا العصر.

فقد بدأت هذه المحاولة في حياة المتوكل مستغلّةً مكانتها عنده، وكادت تنجح لولا تدخُّل الأتـــراك وقتلهم المتوكل .[٥] ولكن هذا الحادث لم يثنها عن اصرارها في تولية ابنها الخلافـــة بـــل إنـــها قررت مصير خلفاء المتوكل في سبيل تحقيق ذلك ومنهم الخليفة المنتصر الذي لم تجعله يحكـــم سوى ستة شهور قتل بعدها [٦] ، والخليفة المستعين الذي عزلته ووضعت المكافـــآت المجزيـــة لمن يقتله [٧] ؛ فتمكنت من تولية ابنها الخلافة ليكون هو الآخر أحد ضحاياهـــا، ويدفـــع ثمـــن جشعها وحبها المال وإيثارها الجواهر [٨] . ففي سنة ٢٥٥هـ طالب الأتـــراك المعـــتز بمبلـــغ خمسين ألف دينار ثمن سكوتهم عنه وعدم عصيانهم والثورة عليه، فلجأ إلى والدته لأن خزائـــن

(١) ابن الطقطقي - الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٣٧.
(٢) مليحة رحمة الله – دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، مج ٢، عدد ١٤ ، ص٧٥٧. انظر حمدان الكبيسي – عصر الخليفة المقتدر ، ص ٨١.
(٣) قبيحة مولاة المتوكل وأم ولديه المعتز وإسماعيل، من المشهورات بالجمال لذلك سميت قبيحة من باب تسمية الضد بالضد، ت٢٦٤هـ. انظر ترجمتها : السيوطي – المستظرف، ص٥٧، ابن الساعي – نساء الخلفاء، ص١٢٥.
(٤) الطبري – تاريخه، ج٥، ص٣٣٥. أنظر : ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب، ج٣، ص٢١٨، الذهبي – العبر ، ج٢ ، ص٣٥٣.
(٥) ابن كثير - البداية ، ج١٠، ص٣٧٧. أنظر : المسعودي - مروج الذهب، ج٤، ص١٢٠-١٢٢.
(٦) المسعودي – التنبيه والإشراف ، ص ٣١٤. انظر الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد ج٢ ، ص ١١٩، الذهبي – العبر ، ج١ ، ص٣٥٦، ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥.
(٧) ابن العبري – مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٨٩. انظر البلوي – سيرة ابن طولون ، ص ٤٠.
(٨) ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٢ ، ص ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دينار ثمن سكوتهم عنه وعدم عصيانهم والثورة عليه، فلجأ إلى والدته لأن خزائن الأموال عنده فارغة لكنها رفضت منحه أي شيء بحجة ضيق اليد عندها هي الأخرى[١]. فلما قتله الأتراك وهربت هي وجد في خزائن أموالها المخبأة تحت الأرض مبالغ تقدر بالملايين[٢].

كما وردت بعض الإشارات عن مشاركة مخارق أم المستعين ابنها في الحكم وإدارة شؤون خزينة الدولة . فقد ذكر ابن كثير أن الخليفة المستعين فوض أمر الخلافة ، والتصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة على رأسهم والدته التي لم يكن يمنعها شيئا تريده ، إضافة إلى أتامش التركي الذي كان بمنزلة الوزير وشاهك الخادم [٣] ؛ فكان لعملها في تبذير أموال الخلافة أثره السلبي في بقاء ابنها خليفة .

وتعود ضآلة حجم المشاركة النسائية في السياسة والحكم في هذه الفترة إلى جملة من الأسباب منها : انشغال بعضهن في أعمال البر والإحسان ، وبالتالي عدم توفر الرغبة لديهن في هذه المشاركة ، مثل شجاع أم المتوكل ، وحبشية أم المنتصر ، وقبول أم القاهر ، وفتيان أو فتياه أم المعتمد التي لم تضبط المصادر حتى اسمها [٤] . كذلك موت بعضهن قبل تولي أبنائهن الخلافة ، مثل ضرار أو تحقيق أم المعتضد ، وقرب أم المهتدي ، وجيجك أم المكتفي ، إضافة إلى صلابة وقوة شخصية بعض الخلفاء مثل المعتضد .

وازدادت مشاركة نساء الخلفاء وأمهاتهم في الحكم السياسي حدة ووضوحا في الفترة الثانية من هذا العصر ، أي من عهد الخليفة المكتفي إلى عهد الخليفة المستكفي (٢٨٩-٣٣٤هـ) ، خاصة في عهد الخليفة المقتدر الذي وصفت المصادر بأن "دولته دولة تخليط لصغر سنه ، واستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم" [٥] .

ومن أبرز هؤلاء (شغب) [٦] زوجة المعتضد وأم المقتدر التي تعد أكثر نساء الخلفاء هيمنة في الحكم والسياسة. فقد أحكمت قبضتها على الأمور بالتعاون مع قهرماناتها [٧] مستغلة صغر

---

(١) ابن كثير – البداية ، ج ١١ ، ص١٨.
(٢) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٩. انظر: الذهبي - العبر، ج١، ص٣٦٦، الرشيد بن الزبير - الذخائر والتحف، ص٢٣٦.
(٣) الطبري – تاريخه ، ج٥ ، ص ٣٥٨ . انظر ابن كثير – البداية ، ج ١١ ، ص٤ ، ابن الأثير – الكامل ، ج٦ ، ص١٥٤ .
(٤) ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٢ ، ص١٠٣ ، انظر ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص٢٦ .
(٥) ابن الطقطقي – الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٢٦٢ . انظر ابن الأثير – الكامل ، ج ٧ ، ص٧٥ ، الذهبي - العبر ، ج١ ، ص٤٤٩ .
(٦) شَغب: جارية لأم القاسم بنت محمد بن عبد الله بن طاهر، اشتراها الخليفة المعتضد وتزوجها وانجبت المقتدر، وكان يقال لها "ناعم" فسماها شغب. انظر ترجمتها: ابن الجوزي - المنتظم، ج١٣، ص٥٩، الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج٧، ص٢١٣.
(٧) القهرمانة: المسيطر الحفيظ على من تحت يديه، ويرى ابن بري: القهرمان من أمناء الملك وخاصته وهو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده القائم بأمور الرجل. ابن منظور - اللسان، مادة قهرم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر ابنها المقتدر وجهله بأمور الحكم والسياسة[١]؛ وهو أمر وفرت كل السبل لضمانه ، إذ شجعت ابنها على الانهماك في حياة اللهو لتبعده عن السياسة ، على الرغم من اشادة المصادر التاريخية بفكره وعقله ، يقول عنه ابن العماد : "إن المقتدر كان جيد العقل والرأي إلا أنه كان يؤثر اللعب والشهوات ، غير ناهض بأعباء الخلافة"[٢] ؛ فوفرت له الجواري والأموال حتى أنه كان يجمع جواريه ويفرق عليهن أموال خزينة الدولة على مرأى منها ومسمع[٣] ، كما راعت نوعية ما يتلقاه ابنها وحفدتها من تعليم ، فهو لا يتجاوز قدرا محددا من المعارف العامة ن التي لا تجعل منه متعلما على وعي بمسؤوليات الخلافة وأبعاد الحكم . يتراءى هذا واضحا في خطاب زيدان قهرمانتها للصولي معلم الراضي بن المقتدر : "يا هذا ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا أبوهم قدر أن كل ما نحب وليس بعالم ، فاعمل على ذلك"[٤] ؛ فاستغلت أم المقتدر هذه الأحوال وسيطرت على الأمور ؛ فأنشأت لذلك ديوانا خاصا بها تصدر منه الكتب باسمها، وعينت قهرمانة توصل رسائلها إلى الخليفة والوزير[٥]؛ كما اتخذت تسمية جديدة لها فأصبحت تعرف بالسيدة [٦] .

لذلك لا نستبعد ما ذهب إليه أحد الباحثين في أن تربية المقتدر وحياته الرغيدة خطة مدبرة من نساء القصر ورجال البلاط ؛ لتنشئة الأفراد تنشئة لا تكون منه رجالا يعتمد عليهم في تسيير أمور الحكم [٧]. لأن الإحساس بهذا يبدو واضحا في المرارة التي تعتمل جواب نصر حاجب المقتدر عندما سمع قول زيدان السالف ، فقال : "كيف نفلح مع قوم هذه نياتهم" [٨]،فقد ظلت الرغبة في السيطرة على أمور الدولة حلم الموالي من أتراك وغيرهم ؛ لاعتقادهم أنهم الورثة الحقيقيون لأجدادهم الذين بنوا على أكتافهم هذه الدولة ؛ فجعلهم هذا الأمر يخططون منذ فترة مبكرة لتحقيقه فاتخذوا من المرأة وسيلة سهلة للوصول ، بأن دفعوا بها إلى قصور الخلفاء ؛ فأحكمت قبضتها على قلوبهم ،واستغلت مكانتها من نفوسهم ، واستطاعت أن تملي على أبنائها ما تراه مناسبا لها ولأبناء قومها ، ساعدها في ذلك كل من أحاط بها من خدم ومتنفذين كانوا على دراية كافية بهذه المخططات .

---

(١) ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص١١٢ . انظر مليحة رحمة الله – دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، عدد ١٤ ، ص ٧٥٨-٧٦٥ ، آدم ميتز – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، ج١ ، ص ١٦ ، صلاح المنجد ، بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١٣ ، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص ٧٥ ، حمدان الكبيسي ، عصر المقتدر ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٩٨.

(٣) ابن كثير - البداية، ج١١، ص١٢. انظر البيروني – الجماهر في تمييز الجواهر ، ص٥٧ ، ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٣ ، ص ٦٤ .

(٤) الصولي – أخبار الراضي ، ص ٥-٦ ، ص ٢٦ .

(٥) ابن الأثير - الكامل، ج٦، ص٤٦٩. انظر: مسكويه - تجارب الأمم، ج١، ص٢٠.

(٦) ابن كثير - البداية، ج١١، ص١٦٦.

(٧) عمر فاروق – محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ، ص ٦٠ .

(٨) الصولي – أخبار الراضي ، ص ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعدُّ قدرتها على الاحتفاظ بابنها خليفةً مدة خمسة وعشرين عاماً دليلاً واضحاً على مقدرتها السياسية، فقد تمكّنت خلال هذه الفترة من إحباط محاولتين لعزل ابنها المقتدر وذلك باستخدام نفوذها القوي على الجند والأتراك وإغرائهم بالأموال، كانت المحاولة الأولى قد قام بها ابن المعتز بعد تولّي ابنها بفترة قصيرة جداً انتهت بقتله سنة ٢٩٦هـ[١]، والثانية جاءت بعد إحدى وعشرين سنة قام بها القاهر انتهت بفشله سنة ٣١٧ هـ[٢]. بل قمعت كل محاولة وإن كانت لا تزال في طي الكتمان لعزل ابنها ، كما في محاولة أم موسى المتمثلة في مصاهرتها أحمد بن العباس بن إسحاق بن المتوكل ، فقد خاطبتها لما أدركت مخططها قائلة وذلك يوم نكبتها "قد دبرت على ولدي ، وصاهرت ابن المتوكل حتى تقعديه في الخلافة" [٣]؛ لإدراكها أن بقاء صورة ابنها في الخلافة يعني استمرار وجودها في الحكم والسياسة .

ومن الأدوار الخطيرة التي قامت بها مع قهرماناتها، عملية اختيار الوزراء أو ترشيح بعضهم أو عزل آخرين إضافة إلى تعيين كبار رجال الدولة ومعاقبة بعضهم خاصة الأثرياء باصدار أحكام المصادرة لأموالهم[٤]. وقد نجم عن هذا وصول شخصيات غير مؤهلة للقيام بمهام خطيرة كالوزارة والولاية والقضاء والمحاسبة وبالتالي حرمان الأمة من خدمات جليلة يمكن أن تقدّمها بعض الشخصيات المصلحة كالوزير علي بن عيسى[٥] الذي نفاه المقتدر إلى مكة بسبب السيدة وقهرماناتها لاعتراضه على تصرفاتهن. ولعل الجانب الخفي في وصول بعض هذه الشخصيات[٦] هو الأخطر، فقد اعتمد ذلك على مقدار ما يدفعه أحدهم للسيدة أو لإحدى قهرماناتها من رشاو وأموال وصلات وهدايا إذا ما أراد أن يصبح وزيراً[٧].

وتتميز أدوار هذه السيدة أنها متشعبة لا تقتصر على الشؤون السياسية بل امتدت إلى النواحي الاجتماعية والصحية والاقتصادية ، وحتى القضاء عندما ولت إحدى قهرماناتها وتسمى ثمل منصب القضاء سنة ٣٠٦هـ وجعلت مقرها في الرصافة [٨].

---

(١) الطبري - تاريخه، ج٥، ص٦٧١.
(٢) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج٧، ص٢١٤.
(٣) ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص٢٢٩ . انظر : ابن الأثير – الكامل ، ج٧ ، ص١١ ، ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص١٥٤.
(٤) ابن الجوزي - المنتظم، ج١٣، ص١٢٣. انظر: الثعالبي - تحفة الوزراء، ص٢٩، مليحة رحمة الله – دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، عدد١٤ ، ص ٧٦٢، واجدة الأطرقجي ، المرأة في الأدب العباسي ، ص ٧٥، حمدان الكبيسي – عصر المقتدر ، ص١٠٥.
(٥) علي بن عيسى، من وزراء المقتدر، استطاع أن يصلح الأمور وكان مثالاً في الاقتصاد والتدقيق. انظر: الصابي - الوزراء ، ص٣٠١.
(٦) ابن الجوزي - المنتظم، ج١٣، ص١٦٦.انظر : مليحة رحمة الله – دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني ، ص٧٦٣.
(٧) الصابي - الوزراء ، ص٢٧٨-٢٨٨. انظر: ابن الوردي - تاريخه، ص١٢٣ ، مسكويه - تجارب الأمم ، ج١، ص٢١.
(٨) ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قهرمانات الخلفاء وجواريهم فقد شاركن مشاركة فعالة في السياسة في ظل وجود نساء الخلفاء ومشاركتهن في الحكم،وضمن الأجواء الخاصة بالعصر من سيطرة الاتراك، وضعف الخلفاء، وحالة الفوضى والاضطراب لا سيما في عهد الخليفة المقتدر وما جاء بعده من خلفاء،تمثل ذلك من خلال قيامهن ببعض النشاطات السياسية والإدارية والقضائية من تعيين الوزراء وعزلهم وسجنهم ، وإبداء المشورة والرأي للخلفاء ، والجلوس للقضاء وتدبير شؤون القصر ، والتحكم بخزائن الأموال [١].

وتذكر المصادر أسماء كثيرة من هؤلاء الجواري والقهرمانات ، ومنهن : فاطمة ، قرب ، أم موسى ، اختيار ، زيدان ، فارس ، ثمل ، سعاد ، علم ، نظم .

وتركت هذه التجربة المباشرة للمرأة في الحكم والسياسة ، خاصة تجربة أم المقتدر وقهرماناتها آثارا مريرة في نفوس أبناء المجتمع ، إذ عبر الجميع عن رغبة ملحة في عدم تكرار مثل هذه التجربة ؛ لذا حرصوا فيمن يختارونه للخلافة ألا يكون له أم وجوار ، وقد لمس هذه الحقيقة أبو يعقوب إسحق بن اسماعيل النوبختي وزير المقتدر بعد مقتل مولاه ، وذلك عندما أراد الأمراء الأتراك تولية أبي العباس بن المقتدر الخلافة بعد أبيه ، فقال :"بعد التعب والكد نبايع لخليفة صبي له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن"[٢]

ويتضح مما سبق طبيعة الأدوار السياسية المباشرة التي قامت بها المرأة سواء أكانت من نساء الخلفاء أم من القهرمانات. ويبقى هناك بعض الأدوار غير المباشرة التي قمن بها أيضا كالشفاعات عند الخلفاء في تولية أحدهم منصبا أو استرضاء الخليفة للعفو عن آخر سجنه أو نفاه أو غضب عليه. وقد نجحت نساء الخلفاء في القيام بها من مثل ما قامت به (قبيحة) زوجة المتوكل في سعيها للعفو عن الشاعر علي بن الجهم الذي غضب عليه وسجنه ثم نفاه لوشاية نجح أعداؤه فيها عند المتوكل[٣] . وهذا ما قامت به ظلوم أم الخليفة الرابع ، التي شفعت للطبيب بختشيوع بن يحيى الذي نفاه الراضي إلى الأنبار ؛ بسبب فشله في علاج أخيه هارون فعفى عنه وأمر برده [٤] وهذا شبيه بدور (شغب) أم المقتدر التي دفعت ابنها للعفو عن الخليفة القاهر عندما ثار عليه واصبح خليفة بضعة أيام[٥].

---

(١) انظر جهدهن : الطبري – تاريخه ، ج٥ ، ص٤٠٦ ، ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٣ ، ص ٧٠-٧١ ، الصابي – الوزراء ، ص٢٩٢-٢٩٥ ، ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص ١١٨ ، ابن الأثير – الكامل ، ج٧ ، ص١٨٧-١٨٨ ، مسكويه – تجارب الأمم ، ج١ ، ص٢٦١ ، الهمذاني – التكملة ، ج١ ، ص٧٧ ، مجهول – العيون والحدائق ، ج٤ ، ص٤١٦ ، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٧٦ .

(٢) ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص١٨١ . انظر : ابن الأثير – الكامل ، ج٧ ، ص٧٥، ابن العبري – مختصر تاريخ الدول ، ص٢٧٦ .

(٣) الأصفهاني - الأغاني، ج١٠، ص٤٠٣.

(٤)ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٣ ، ص٣٦٥ .

(٥) ابن الأثير - الكامل، ج٧، ص٥٣، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن للجواري المقربات من الخلفاء وللقهرمانات نشاطا ملحوظا في هذا الجانب فـ (عريب) المغنية المشهورة سعت عند المتوكل لإخراج إبراهيم بن المدبر من السجن لمعرفتها قدر منزلتها عند الخليفة[١]، وكذلك (فضل) الشاعرة التي كانت تتشيع وتتعصب لعصبة من الناس وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك والأشراف [٢] ، كما استغلت سعاد أخت وصيف الخادم ومربية المؤيد مكانتها عنده لتشفع لأخيها ؛ فيصلح ما بينه وبين الخليفة المعتز إثر خلاف بينهما [٣].

أما نساء العامة فلم تذكر المصادر شيئا عن مشاركتهن في الحكم والسياسة إلا بعض الإشارات التي حملت الكثير من الهيبة والإجلال والإحترام عن أم الشريف [٤] وهي سيدة من العامة حاولت بحكمتها وسداد رأيها أن تحول دون وقوع صدام عنيف بين ابن أخيها (محمد بن أحمد بن عيسى الشيخ) الذي رفض إعطاء البيعة للمعتضد فحاربه الأخير وتغلب عليه لكنه عفا عنه وعن كثير من قومه إكراما لأم الشريف واعترافا بحسن حكمتها وبعد نظرها وإعجابا بشعرها أيضا[٥].

كما تذكر المصادر مدى تأثر نساء العامة ببعض الحركات السياسية كحركة القرامطة والزنج [٦] ،بعد اجتياحهما مناطق واسعة ، وأسرهما الآلاف من نساء العامة ، بلغ عددهن في رواية ابن الجوزي خمسة عشر ألفا [٧]،وفي رواية ابن كثير خمسة الآف استنقذهن الخليفة المعتمد سنة ٢٦٧هـ [٨] ، ومهما يكن فإن وجود هذا العدد الضخم من نساء العامة يؤكد مدى الضرر الذي لحق بهن جراء اضطراب الأحوال السياسية .

وحاولت نساء العامة أيضا التعبير عن مواقفهن الرافضة لهذه الحركات السياسية ، وللجرائم التي ارتكبها على الرغم من بساطة التعبير ، وعفوية الأداء عن هذه المواقف . ففي سنة ٣١١هـ قام القرامطة بقتل الحجيج ،ونهب أموالهم في طريق عودتهم إلى بغداد ، فلما انتهى خبرهم إلى المدينة قامت نساء القتلى وأهليهم بالنواح عليهم ونشر الشعور ولطم الخدود

---

(١) الأصفهاني - الأغاني، ج٢٢، ص٣٨٠.
(٢) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠.
(٣) ابن الأثير – الكامل ، ج ٦ ، ص١٨٣ .
(٤) أم الشريف : شاعرة ذات عقل وفطنة، عاصرت المعتضد الذي أعجبه شعرها كثيرا وأكرمها. انظر: المسعودي- مروج الذهب، ج٤، ص٢٤٠-٢٤٣. انظر : ابن الجوزي - المنتظم ، ج١٣ ، ص٣٩٩- ٤٠٠.
(٥) المسعودي - مروج الذهب، ج٤، ص٢٤٠-٢٤٣. انظر : واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٣٢٣.
(٦) الطبري – تاريخه ، ج٥ ، ص٦٤٦. انظر : ابن الاثير – الكامل ، ج٦ ، ص٤١٨ .
(٧) ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٢ ، ص٢١١ .
(٨) ابن كثير – البداية ، ج ١١ ص ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصورة جماعية هائلة استرعت اهتمام الخليفة المقتدر [١] ، ووالدته التي سارعت بدفع أموالها لحرب هؤلاء [٢].

ولا يعني هذا بقاء نساء العامة في صورة المتضررات فقط من هذه الحركات ، بل شاركن فيها ، ومارسن أعمال القتل والنهب ، فقد ذكر الطبري أن نساء الزنج اشتركن معهم في القتال ، وقمن بإمداد الرجال بالحجارة اللازمة لتدمير الأبواب والقصور بواسطة آلات خاصة[٣].

ويتضح مما سبق أنّ المرأة الحرة من العامة لم يكن لها مشاركة فاعلة في الحكم والسياسة، وقد يعود السبب إلى عادة العزل في البيوت التي فرضت عليها قروناً عديدة، إضافة إلى ندرة الإشارات الدالة على مشاركتها – إن وجدت– مما جعل صورتها عن السياسة تبدو بعيدة في الوقت الذي كان للجارية أثرٌ واضح في الحكم.

الحياة الاجتماعية :

لقد تأثرت المرأة في هذا العصر بحياة الترف المادي التي عاشها المجتمع وما رافقها من شيوع الجواري والقيان اللواتي تركن بصماتٍ واضحةً في المجتمع، امتدّ صداها إلى قصور الخلافة بعد أن أصبحن زوجات الخلفاء وأمهاتهم.

ومن جوانب التأثير الاجتماعي لهنّ على مستوى المجتمع عامة زيادة التشديد على عزل النساء الحرائر خاصة داخل البيوت ومنعهن من الخروج صوناً لكرامتهن من الابتذال والهدر في ظل أجواء المجون والابتذال التي سادت ، والتي نشرت الجواري جزءاً كبيراً منها ؛ لذلك حرصاً على صون كرامة المرأة وحفظها من الابتذال ؛ سادت عادة عزل النساء ومنعهن من الخروج والاختلاط مع كافة فئات المجتمع ، بل إن هذه العادة لم تشمل الحرائر فقط بل امتدت إلى الجواري في القصور حيث عزلن داخل القصور ومنعن من الخروج ، فإذا أرادت إحداهن الخروج ، واشتهت رؤية الناس ؛ توصلت حتى تصبح قهرمانة ، كما فعلت جارية أم المقتدر [٤]؛ لأن القهرمانات وحدهن اللواتي كان يسمح لهن بالخروج لقضاء الحاجات[٥] .

كما نشرت الجواري مجموعة من أساليب التبذّل والغواية والفساد؛ مما أثرّ على النظرة

---

(١) ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص ١٦٠ – ١٦١.
(٢) المصدر نفسه ، ج١١ ، ص ١٦٦. انظر : مسكويه – تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٢٤٥ .
(٣) الطبري – تاريخه ، ج٥ ، ص٤٥٦ .
(٤) التنوخي – الفرج بعد الشدة ، ص١٨٦ – ١٨٧ .
(٥) ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٢ ، ص٣٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهنّ، وقد تناقل الأدباء والشعراء صوراً من هذه الأساليب في آثارهم الأدبية[١] وبصور تعكس مدى تقبّل المجتمع لها، وغضّه الطرف عن كثير من ضروب الخلاعة والمجون التي نشرنها.

وهذا يعني تبدّل وتغيّر مقاييس الأخلاق والعفاف في المجتمع تجاه أخلاق الجواري لكنّها لا تزال على قوتها وصرامتها في تعاملها مع الحرائر [٢].

وكردة فعل إزاء هذا التغيير الذي أحدثته الجواري واساليبهنّ، ظهرت دعوات عامة إلى عدم الثقة بالنساء [٣]حتى الحرائر اللواتي حجبن في الخدور، يصور الوشاء ذلك بقوله إن بنات الخدور وربات الحجال والقصور كالقينات مكراً وفساداً وابتذالاً [٤].وانعكاساً لهذه الدعوات ولكثرة الجواري اللواتي قدمن إلى المجتمع برزت مظاهر الاهتمام بظاهرة التسّري، وهذه الظاهرة ليست وليدة مجتمع هذا العصر وإنما هي استمرار للعصور التي سبقت ، لكنها هذا العصر فاقت حدود الاستخدام في العصور السابقة .

وكان من نتائج هذا التغيير اقتناء الجواري بأعداد كبيرة في مختلف الأوساط الاجتماعية خاصة القصور وبيوت الأثرياء، فقد ذكرت المصادر التاريخية أرقاماً خيالية فيها مبالغة واضحة على هذه الظاهرة فابن العماد الحنبلي ذكر أنّ للمتوكل خمسمائة جارية[٥]، بينما ذكر المسعودي أنّ له أربعة آلاف جارية[٦]، أمّا المعتضد فلم يكن له رغبة إلاّ في البناء والنساء[٧]، ولعل هذه الصفة قد ورثها ابنه المقتدر الذي كان له أربعة آلاف جارية[٨]، فضلاً عمّا اقتناه القاهر من جوارٍ وُصِفَنْ بأنّ "قَدَّهُنَّ واحدٌ إذا رأيتهنّ حسبتهنّ الغلمان بالقراطق والأقبية والطرر ومناطق الذهب والفضة .[٩]"وعرفن بالغلاميات، وقد بدت صورتهنّ في الشعر.

ونتج عن ظاهرة المبالغة في اقتناء الجواري توجيه بعض الانتقادات لبعض

---

(١) الجاحظ - ثلاث رسائل (رسالة القيان٩ ص٧٠-٧٢. انظر: الأصفهاني- الأغاني، ج١٠، ص٢٧٥، الوشاء- الموشى، ص١٣٥-١٦٠.

(٢) محمد جميل بهيم – المرأة في حضارة العرب ، ص ١٧١ .

(٣) مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، ص ٢٦. انظر : عبد اللطيف الراوي – المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع ، ص ٣١٢، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص ٣٢.

(٤) الوشاء – الموشى ، ص ١٧١-١٧٢.

(٥) ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب، ج٣، ص٢١٩.

(٦) المسعودي - مروج الذهب، ج٤، ص١٢٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٣٣.

(٨) الصابي- رسوم دار الخلافة، ص٨.

(٩) المسعودي - مروج الذهب، ج٤، ص٣١٨. الطرطق: قباء. ابن منظور - اللسان، مادة طرطق، الأقبية: ثياب تلبس وهو مشتق. ابن منظور - اللسان، مادة قبي، طرر : شبه علمين يخاطان بجانبي البرد. ابن منظور - اللسان، مادة طرر. المناطق : شبه إزار فيه تكة تلبسه المرأة. ابن منظور - اللسان، مادة نطق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المظاهر الاجتماعية مثل إجراءات الزواج من الحرائر، فالجاحظ استوقفته هذه الظاهرة وقد فسَّر أسباب الانحراف عن الزواج من الحرائر لإجراءاته التي تَحُولُ دون رؤية المرأة بسبب هذه العادة الاجتماعية التي عُزلت بها المرأة الحرّة في المنزل فلا يستطيع طالب الزواج رؤيتها؛ وبالتالي لا يعرف مواطن الجمال فيها فيستشير النساء في هذا، والمرأة لا تعرف من المرأة ولا تبصر منها إلا ظاهر الصفة. أمَّا الخصائص التي تقع في نفوس الرجال فلا تعرفها. بينما الجارية تُعرض بين يدي الرجل في الأسواق فيتأمل منها كل شيء لذا يقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة[١].

ولمّا أصبح الزواج بالجارية أمراً عادياً وجدنا أن خلفاء هذا العصر كلهّم أبناء جوارٍ[٢] ويفضلون الزواج من الجواري وكذلك فعلت العامة ، وإن بقي الزواج من الحرة رغبة الجميع ، فعبرت بعض دعواتهم عن تفضيل ذلك كقولهم "الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور" وقال بعضهم : "لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين" وقالوا : "لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الأسواق ومرت عليهن أيدي الفساق" . [٣]

٤٩٤٨٩١

وقد ترتبّ على ذلك أنَّ ظاهرة تعدد الزوجات بدأت تقلُّ تدريجياً، واصبح الاكتفاء بزوجة واحدة هدف الجميع، وإن وجدت بعض الحالات التي يجمع الرجل فيها بين زوجتين أو أكثر؛ وقد تنتهي بعض هذه الزيجات بالفشل وطلاق الزوجة الجديدة كما حدث مع الشاعر أبي العيناء [٤] الذي اضطرّ بسبب صلابة موقف زوجته الأولى من طلاق الجديدة [٥] .

ولكن يبدو أنَّ الزواج بأخرى أقلَّ مرارة من التسّري باحداهن، فالمشكلات الاسرية زادت كثرةً بسبب التسّري بل إنه ساهم وبشكل فعّال في خلق صدعٍ عميق في العلاقات الأسرية، وأوقد نار الغيرة في قلب المرأة الحرة من جواريها السراري، وكثيراً ما اصطلى الرجال بنارها، وما معاناة ابن جمهور [٦] من غيرة زوجته من جاريته (زادمهر) إلاَّ دليلٌ على

---

(١) الجاحظ - رسائل الجاحظ (رسالة النساء) ، ص١٠١.
(٢) الثعالبي - لطائف المعارف، ص١٢٥.
(٣) الجاحظ – المحاسن والأضداد ، ص٢٥٠.
(٤) أبو العيناء، محمد بن القاسم، شاعر فصيح بليغ من الظرفاء، كان آية في الذكاء واللسن ولد أعمى، عاصر جملة من الخلفاء ، ت٢٨٣هـ. انظر : الحموي - معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٠٢.
(٥) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٧٨.
(٦) ابن جمهور ، محمد بن الحسين بن جمهور القميّ: كان ظريفا متأدبا، مليح الشعر والكتابة، حسن الخط والترسّل، عاشر أهل الخلاعة والمجون، له شعر كثير بزادمهر. انظر الشابشي - الديارات، ص٢٦٦، الأزدي- حكاية ابي القاسم، ص٧١-٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أسلفنا إضافة إلى غيره ممن ذكرهم الأزدي في حكايته [١] . وربما تصل الأمور بين الحرائر والسراري إلى أعظم من الغيرة فتنعدم إمكانية التفاهم بين الأزواج ويصلون إلى طريق مسدود هو الطلاق . وهذا ما حدث مع المتوكل الذي كان يهتم بجواريه كثيراً حتى أنه طلب من زوجته ريطة بنت العباس أن تتشبّه بالجواري في لباسها وطريقة تصفيف شعرها، وقد هددها إنْ لم تفعل سيطلقها؛ فاختارت الأخيرة[٢] .

ويبدو أن عدوى الغيرة قد انتقلت إلى الجواري أنفسهن، لا سيّما جواري الخلفاء اللواتي تسابقن للفوز بقلب الخليفة بكل ما أوتين من حيلة حتى إذا ما نجحت إحداهن في كسب ودّه صلتها الأخريات بنار الحقد والغيرة وربما تخلصن منها. كان هذا مصير (شَجَر) جارية المتوكل التي كان يميل إليها ميلاً عظيماً، ويفضّلها على سائر حظاياه حتى حسدتها الأخريات وعملن على قتلها[٣] .

ومن نتائج التسرّي أيضاً تغيّر النظرة إلى زواج المرأة الأرملة "فبعد أن كانوا لا يروون بأساً في أن تنتقل المرأة إلى عِدّة أزواج ما دام الرجال يريدونها صاروا يكرهون ذلك ويستسمجونه منها، ويعافون المرأة الحُرّة إذا فارقت زوجاً واحداً، ويلزمون من خطبها العار ويعيّرونها بذلك ولكنهم يستحسنونه في الإماء[٤] " .

ويبدو هذا التغيّر طبيعياً في ظلّ وجود الجواري ولكن هذا لا يعني أنّ زواج الأرامل والأمهات بات أمراً معدوماً بل لا زال موجوداً، وقد أثبتت بعض أزواج الخلفاء قدرة فائقة على التغلّب على هذه النظرة معتمدة على التصرّف المفرد، ومستغلة منزلتها في البيت العباسي من جهة وحريتها التي تتمتع بها من جهة أُخرى. هذا ما فعلته بنت بدر مولى المعتضد زوجة المقتدر التي زوّجت نفسها بعد وفاته بمن تريد بعد أن بذلت الأموال وهادت القضاة وعُرف زوجها بعد ذلك بزوج الحرة [٥] .

لكن مع ذلك تعد مناسبة زواج هؤلاء النساء عند أبنائهن مناسبة للعزاء لا للفرح وقد تعرض أبناء هؤلاء للسخرية والهجاء.

وقد سعت بعض النساء من خلال زواجها إلى تحقيق أغراض بعيدة من الصعب

---

(١) الأزدي - حكاية أبي القاسم، ص٧١-٧٥.
(٢) الجاحظ - المحاسن والأضداد، ص١٥٧. أنظر : واجدة الأطرقجي المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٥٤.
(٣) الرشيد بن الزبير - الذخائر والتحف، ص٢٩.
(٤) الجاحظ - ثلاث رسائل (رسالة القيان) ، ص٦٢-٦٣.
(٥) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج٢، ص٢٥٤. أنظر : التنوخي – نشوار المحاضرة ، ج٤، ص١٠-١١، وديعة طه النجم – أضواء على منزلة المرأة ، مجلة عالم الفكر ، ص٢٢٦، فهمي عبد الرزاق – العامة في بغداد ، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحقيقها بطريقة أخرى، ويغلب على هذه الأغراض البعد السياسي[١]، وهذا يفسر طلب الملكة الرومية (برتا) بنت الأوتاري الزواج من الخليفة المكتفي الموسوم بالجمال[٢]. فقد سعت من ورائه لإكساب المنطقة نوعا من السلام المؤقت. وكذلك محاولة خمارويه [٣] اصلاح العلاقة بينه وبين الخليفة المعتضد بتزويجه ابنته (قطر الندى)[٤] ، أو بهدف التقرب إلى الأتراك أصحاب القوة والنفوذ والسلطة الحقيقية في هذا العصر ، كما في زواج ابنة البريدي الوزير من بجكم التركي بحضور الخليفة الراضي [٥] ، أو للحصول على الخلافة كما في زواج ابنة أخي أم موسى من أبي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل [٦].

وفي هذا اللون من الزواج هضم للكثير من حقوق المرأة إذ يقول الجاحظ: "رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ويحتقرونهن اشد الاحتقار، ويبخسونهن أكثر حقوقهن، وإن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء إلا أن ينكر حقوق الأمهات[٧]" .

ولأن بعض أهل العصر كما يقول الوشاء : "إنهم في هذا العصر كانوا يجعلون المرأة بمنزلة الريحانة يتنعمون بنضرتها ويتمتعون بزهرتها حتى إذا جاء أوان جفافها وحالت عن حالها في وقت قطافها نبذها الرجل من يده وألقاها وباعدها عن مجلسه وقلاها" [٨].

وفي هذا جانب من جوانب الحياة الاجتماعية الصعبة التي تجرعت المرأة مرارتها ، وإن بدا في وصف الوشاء لحالة أبناء العصر نوع من التعميم الذي لا يسوغه ما وصل إليه هذا العصر من رقي .

ومن التأثيرات الأخرى للجواري على المجتمع قيامهن بدور (الموديل) أو (عارضة الموضة) بمهارة وإتقان . وذلك بنشرها أساليب جديدة في فني التجميل وابتكار الأزياء [٩]. وقد كان لهذه الأساليب أصداؤها على المجتمع النسائي للحرائر اللواتي أخذن يقلدن الجواري بالعناية بوسائل التجميل وابتكار الأزياء؛ مما يعني تغييرا في مفهوم الجمال عند المرأة هذا العصر.

---

(١) أنظر : وفاء علي محمد – الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية ، ص ٦٠-٧١.
(٢) الرشيد بن الزبير - الذخائر والتحف، ص٤٨-٤٩.
(٣) خمارويه بن أحمد بن طولون، من ملوك الدولة الطولونية بمصر، كان شجاعا حازما، اتسع الملك أيامه، قتله غلمانه على فراشه سنة ٢٨٣هـ. انظر: ابن خلكان- وفيات الأعيان ج٢، ص٢٤٩.
(٤) ابن الجوزي - المنتظم ، ج١٢، ص٣٤٣. انظر: ابن الأثير - الكامل، ج٦، ص٤٠٠.
(٥) الصولي – أخبار الراضي ، ص١٣٩.
(٦) ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٣، ص٢٠٩.
(٧) الجاحظ - رسائل الجاحظ - (رسالة النساء)، ص٩٩.
(٨) الوشاء – الموشى ، ص١٧٥.
(٩) المصدر نفسه ، ص١٨٤-١٨٥. أنظر مليحة رحمة الله – بناء المجتمع في العصر العباسي ، حولية كلية البنات ، جامعة عين شمي ، عدد ٦، ١٩٧٠، ص١٨٣، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ساهم ازدهار الحضارة في رفد هذا التغيير بوسائل التجميل المناسبة وصرعات الأزياء الرائجة من خلال الأسواق الخاصة التي أُقيمت لهذه الغاية[١].

وقد وصف ابن بطلان أشهر أساليب التجميل التي اتبعتها الجواري في تغيير ملامح الوجه والجسم باستخدام الأصباغ والدهون والروائح [٢].

ويلاحظ أنَّ نساء الطبقة المترفة من حرائر وجوارٍ كنَّ الأكثر اهتماماً بهذا الجانب. وقد نقلت المصادر التاريخية صوراً مبالغاً فيها تعكس مدى اهتمام هؤلاء النساء وثرائهن، فقد حرصت نساء الخلفاء على اقتناء أفضل أنواع الملابس والعطور ، وبالغن في ذلك حتى أن شغب أم المقتدر كان لها أحذية خاصة عرفت بنعلها المصنوع من ثياب دبيقية محشوة بالمسك ومخيطة بالحرير تسمى ثياب النعل [٣]، كما بالغن باستخدام الزينة والعطور فالمغنية (عَرِيب) مثلاً كانت تُغَلِّفُ شعرها بستين مثقالاً مسكاً وعنبراً، ولا تغسله إلا مرة واحدة في الأسبوع حيث كانت الجواري يقتسمن ماء غسالتها بالقوارير ليتعطرن بها [٤].

ونجد أنَّ صدى هذا الاهتمام قد تجلّى في الشعر، وفي النموذج الجمالي للمرأة التي بدا جانب الحضارة فيها واضحاً.

وقد ساهمت الجواري أيضاً في دفع مظهر اجتماعي آخر نحو المبالغة والترف وهو تبادل الهدايا، فبعد أن كانت تتناسب مع أوساطها الاجتماعية[٥] أصبحت على أيديهنَّ تميل نحو المبالغة والترف ولعل هذا يعود إلى مدى الثراء الذي تمتعن به.[٦]

وإنَّ نظرة تأملٍ سريعة في كتاب (الذخائر والتحف) للقاضي الرشيد بن الزبير وغيره من المصادر التاريخية كفيلة بإعطائنا صورة واضحة عن نوعية هذه الهدايا[٧]، التي تعدُّ الجواري النوع المحبب منها لا سيَّما بين أبناء الطبقة المترفة من الخلفاء والوزراء والأشراف وقد قُدِّر لبعضهنَّ أن يصلنا إلى مراكز مرموقة عند مواليهنَّ من الخلفاء مثل (مَحبوبة)[٨]

---

(١)الصولي - أخبار الراضي ، ص٧٦، ص١٨٣. انظر : الأزدي - حكاية ابي القاسم، ص٤١.
(٢) ابن بطلان - رسالة شري الرقيق، نوادر المخطوطات، ج١، ص٤١٠-٤١٥.
(٣) التنوخي – نشوار المحاضرة ، ج١، ص٢٩٤. أنظر : صلاح العبيدي – الملابس العربية في العصر العباسي، ص٣٢٣- ٣٢٤.
(٤) الأصفهاني - الأغاني ، ج٢١، ص٥٦. انظر: النويري- نهاية الارب ، ج٥، ص١١١.
(٥)الجاحظ - المحاسن والأضداد، ص٢٣٦.
(٦)القاضي ابن الزبير - الذخائر والتحف، ص٣١، ص٣٨، ص٦٨.
(٧)المصدر نفسه، ص٢٩-٣٠، ص٤٧-٤٨، ص١٩٠.
(٨) محبوبة، شاعرة ومغنيّة مُقدّمة في الحالتين على طبقتها، كانت ذات حظوة عند المتوكل وظلّت وفية له بعد مقتله توفيت سنة ٢٧٧هـ. انظر: ابن الساعي - نساء الخلفاء ص٩٢-٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعرة والمغنية التي أهداها عُبَيْدُ الله بنُ طَاهِر [١] مع مئة من الوصيفات إلى المتوكل، فنالت عنده منزلة عالية[٢].

ومن المفيد أن نذكر أن للجواري تأثيراً إصلاحياً على المجتمع بوجود الكثير من المتدينات والزاهدات والمتصوفات أمثال: (شُجَاع) أم المتوكل[٣]، و (حُسْن) جارية الإمام أحمدَ ابن حَنْبَل[٤]، و (جَوْهرة) زوجة أبي عَبْدِ الله البَرَاثِي[٥].

ويتضح من هذا الجانب أنّ الجواري لم يكنّ فقط بائعات لذة ومتعة كما يعتقد البعض. بل كانت الكثير منهن زاهدات عابدات ، كما نرى ضخامة الدور الذي تقوم به الجواري، وهو يفوق الدور المحدود الذي لعبته الحرَّة التي عُزلت في البيوت ومنعت من الخروج .

وقد انعكس هذا الأمر على الحياة الأدبية وظهر في الشعر والأدب بشكل بارز حيث اتجّه إلى الجارية ولم يذكر الحرّة إلاّ قليلاً.

الحياة الاقتصادية :

لقد بدت صورة المجتمع العباسي هذا العصر من خلال المصادر التاريخية صورة مجتمعٍ مترف يعيش حياة البذخ والإسراف. ولعل هذه الصورة إنما جاءت انعكاساً لجانب واحد من جوانب المجتمع هو الجانب المترف الذي تعيشه الطبقة الأرستقراطية رجالاً ونساءً. وهذه الصورة لا تمسُّ الجوانب الحقيقية للحياة الاقتصادية التي عاشتها العامة ؛ مما يجعلنا نجد صعوبة في تحديد طبيعة الحياة الاقتصادية التي عاشتها تلك المرأة بخلاف المرأة المترفة التي امتلأت المصادر بأخبارها وصور إتلافها للأموال مما يعكس بسهولة المستوى الاقتصادي الذي تمتعّت به.

وممن عُرفن بالغنى والثروة نساء الخلفاء وقهرماناتهن مثل (قبيحة) زوجة المتوكل التي خلّفت وراءها كما أسلفنا ثروة طائلة تقدّر بالملايين[٦] وكذلك (قطر الندى) زوجة المعتضد التي كان لها ودائع عظيمة عند ابن الجصاص أشهر تجار العصر [٧]، والسيدة (شَغَب) زوجة

---

(١)عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، أديب واميرٍ وشاعر، وهو صاحب الشرطة في بغداد في عهد المعتضد ت ٣٠٠هـ. انظر : الشابشتي- الديارات ، ص١١، الأصفهاني - الأغاني،ج٩، ص٣٠.
(٢)ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب، ج٣، ص٢١٩. انظر: السيوطي - المستظرف، ص٦٣-٦٧.
(٣) الخطيب البغدادي -٠ تاريخ بغداد، ج٧، ص١٦٦. انظر: ابن الأثير - الكامل ج٦، ص١٠٩.
(٤)السيوطي - المستظرف، ص٢٠-٢١.
(٥) ابن الجوزي - صفة الصفوة ، ج٢، ص٢٩٣.
(٦) ابن العبراني - مختصر تاريخ الدول، ص٢٥٦.
(٧) الهمذاني – التكملة ، ج١، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعتضد التي كانت غاية في الثراء، ولها كثيرٌ من الضيّاع بواسط تدرّ عليها الآلاف سنوياً بل إنّ الدولة اعتمدت عليها لثرائها في بعض حروبها خاصة مع القرامطة، وقد تعرّضت بسبب أموالها إلى التعذيب من قبل الخليفة القاهر(١).

ومن ثريات القهرمانات: فاطمة القهرمانة(٢) وأم موسى القهرمانة(٣) والمغنّية (عَريب)(٤).

ولعل ثراء هؤلاء الجواري والقهرمانات إنما اعتمد على خزينة الدولة من خلال الصلات والهبات التي يغدقها الخلفاء عليهنّ خاصة الخليفة المقتدر الذي فاق جميع الخلفاء في ذلك، إذ كان يدعو بالأموال ويفرّقها على الجواري(٥) حتى أنّه أعطى إحداهنّ الدّرة اليتيمة التي تزن ثلاثة مثاقيل(٦). كما حصلت زيدان القهرمانة على سبحة ثمينة يضرب بها المثل في النفاسة(٧).

ومن المؤكد أنّ هذا الأمر ترك تأثيراً سلبياً على خزانة الأموال؛ فأفرغها وأضعف الخلافة وأحسّ الخلفاء بثقل هذا الأمر، فقد لمس المهتدي هذه الحقيقة حين قال: "أمّا أنا فليس لي أم أحتاج غلة عشرة آلاف دينار في كل سنة لجواريها وخدمها والمتصلين بها(٨) " . وذلك عندما تولّى الخلافة ودرس مالية الدولة.

أمّا نساء العامة فلم يتمتعن بثراء هؤلاء ولا حتى بجزء يسير منه، فالفرق بين نساء العامة ونساء الطبقة المترفة شاسع جداً بحيث لا يمكننا إعطاء صورة اقتصادية صحيحة وشاملة للمرأة في هذا العصر(٩).

فالمرأة من نساء العامة كانت مدركة تماماً لظروفها الاقتصادية؛ لذلك وضعت نصب عينيها مسؤولية إدارة المنزل والاقتصاد في النفقات والمساهمة في توفيرها وتحصيلها لذلك أقبلت على العمل بشتى أشكاله المتاحة، لا سيّما تلك الفئة التي أرادت استقلالاً مالياً(١٠) أو توفير مصدر رزق ثابت تعيل به نفسها في حالة عدم وجود معيل أو في حالة ضآلة ما يقدّمه المعيل

---

(١) مسكويه - تجارب الأمم، ج١، ص٢٤٥.
(٢) ابن الجوزي - المنتظم ، ج١٣، ص١٢٧.
(٣) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٢٩.
(٤) الأصفهاني - الأغاني، ج٢١، ص٥٦.
(٥) البيروني - الجماهر في تمييز الجواهر، ص٥٧. انظر: ابن الجوزي - المنتظم، ج١٣، ص٦٤.
(٦) ابن ساعدة - نخب الذخائر، ص٣٥.
(٧) ابن الاثير - الكامل، ج٧، ص٤٥٤.
(٨) ابن كثير - البداية، ج١١، ص٢٠. انظر: ابن الأثير - الكامل، ج٦، ص٢٠٣.
(٩) مليحة رحمة الله - الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، ص١٢٤.
(١٠) وديعة طه النجم – أضواء على منزلة المرأة في العصر العباسي ، مجلة عالم الفكر ، عدد١، مج ١٨، ١٩٨٧، ص٢٢٣-٢٣١. أنظر فهمي عبد الرزاق – العامة في بغداد ، ص١٣٥- ١٥١، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها من أموال كحال (أمّ فيلولة) إحدى شخصيات الجاحظ في كتابه البخلاء، التي كانت تشكو صعوبة العيش بسبب بخل ابنها، فقد كان يرسل لها درهماً كل عيد أضحى وأحياناً درهماً كلّ عيدين[١].

أمّا الأعمال التي قامت بها المرأة فقد تفاوتت بين الكثرة والقلة أمام المرأة الحرّة والجارية، فالحرّة كانت فرص العمل أمامها قد تأثرت كثيراً بعادة عزل النساء في البيوت التي كانت منتشرة في المجتمع بينما كانت متاحة أكثر أمام الجارية.

ومن الأعمال التي شاركت الحرّة فيها الجارية تلك الحرف التي تتصل باحتياجات المجتمع النسائي أو تلك الحرف التي لا يَصلح للقيام بها غير النساء مثل الحاضنة والمربية والخدمة في البيوت والدّاية والقابلة والدّلالة وبيع الطيب وزينة النساء وصناعة آلة العرائس(٢)، إضافة إلى أعمال الغزل والنسيج[٣].

وقد قامت بعض الحرائر من الثريات بأعمال أخرى كالتجارة منهنّ مثل (دَسْتَنْويه) إحدى زوجات المعتضد التي كانت تعمل بالتجارة وتجني أرباحاً واسعة منها[٤]. وكذلك (شَغَب) أم المقتدر التي كانت تعمل في التجارة وتملك الكثير من الحوانيت وتتحكم بالأسعار والسلع المختلفة[٥].

فضلاً عن هذا قامت الجواري بتولّي أعمالٍ إدارية تتطلب مستوىً تعليمياً عالياً كالكتابة لنساء الخلفاء والوزراء في دواوينهنّ الخاصة كما يقول الجاحظ "لم يزل للملوك والإشراف إماء يختلفن في الحوائج ويدخلن الدواوين[٦]"، ومن هؤلاء الكاتبات (عَابدة) الجهنيّة [٧] زوجة عمّ الوزيرأبي جعفر بن شيزراد [٨] وزير المستكفي وكاتبة القائد التركي (بَجْكَم) [٩] و (مُنْيَة) جارية (خلاّفة) أم ولد المعتضد التي كانت كاتبة حاذقة[١٠].

إضافة إلى أشهر الكاتبات اللواتي ذكرهن أبو بكر الصولي ت ٣٣٦هـ في كتابه "أدب الكُتّاب [١١]" .

---

(١) الجاحظ - البخلاء ، ج٨٢.
(٢) ابن قيم الجوزية - أخبار النساء، ص٢١٧.
(٣) ابن بطلان - (رسالة شري الرقيق) ، نوادر المخطوطات، ج٢، ص٤١٨-٤١٩. انظر: الأزدي - حكاية أبي القاسم، ص٥٠.
(٤) الهمذاني - التكملة، ج١، ص٩٢.
(٥) مسكويه - تجارب الأمم، ج١، ص٧٤.
(٦) الجاحظ - ثلاث رسائل (رسالة القيان) ، ص٦٢.
(٧) السيوطي -نزهة الجلساء في اشعار النساء، ص٥٧.
(٨) الوزير أبو جعفر بن شيرزاد: وزير المستكفي الذي أكرمه حتى غدا له الحل والربط في الدولة، انتهى أمره بعد أن سمل ناصر الدولة الحمداني عينيه سنة ٣٣٥ هـ. انظر مسكويه - تجارب الأمم، ج٢، ص٨١-٨٢
(٩) بجكم: قائد تركي يعدُّ أعقل الناس وأحسنهم تدبيرا، اعتمد عليه الخلفاء كثيرا وقدّموه على وزرائهم خاصة الخليفة الراضي ت ٣٢٩هـ. انظر: ابن العمراني - الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٦٨.
(١٠) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٢. انظر: ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٠٣.
(١١) الصولي - أدب الكتاب، ص٤٢، ص٧٩، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تجاوزت الجواري هذه الأعمال الإدارية لتتولى مناصب إدارية أرفع كالقضـــاء. حيث تعدُّ (ثُمْل) جارية ام المقتدر أول قاضية في تاريخ الإسلام[١]. وتبقى أعمال الغناء والعـزف والسقاية والنوح أكثر الأعمال إقبالاً من الجواري، فقد اشتهرت أسماء الكثـــير مـــن المغنيـــات العازفات والساقيات وحتى النائحات في المآتم، وقد اشتهرت في هذا المجال (حَبَّابة) وهي نائحـــة تعمل في الكرخ، وصفها الأزدي أنها لا أخت لها ولا نظير في عملها حتى انهال عليـــها النـــاس وعلى نوحها بالعراق فاشتراها خراساني بثلاثين ألف درهم[٢].

ونرى أنَّ المرأة سعت إلى العمل لرغبتها في إيجاد استقلالها المالي الـــذي يكفـــل لـــها حرية التّصرف والقدرة على تأمين حياة مناسبة. علماً بأنَّ متوسط معدّل الإنفاق يومياً، وبشـــكل يوفّر حياة مناسبة هو دينار بمعنى أنَّ نفقات الشهر الواحد تساوي ثلاثيـــن دينـــاراً[٣]. وهـــذا لا يشمل معدلات الإنفاق في قصور الخلفاء ومترفي العصر التي بلغت الآلاف شهرياً، لكنـــه يبـــدو مقبولاً في طبقات العامة. وهذا التفاوت في معدلات الإنفاق يعكس حقيقة الوضـــع الاقتصـــادي العام للعصر، وما نتج عنه من موجات غلاء الأسعار والفقر التـــي رافقـــت بعـــض الأحـــداث السياسية مثل ثورات الزنج والقرامطة.

وقد عاشت المرأة هذه الموجات من غلاء الأسعار والفقر وما نتج عنهما من مجاعـــات وعانت منها كثيراً، وحاولت إبراز موقفها أمام الخلفاء والمترفين بحثاً عن الإنصاف وذلك عندمـــا حاولت عشرون امرأة سنة ٣٣٣هـــ الخروج فـــي بغداد ممســـكات بعضـــها ببعـــض وهـــن يصـــحـــن الجوع الجوع ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتّات[٤].

هذه بعض صور المعاناة التي عاشتها نساء العامة مع الظروف الاقتصاديـــة المتردية التي شهدها العصر في بعض فتراته، في الوقت نفسه لم تكن تشعر نساء الطبقة المترفـــة بمثـــل هذه الأحداث لانشغالهنَّ بالبحث عن طرق طريفة لإتلاف أموالهنَّ.

فقد بحثت (مَخَارِق) أم المستعين عن وسيلة للترفيه عن نفسها وتســـلية ابنـــها الخليفـــة المستعين فلم تجد إلاَّ عمل تُحفةٍ فنيّة كلّفتها مبلغ مئة وثلاثين ألف دينار. وقـــد أرادت أن يراهـــا المستعين لكنه أمر أفراد حاشيته باقتسامها دون أن يراها فلما عاتبته في ذلك قال: "يعاد مثلـــها!! فأعيد مثلها في مدة شهرين !!.[٥]

---

(١) ابن الجوزي - المنتظم، ج١٣، ص١٨٠-١٨١.
(٢) الأزدي - حكاية أبي القاسم، ص٨٣. انظر: الجاحظ - ثلاث رسائل (رسالة القيان)، ص٦٢.
(٣) الأزدي - حكاية أبي القاسم، ص٧٣
(٤) الذهبي - دول الإسلام، ج١، ص١٦٢.
(٥) القلقشندي - مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١، ص١٨٩-١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا لا يعني أن جميع نساء الطبقة المترفة كن على هذه الشاكلة بل إن كثيرا منهن كن على درجة كبيرة من الحرص على سلامة المجتمع وقوة الدولة لمعرفتهن أن بقاء الأموال في خزائن الدولة هو خير ضمان لاستمرارها وقوتها [١]. وقد كانت (شغب) أكثرهن إصلاحا، فقد أولت الجوانب الصحية للمجتمع اهتمامها؛ فقامت بإنشاء مارستانا وتوفير نفقاته[٢]، كما اهتمت بمصالح الحجيج وتوفير الرعاية الطبية والغذائية لهم [٣] بل إنها أوقفت على الحرمين الشريفين الكثير من أموالها التي عذبت بسببها من قبل الخليفة القاهر[٤].

وبعض نساء هذه الفترة تركن بصمات واضحة بإحسانهن إلى الفقراء وإنفاقهن في وجوه الخير المختلفة مثل (شجاع) أم المتوكل[٥] و (خمرة) زوجة المقتدر وأم ولده عيسى(٦).

وقد ظهرت في المجتمع بعض الممارسات التي أثرت سلبيا على اقتصاديات الطبقة المترفة أبرزها: ظاهرة مصادرة الأموال وهي نوع من العقوبات ضد المترفين؛ مما دفع بهؤلاء إلى دفن أموالهم في باطن الأرض، فانتشرت مدافن الأموال بكثرة مما اسهم في ضياع الكثير من الثروات في باطن الأرض [٧] كثروات (قبيحة) زوجة المتوكل[٨]. وثروات أم المقتدر التي أخرجت من تربتها بالرصافة [٩]، وبالتالي حرمان المجتمع اقتصاديا من الاستفادة بها.

ولا ننكر أن للأموال المصادرة أثر كبير في زيادة رصيد خزائن الأموال التابعة للخلافة مما يسهم في زيادة قوتها وصمودها.

ولعل اشهر المصادرات من النساء هن القهرمانات مثل فاطمة [١٠] وأم موسى التي احتيج لضبط أموالها المصادرة إنشاء ديوان خاص سمي ديوان مقبوضات أم موسى[١١]. وابن الجصاص الذي كانت عنده ودائع عظيمة لقطر الندى بنت خمارويه جعلها له بعد وفاتها [١٢].

الحياة الثقافية:

حقق هذا العصر نهضة حضارية وثقافية مزدهرة ، تمثلت في كثرة علمائه وأدبائه

---

(١) مصطفى جواد – سيدات البلاط العباسي ، ص٦٣.
(٢) ابن الجوزي - المنتظم، ج١٣، ص١٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ج١٣، ص٣٢١.
(٤) مسكويه - تجارب الأمم، ج١، ص٢٤٥.
(٥) ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب، ج٣، ص١٦٦.
(٦) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٠٦-١٠٨.
(٧) حمدان الكبيسي – أسواق بغداد ، ص١٦١.
(٨) الطبري - تاريخه، ج٥، ص٤٣١. انظر: ابن الجوزي - المنتظم، ج١٢، ص٨٠.
(٩) مسكويه – تجارب الأمم ، ج١ ، ص١٩٣. أنظر : ابن الوردي – تاريخه ، ج١ ، ص٢٥١.
(١٠) ابن الجوزي - المنتظم ، ج١٣، ص١٢٧.
(١١)مسكويه - تجارب الأمم، ج١، ص٨٤.
(١٢) الهمذاني – التكملة ، ج١، ص١٥. أنظر : ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشعرائه ممن حملوا مشعل العلم والأدب والشعر ، وفي كثرة مصنفاتـــه مـــن كتـــب ورســـائل وضعت في كل لون من ألوان المعرفة ؛ فكانت لا تقدر بثمن .

ولا بدَّ في عصرٍ هذا حاله من أن تنال المرأة حقَّها من التعليم، وإن اختلف كما وكيفـــاً من المرأة الحرّة إلى الجارية.

وقد كان حظَّ الحرائر من التعليم يسيراً بسبب ما فُرضَ عليهنَّ من عزل وحجـــب فـــي البيوت وهذا لا يعني أن المرأة الحرة كانت أمية غير مثقفة ، بعكس الجارية التي أملـــت عليـــها ظروف حياتها إقبالها على التعليم [١]، وذلك لناحية شرائية ؛ لأن الجارية التـــي تقـــرأ وتكتـــب وتنظم الشعر وتغني كانت تُباع بأثمان غالية ، وتولت هذه المهمة دور القيان فأُتيح لها بذلك قـــدراً كبيراً من التعليم يفوق ذلك الجزء اليسير الذي حصلت عليه الحرة، وحتى هذا الجزء لـــم يكـــن متاحاً لجميع الحرائر.

فالملاحظ أنَّ المتعلمات من الحرائر كُنَّ من بنات العلماء أو من ذوي قراباتهم أو مـــن بنات الأشراف والأثرياء المحبّين للعلم والمقبلين عليه أو ممن فتحوا بيوتهم وقصورهم للعلمـــاء للمذاكرة والتعليم؛ فيكن بذلك قد استفدن بصورة طبيعية من الدروس التي تعقد في بيوتهنَّ.

ومن هؤلاء [٢] ابنة القاضي المحاملي [٣] التي درست على يد أبيها وإسماعيل الوراق وبلغت مـــن العلم مبلغاً عظيماً[٤]. وأم عيسى ابنة إبراهيم الحربي [٥] التي درست على يد أبيها وكانت عالمة فاضلة تفتي في الفقه[٦]، والعباسة بنت الفضل زوجة الإمام أحمد بن حنبـــل[٧]، كـــما اســـتغلت بعضهن مجالس المذاكرة التي تعقد من حين لآخر في المساجد وتخصّص للنســـاء فقـــط مثـــل مجالس الإمام أحمد بن حنبل التي تعقد مساءً في المسجد [٨] وكانت تغشـــاها خديجـــة أم محمـــد المُحدّثة[٩].

وهذا يعني أنَّ المرأة حاولت الحصول على تعليم بقدر محدود، لم يكن له تـــأثير علـــى

---

(١) عبد الحميد فايد – المرأة وأثرها في الحياة العربية ، ص٧٨.
(٢) مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، ص١٢٥-١٢٨.
(٣) القاضي المحاملي: الحسين بن اسماعيل المحاملي، قاض من الفقهاء والمكثيرين من الحديث، كان ورعا محمود السيرة ت ٣٣٠هـ. انظر : الخطيب البغدادي- تاريخ بغداد، ج٧، ص١٩-٢١.
(٤) ابن الجوزي - المنتظم، ج١٤، ص٣٢٥-٣٢٦.
(٥) إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي، من أعلام المحدثين، كان حافظا للحديث، عارفا بالفقه، زاهدا، له كتاب غريب الحديث. انظر: الحموي - معجم الأدباء، ج١، ص٤١.
(٦) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٤٢.
(٧) المصدر نفسه، ج١٤، ص٤٣٨.
(٨) منير الدين أحمد - تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٨١.
(٩) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجتمع [١]، كما تشير المصادر إلى نوعية العلوم التي أقبلت المرأة على دراستها وهي في الغالب علوم دينية تشمل على الحديث والتفسير والفقه إضافة إلى إلمامهن بعلوم اللغة والأدب والتاريخ.

ومن اشهر النساء اللواتي عُرفن بالفضل ورواية العلم والحديث والفقه: عَبْدة بنت عبد الرحمن أم أحمد الأنصارية المُحدّثة التي حدّثت عن أبيها، وروي عنها محمد بن مخلد الدوري العطّار المتوفى سنة ٣٣١هـ[٢] والفقيهة أم عيسى بنت إبراهيم الحربي العالمة الفاضلة التي تفتي في الفقه، وأمة الواحد ستيتة بنت القاضي المحاملي، وجوهرة زوجة أبي عبد الله البراثي الزاهدة [٣]، وميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخواص المتصوفة [٤]، والعابدة اليمنية التي كان يُسمع دوي القرآن في خيمتها الليل كله [٥]، وفاطمة بنت عبد الرحمن بن أبي صالح الحراني التي سمعت عن أبيها وكانت تُعرف بالصوفية[٦]. ومع ذلك لم يكن تأثير هؤلاء على المجتمع كبيراً ؛ لأننا لم نحظ بشيء من آثارهن شعراً أم نثراً يُصوّر مدى رؤيتهن للواقع الاجتماعي والثقافي في هذا العصر خاصة الزاهدات والمتصوفات .

وممن عُرفن بحب الشعر ونظمه من الحرائر ثمامة بنت القاضي عبد الله بن سوار التي تناقلت المصادر بكاءها ورثاءها لأخيها[٧] . ولا ننسى أمُّ الشّريف وهي من النساء الفاضلات اللواتي عُرفن بالحكمة والعقل وسداد الرأي، وقد ظهر هذا في رسائلها الشعرية التي وجهتها لابن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى الشيخ وللخليفة المعتضد إبان الأزمة بينهما[٨]، وزهراء الكلابية التي نقلت المصادر غزلها ورثاءها[٩].

أمّا الجواري ففي ظلّ الإقبال عليهن زاد الاهتمام بالجواري اللواتي يجمعهن بين جمال الجسد وجمال الروح والعقل. إذ لم يعد جمال الجسد وحده مطلوباً في الجارية بل إنهم طلبوا صفات أخرى روحية كثيرة منها جمال الحديث وطلاوته وبراعة المنطق وحسن الذوق وسعة الثقافة وحضور البديهة وسرعة الخاطر والمهارة في مجالسة العلماء والخلفاء والأمراء ومحادثتهم والقدرة على نظم الشعر. وقد تنبّه المقينون وتجار الرقيق لهذا الجانب في نوعية الجارية الرائجة؛ فدأبوا على تعليم جواريهم وتثقيفهن بألوان الثقافة المختلفة. تقول فَضْل الشاعرة عندما

---

(١) مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، ص١٢٩.
(٢) الخطيب البغدادي- تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٩.
(٣) المصدر نفسه ، ج١٤، ص٤٣٦.
(٤) المصدر نفسه ، ج١٤، ص٤٣٨.
(٥) المصدر نفسه ، ج١٤، ص٤٤١.
(٦) المصدر نفسه، ج١٤، ص٤٤١.
(٧) السيوطي - نزهة الجلساء في أشعار النساء، ص٢٩.
(٨) المسعودي - مروج الذهب، ج٤، ص٢٤٠-٢٤٣.
(٩) الأصفهاني - الأغاني، ج٥، ص٢١٦. انظر : البصري - الحماسة البصرية، ج١، ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حُملت من البصرة للمتوكل "كنتُ أُعلَّمُ آداب خدمة الخلفاء طوال طريقي لأجل جهلي بها ونشوئي في خدمة العوام والسفهاء[١]" .

وقد تبارى أبناء المجتمع في اقتناء مثل هذه النوعية من الجواري لا سيما المترفون في قصورهم أو في هداياهم للخلفاء والأمراء، وحتى هؤلاء تنبّهوا لهذه الجارية التي يضمونها إلى قصورهم، فالمتوكل كما يروي السيوطي كان يفضل فيمن يضم إلى قصوره من جوارٍ أن يكنّ على درجة عالية من الثقافة، فقد روي عنه أنه قال لمّا دخلت عليه (فَضْل) الشاعرة يوم أُهديت إليه: أشاعرةٌ أنتِ؟ فقالت : كذا يزعم من باعني واشتراني؛ فضحك إعجاباً بسرعة جوابها وفطنتها[٢] . بل إنّ بعض الخلفاء كانوا يجرون اختباراتٍ معينة إذا ما أرادوا شراء جارية شاعرة مثلاً ليتأكدوا من قدرتها على النظم وبراعتها في القول. وهذه شبيهةٌ بتلك الاختبارات التي قام بها الخليفة المعتمد عندما اشترى جاريته (نبْت)[٣] ؛ وربما كلّفوا أحد الشعراء الكبار باختيارها فيشير عليه بابتياعها أو رفضها كما فعل علي بن يحيى المنجم [٤] الذي أشار على الخليفة المعتمد بشراء (نَبْت).

وتعدُّ المغنّيات أكثر الجواري إقبالاً على التعليم لأهميته بالنسبة لهنّ خاصة في أوساط الطبقة المترفة؛ لذا نجد أنهنّ تركن بصمات واضحة على الحياة الثقافية [٥]. فقد بلغ عددهن في بغداد سنة ٣٠٦هـ أربعمائة وست مغنيّات من الجواري عشر حرائر ممن لا يتظاهرن به لشدة رقابة الأولياء عليهنّ[٦].

وهذا الرقم كفيل بتفسير مدى تأثيرهن على الحياة في هذا العصر، إذ نجد أن الغناء أصبح من ضرورات الحياة بحيث لا يخلو وسط اجتماعي منه، إضافة إلى بروز ظاهرة تذوق خاصة بالغناء؛ مما أدى إلى ظهور شيء من الاختصاص في كل وسط اجتماعي، فالعامة لهم مغنّياتهم وللخاصة كذلك وصنف آخر اقتصر غناؤهنّ على أوليائهن في القصور مثل (شَأجي) جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر التي سُمّي غناؤها غناء الدار[٧]، هذا بالإضافة إلى المنافسات التي تجري بين المغنيّات كتلك التي جرت بين (عَرِيب) و (خَشِف الواضحية) حول

---

(١) الصابي - الهفوات النادرة، ص٢١.
(٢) السيوطي - المستظرف، ص٥١.
(٣) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٠٢-١٠٣.
(٤) علي بن يحيى المنجم، شاعر الخلفاء، كان ذا حظوة عندهم لسعة علمه بالرواية والأخبار، اهتمَّ المعتمد به كثيراً وأولاه عنايته حتى توفى سنة ٢٧٥هـ. انظر ترجمته: الأصفهاني - الأغاني، ج٩، ص٢٢، المرزباني - معجم الشعراء، ص١٥٠.
(٥) مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، ص١٢٩. انظر : محمد جمال الدين سرور- الحياة الاجتماعية في بغداد ، مجلة العربي ، عدد٥٧، ١٩٦٣، ص٣٣.
(٦) الأزدي - حكاية أبي القاسم، ص٨٧.
(٧) النويري - نهاية الأرب، ج٥، ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عدد أصوات غناء (عُلَيَّة بنت المهدي)[١] ؛ مما يغني العملية الإبداعية عندهن ويعكس ثقافتهن الغنائية.

ومن أشهر مغنيات العصر[٢] (عَرِيب)[٣] المأمونية التي نبغت في الغناء وهي صغيرة فاشتراها المأمون ونُسِبَت له[٤]، وقد عاصرت عدداً كبيراً من الخلفاء الذين رفعوا شأنها في الغناء وأصبحت سيّدته بلا منازع ومنهم الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد على الله. وقد برعت كذلك في الضرب على العود ونظم الشعر وكتابة النثر وحسن الخط[٥]، ولغنائها ديوان مفرد[٦]، وقد كان المعتمد قد أمر بجمع غنائها وكتابته فكان في ألف بيت[٧]، وتوفيت سنة ٢٧٧ هـ[٨].

ومن المغنيّات المذكورات بالحذق والصنعة (نَاشِبُ) المتوكلية[٩]، و(بِدْعَةُ) الكبيرة جارية (عَرِيب) التي كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً، وكانت تقول شعراً ليناً يُستحسن من مثلها[١٠]. و(مَحْبُوبَة) جارية المتوكل التي كانت شاعرة ومغنيّة مُقدَّمة في الحالتين على طبقتها، حسنة الوجه والغناء[١١]، و (فَرِيْدَة) الصغرى زوجة المتوكل وكانت مُغنيّة محسنة[١٢]. و(نَبْت) جارية المعتمد التي وصفت أنهَّا مغنيّة حسنة الغناء وشاعرة سريعة الهاجس[١٣]. إضافة إلى شَارية وسَرَاب ونَجْلة ونُدْمَان، ومُنْعِم وتُرْكية[١٤].

ومن الشاعرات الجواري في هذا العصر: (فَضْل) فقد كانت "حسنة الوجه والجسم والقوام، أديبة فصيحة، سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر، لم يكن في نساء زمانها أشعر منها [١٥]"، كما كانت تجلس للرجال فتعارضهم، وكان لها كرسيٌّ خاص في مجلس المتوكل

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٢١٦.
(٢) أنظر : جمال بدران – الجواري والحظايا ، ص٦٨-١٠٤، عيسى سابا – المغنيات في الأدب العربي، ص٤٨-٥٤، فايد العمروسي – الجواري المغنيات ، ص١٧٢-٢٥٦.
(٥) انظر ترجمتها: الأصفهاني - الأغاني، ج٢١، ص٤٠، ابن الجوزي - المنتظم، ج١١، ص٣٠٠، السيوطي- المستظرف، ص٣٧، ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص٥٥.
(٤)السيوطي - المستظرف، ص٣٧.
(٥) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص٥٨.
(٦) الأصفهاني - الأغاني، ج٢١، ص٤١.
(٧)المصدر نفسه، ج٢١، ص٤١.
(٨)ابن كثير - البداية، ج١١، ص٤٨.
(٩) ابن الساعي - نساء الخلفاء ص٩١.
(١٠) السيوطي - المستظرف ، ص١٣.
(١١) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص٩٢.
(١٢) السيوطي - المستظرف، ص٥٠.
(١٣) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٠١، سريعة الهاجس: سريعة الخاطر. ابن منظور - اللسان، مادة هجس.
(١٤) الشابشتي - الديارات، ص١٥٤.
(١٥) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠. انظر: الأصفهاني - الأغاني ج١٩، ص٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجلس عليه لتساجل الشعراء وتطارحهم، وكم من شاعر تغلبت عليه[١]. وقد نقلت المصادر مساجلاتها المختلفة، و (عريب) التي وصفها ابن المعتز أنها من الشاعرات الفصيحات البليغات[٢]، و (بنان) جارية المتوكل وشاعرته[٣]، و (خنساء) جارية هشام المكفوف التي كانت (فضل) تهاجيها[٤]، و(محبوبة) شاعرة المتوكل التي ألزمها مجلسه حتى لا تفارقه[٥].

وقد دونت بعضهن الشعر كما فعلت (دولة) جارية ابن المعتز التي روت شعره كله[٦]، كما برعن في الكتابة والخط مثل (عريب) التي تركت جملة من المكاتبات والرسائل التي تمثل نموذجا عاليا من الجودة والإتقان [٧] و(فضل) التي وصفها الأصفهاني أنها أحسن خلق الله خطا[٨].

ويبقى أن نقول عن تفوق الجواري أيضا في العلوم الدينية، فقد روت (حسن) جارية الإمام أحمد بن حنبل الكثير من المسائل الفقهية عنه[٩]. وكذلك (منية) جارية (خلافة) زوجة المعتضد التي حدثت عن الوشاء، وروى عنها عبد الله بن الحسين بن عبد الله البزار الأنباري[١٠].

ويتضح مما سبق عظم الدور الذي بذلته الجارية للنهوض بالناحية الثقافية لها وبالتالي النهوض بالمستوى الثقافي العام للمرأة، وهو أمر من الإنصاف أن نذكره للجارية التي دأبت المصادر على تصويرها ماجنة وبائعة لذة ومتعة فقط لا عالمة ولا شاعرة كان لها أثرها في رفد عالم الشعر والكتابة بموضوعات جديدة.

---

(١) السيوطي - المستظرف ، ص٥١.
(٢) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠. انظر الأصفهاني - الأغاني، ج١٩، ص٣٠١.
(٣) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص٩١.
(٤) الأصفهاني - القيان، ص١١٦. انظر: ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠١، الأصفهاني - الأغاني، ج١٩، ص٣٠٨-٣٠٩.
(٥) نفسه - الأغاني، ج٢٢، ص٤١٠.
(٦) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٢٢.
(٧) أنظر ظمياء محمد عباس – نساء خطاطات ، المورد ، عدد٤، مج١٥، ١٩٨٦، ص١٤٣.
(٨) السيوطي - المستظرف ، ص٥١، ص٣٨.
(٩) المصدر نفسه ، ص٢١.
(١٠) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٠٣-١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

صورة المرأة في شعر الغزل

الصورة المادية

الزينة والتجميل

الصورة المعنوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة المرأة في شعر الغزل

لقد كان للأدب بأساليبه المختلفة أثر كبير في رسم صورة المرأة، خاصة الشعر الذي يُعدُّ ميداناً واسعاً يتحدث فيه الشعراء عن أحوال المرأة وعلاقاتها المختلفة ضمن أغراضه الشعرية لا سيّما الغزل.

فالمرأة والغزل ثنائية قائمة منذ الأزل، " فلا تكاد تُذكر إلا يُذكر معها الحب والجمال[١] " لتشكل هذه العناصر معاً محور الغزل، ومنابع الفكر، ومصادر اللذة، ومتع الحياة، كما في قول دِعبلِ الخِزاعي:[٢]

إنَّما العَيْشُ خِلالٌ خمْسَةٌ حبّذا تلك خِلالاً حَبّذا
خِدمَةُ الضَّيْفِ وكأسٌ لَذَّةٌ ونَدِيمٌ وفَتاةٌ وغِنا

بينما تبدو المرأة عند البحتري لذة الحياة كلهًا يقول:[٣]

أيُّها السّائِلُ عن لَذّتِنا لَذَّةُ العَيْشِ الرَّعابيبُ الخُرُدْ

وقد أبدع الشعراء في رسم صورتها من ناحيتين: حسيّة يشيع فيها جمال الجسد، وفتنته، وزينته، ووسائل تجميله من أصباغ، وحليّ، وثياب. ومعنويةً تسودها العاطفة وقصص الحبّ، وما رافقها من شكوى وعتاب وغيرة وبكاء، وما سببّه الوشاة والرقباء من آلام، وما كان للرسائل والرسل من تأثير في إدامة العلاقة بها، وما ساد شخصيتها من أخلاق وصفات.

وكان الغزل أكثر الأغراض الشعرية شيوعاً على ألسنة الشعراء؛ لتأثرهم بواقع الحياة الاجتماعية، وما طرأ عليها من تغييرات كانتشار الفساد والابتذال بسبب شيوع الجواري، وما رافق ذلك من صور الترف المادي وألوان المجون التي انغمس فيها كثيرٌ من أبناء العصر. لذلك جاء جلّ شعر الغزل في الجارية، ولم تنل المرأة الحرة منه إلاّ حظّاً يسيراً[٤].

---

(١) حسن الحاج - أعلام الشعر العباسي ، ص٢١٦.
(٢) دعبل الخزاعي - الديوان، ص٤٨.
(٣) البحتري - الديوان ج١ ص٣٩٢. الرّعابيب : الجارية الحسناء الناعمة. ابن منظور - اللسان، مادة رَغبَ.
(٤) توفيق الفيل - القيم المستحدثة في الشعر العباسي، ص٣٣١، انظر: شوقي ضيف-الشعر و طوابعه الشعبية على مر العصور ،ص ١١٤، واجدة الأطرقجي-المرأة في الأدب العباسي، ص١٥٨، عامر نايف الهيتي - بغداد في شعر العصر العباسي الأول، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة المادية للمرأة في شعر الغزل:

أثّرت المرأة بفتنتها وسحرها وأساليبها على لُبِّ الشاعر وفكره، فانبرى يصفها وصفاً مادياً حسّياً منطلقاً من مضامين رؤيته الشعرية لها التي تحفل بصورة الجسد المادية وتفاصيله الدّقيقة .

وتبارى الشعراء في البحث عن نموذج نسائي للجمال المادي الملموس الذي يستثير فيهم القرائح ويشحذ القدرات،و تباين الشعراء في رسم معالم هذه الصورة،منهم من جاءت عنده تقليدية ،و منهم من استقى معالم هذا الجمال المادي للمرأة من واقع بيئتهم الاجتماعية التي امتزج فيها الجمال التقليدي بعناصره الموروثة عن العرب بالجمال المادي الذي جاءت به الجارية بعناصره الجديدة التي طال تعطش الشعراء لها في بحثهم عن الجمال المطلق لجسد المرأة لأنها امرأة المتعة واللذة.

فجاءت حوراء العين أسيلة الخد ، هيفاء القامة، لفآء الجسم[١]،تحاكي البدر ضياءً والشمس نوراً والنجم بُعداً والقضيب قَدّاً والورد حُمْرةً، السِّحر في طرفها والنعومة في أطرافها والتثني في مشيتها، ينتشر منها الشذا فتعبق به أرواح المكان حولها، فيها كل ما يشتهي الشاعر شكلاً وقَدّاً وتيهاً، فهي مفردة الحسن لا شبيه لها[٢].

وتناقل العرب مثل هذه الصفات للمرأة ، "يقول الأصمعي: سمعتُ امرأة من العرب تصفُ امرأة وهي تقول: سطعاء بضّة، بيضاء غضّة، درماء رَخْصة، قبّاء طَفْلة، تنظر بعيني شادنٍ ظمآن وتَبْسُمُ عن مُنَوّر الأُقحوان في غبِّ التَّهتان، وتشير بأساريع الكثبان، خُلُقُها عميم وكلامها رخيم.[٣]"

ويتجلى في هذا الوصف صورة التمثال الجمالي المادي الذي تناقله العرب، وأسبغ عليه الشعراء آيات من الحسن والجمال في آلاف الأبيات[٤].

---

(١) حوراء: شدة بياض بياض العين وشدّة سواد سَوَاد العين. ابن منظور - اللسان، مادة حَوَرَ، ، هيفاء: دقة الخصر وضمور البطن. ابن منظور - اللسان، مادة هَيَفَ، لفّاء: كثيرة لحم الفخذين. ابن منظور - اللسان، مادة لفف.

(٢) نعمات أحمد فؤاد - المرأة في شعر البحتري، ص١٦-١٧ .

(٣) الحصري- زهر الآداب، ج٢، ص٩٨٧ ، سطعاء: من طال عنقه. ابن منظور- اللسان، مادة سطع، بضّة: امتلأ الجسم ونضر. ابن منظور - اللسان، مادة بضّ، غضّة: رقيقة الجلد. ابن منظور- اللسان، مادة غضّ، درماء: امرأة لا يستبين كعوبها ومرافقها لامتلائها. ابن منظور - اللسان، مادة دَرَم، رخصة : الجلد نعْمَ ولان. ابن منظور- اللسان، مادة رَخَصَ، قبّاء: دقة الخصر. ابن منظور- اللسان، مادة قبّ، طفلة : المرأة الناعمة الرقيقة. ابن منظور- اللسان، مادة طفلَ، غبّ: آخر الشيء وعاقبته. ابن منظور = =اللسان، مادة غبّ ، التهتان: التواء في اللسان كاللكنة. ابن منظور- اللسان، مادة تهت، أساريع : دود أبيض حمر الرؤوس تشبه به أصابع المرأة. ابن منظور - اللسان، مادة سَرَعَ.

(٤) انظر النويري - نهاية الأرب، ج٢، ص١٨-٢١، ص٤٧-٨٢، السريّ الرفّاء - المحبوب، ص٣٥٩-٦٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تغنّى الشعراء بسواد الشّعر واسترساله وطوله، فهو فاحم اللون كالليل سواداً، يفرع المرأة طولاً واسترسالاً بحيث يلثم أقدام صاحبته عند ابن الرومي:(١)

وفاحمٍ وارد يُقَبِّلُ ممـ ... ـشاهُ إذا اختالَ مُسْبِلاً غُدُرَه
أقْبَلَ كاللَّيلِ مِن مَفارِقِهِ ... مُنْحَدِراً لا يُذَمُّ مُنْحَدَرُه
حتى تَنَاهَى إلى مَواطِئِهِ ... يَلْثُمُ مِن كُلِّ مَوْطِئٍ عَفَرَه

ونجد أنَّ سواد الشّعر صفة مستحبة عند العرب لذلك صبغت الشقراوات من الجواري شعورهنَّ لمَّا أدْرَكن ذوق المجتمع ليتناسب معه.(٢)

وكذلك أحبّوا طوله ، وعدوه من علامات الأصالة للنساء الحرائر يصف ابن المعتز شعر إحداهن وقد بلغ من الطول بحيث وصل أقدامها يقول :

دعت خلاخيلُها ذَوَائِبَها ... فَجِئْنَ من رأسِها إلى القدم(٣)

لذلك امتنعن عن قصّه ترفعاً عن التشبّه بالجواري خاصة اللواتي عرفن بالغلاميات لتقليدهن الغلمان في لباسهم و حركاتهم و حتى في قص شعورهم.

ووصفوه أجعد كثيفاً وطويلاً كما في صورة "شاجي" التي أرخته فكان تدافعه كجريان الماء يقول ابن الرومي:(٤)

أسْبَلتْ من ذراهُ جَعْداً أثيثاً ... جائراً حَدَّ مَتْنِها الرَّجراج
جارياً فوق مَتْنِها جَرْيَةَ المـ ... ـاءِ وإنْ كان حالكَ الأمواج

واهتّمت المرأة بالعناية به؛ فعمدت إلى تطييبه بمختلف أنواع العطور والطيوب وتجعيده إذا كان ناعماً مسترسلاً حسبما رأه المتنبي في صباه:(٥)

ذاتُ فَرْعٍ كأنَّما ضُرِبَ العَنْـ ... ـبرُ فيه بماءِ وَرْدٍ وعُودِ
حَالكٍ كالغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيٍّ ... أثيثٍ جَعْدٍ بلا تَجْعِيدِ
تَحْمِلُ المِسْكَ عن غَدَائِرِها الرِّيـ ... ـحُ وتَفْتَرُّ عن شَنِيبٍ بُرُودِ

---

(١) ابن الرومي - الديوان ، ج٣، ص٩٣٨.
(٢) ابن بطلان- رسالة شري الرقيق، نوادر المخطوطات، ج١، ص٤١١.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٦٤٥ .
(٤) ابن الرومي - الديوان، ج٢، ص٤٨٨.
(٥) المتنبي - الديوان، ج٢، ص٤٢، ضُرِبَ : خُلِطَ. ابن منظور - اللسان، مادة ضَرَبَ ، الغُدَاف: الغراب. ابن منظور - اللسان، مادة غَدَفَ، جثل: كثير ملتف. ابن منظور - اللسان، مادة جَثَل، الدَّجوجي: المظلم. ابن منظور - اللسان، مادة دَجَي، الأثيث : الكثيف. ابن منظور -اللسان، مادة أثثَ، الشنيب: الثغر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بالغت بعض النساء في عنايتها بشعرها وتطييبه لدرجة جعلت ابن المعتز يظنّ أنّ شعر المرأة يكاد يقطر مسكاً وعنبراً يقول:(١)

يَقْطُـــرُ مِسْـــكاً علـــى غَلائِلـــــهِ شَـــعْرٌ نَقَـــا بـــالعَنْبَرِ قـــد وَكَفَـــا
أفْـــرغَ مـــن دُرّهِ وعَنْـــــبَرِه حُسْـناً وطيبـاً فـــي خَلْقِـــهِ ائتلفـــا

ولعل قيمة الطيب إنما تكمن في رائحته الطيّبة المنبعثة من الشعر التي لها تأثيرها على الشاعر.

وجاء الوجه جميلاً يعكس آيات حسنٍ وجمال أبدعها الخالق فيه، ويكمن جمالـــه فـــي تناسق أعضائه من جبين وعيون ووجنات وأنف وفم، فكان بذلك تمثالاً للجمـــال اليوســـفيّ بمـــا يحويه من عُقدِ الجمال وبراعم الحسن وائتلاف جمال الفصول ربيعها وخريفها دفئـــها وبردهـــا. حتى غدا إطلالة دائمة لجمال دائم في عيون ابن الرومي :(٢)

بـــأبي حُسْـــنُ وَجْـــهِكَ اليُوْسُـــفيُّ يـــا كفـــيَّ الـــهوى وفـــوق الكَفِـــيِّ
فيـــه وَرْدٌ ونَرْجِـــسٌ وعجيـــبٌ اجتمـــاع الرَّبعـــيِّ والخَرْفـــيِّ

فرأى ابن الرومي في الوجه ما أثار اعجابه من ورد الوجنتين ونرجس العيون وهـــو اجتماع ذكرّه باجتماع الربيع والخريف.

ولما كان الوجه جميلاً، فقد أدام الشعراء النظر فيه، وتناولوا بالوصف جمال أجزائه.

وأحبّوا لونه الأبيض الصافي، فالبحتري يرى محبوبته بيضاء الوجه زادها حسناً قدّهـــا الممشوق وعينها الحوراء يقول:(٣)

بَيْضـــاءُ يُعطيـــك القضيـــبُ قوامَـــها ويريـــك عَينيـــها الغَـــزَالُ الأَحْـــورُ

وأضافوا لبياض الوجه صفة الإشراق فشبهوا الوجه بالشمس في ضيائها (٤) كما يـــرى ابن الرومي وجه شاجي:(٥)

يتلقـــاكَ فـــي الغَلائِـــلِ منـــــها وجـــهُ شَـــمْسٍ وجِسْـــمُ دُمْيَـــةِ عـــــاج

---

(١) ابن المعتز- الديوان، ص ٤٧٧ .نقا: ناعم. ابـن منظـور - اللسـان، مـادة نقوَ ، العبير: نـوع مـن الطيـب. ابـن منظور- اللسان، مادة عبَرَ، وكفا: سال. ابن منظور- اللسان، مادة وكف . أنظر واجدة الأطرقجي- المـرأة فـي الأدب العباسي، ص٢٧٦.
(٢) ابن الرومي - الديوان ، ج١، ص٢٦٤.
(٣) البحتري - الديوان ، ج٢، ص١٠٧٠.
(٤) السري الرفاء - المحبوب ، ص٨٥-٨٧.
(٥) ابن الرومي- الديوان، ج٢، ص٤٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالغوا في ذلك حتى جعلوا الشمس انعكاساً لهذا الوجه تختفي إن ظهر، يصف ابن دريد وجه إحداهن ، وقد انعكست أشعة الخمرة عليه [١]:

غَرّاءُ لو جَلَتِ الخُدُودَ شُعَاعُها ... للشَّمْسِ عند طلوعها لم تُشْرِقِ

ورآه خالد الكاتب[٢] قد طغى على الشمس فكانت ظلاً له يقول:[٣]

أُوفِي على شَمْسِ الضُّحَا ... حتى كأنَّ الشَّمْسَ ظِلُّ

ووصفوه بالبدر استدارةً واكتمالاً وبياضاً بل تفوّق عليه كما يرى ابن الرومي:[٤]

يَفْضَحُ البَدْرَ وَجْهُهَا مستتمّاً ... والقَضِيْبَ الرَّطِيْبَ منها القَوَامُ

ومنهم من جعلها تفوق البدر والشمس في حسنها يقول الخليفة المتوكل في إحدى غلامياته؛ مما يؤكد مدى تأثير الجواري و جمالهن على الخلفاء:[٥]

إنْسَانَةٌ كالشَّمسِ مَجْدُولَةٌ ... أحْسَبُهَا لَيْسَتْ من الأنْسِ
مَلِيْحَةُ الشَّكْلِ غُلاَمِيَّةٌ ... أحْسَنُ من بَدْرٍ ومن شَمْسِ

وشبهوها بالنور الذي لا يدرك سره ولا يمكن لمسه يقول ابن الرومي:[٦]

سُلاَلَة نُوْرٍ ليس يُدْرِكُهُ اللَّمْسُ ... إذا ما بَدَا أغْضَى لَهُ البَدْرُ والشَّمْسُ
بِهِ أمْسَتِ الأهْواءُ يَجْمَعُها هَوىً ... كأنَّ نُفُوسَ النَّاسِ في حُبِّهِ نَفْسُ

وإلى جانب اللون الأبيض أحبوا الوجه ذا اللوْن الدري المشرب بالحُمْرة الذي يعكس صفاءً وحيويةً وصحةً، يصف الخبز أرزي[٧] لون وجه محبوبته الدّري باللؤلؤ الأبيض الشفاف الذي في داخله ماء عقيق أحمر يقول:[٨]

---

(١) ابن دريد - الديوان، ص٤٠.
(٢) خالد بن يزيد الكاتب، أحد كتاب الجيش، لم يكن يمدح الخلفاء مع أنهُ عاصر عددا منهم، قصر نفسه على الغزل، يقال اختلط عقله في أواخر حياته، ت ٢٦٢هـ. انظر: الحموي- معجم الأدباء ج٢، ص ١٢٤٣-١٢٤٥ الشابشتي - الديارات ص١٥-٢٠.
(٣) السرّي الرفاء- المحبوب ص٩١.
(٤) ابن الرومي - الديوان، ج٦ ، ص٢٤١٢.
(٥) السيوطي - المستظرف ص٥٧.
(٦) ابن الرومي -الديوان ، ج٣ ، ص١٢٠٧
(٧) هو نصر بن أحمد شاعر بصري أميّ لا يقرأ ولا يكتب كان يخبز خبز أرز وينشد الشعر خاصة الغزل أثناء عمله ت ٣٢٠ هـ. انظر: المسعودي - مروج الذهب، ج٤ ، ص٣٧٣.
(٨) السرّي الرفاء - المحبوب ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دُرِّيَّةُ اللَّـــوْنِ فيـــه مُشْـــرَبَةٌ حُمْـــرَةَ خَمْـــرٍ تُمَـــازِجُ اللَّبَنَـــا
كـــاللؤلؤِ الرَّطْـــبِ لَـــونُ ظـــاهرِهِ وفيـــه مـــاءُ العَقِيـــقِ قـــد بَطَنَـــا

وأحبّوا اللون الأسمر ودافعوا عنه أمام الرغبة الملحة في المرأة البيضاء ونجد صـدى ذلك عند علي بن الجهم الذي أحبَّ سمراء فاتنة فاقت البيض سحراً وجاذبية يقول:(١)

وعَـــائبٍ للسُّـــمْرِ مـــن جَهْلِـــهِ مُفَضِّـــلٍ للبِيْـــضِ ذي مَحِـــكِ
قولُـــوا لَـــهُ عَنِّـــي أمـــا تســـتحي مَـــنْ يَجْعَـــلُ الكـــافُورَ كالمِسْـــكِ

ونال سواد اللون إعجابهم، فأحب الكثيرون الجواري السود وعدوا لونـهن مصـدراً للجمال والدلال، فاختاروا في وصفهن من الألفاظ ما دل على هذا اللون كالحدق وحـب القلـوب وكالشعر الأسود فهي دليل الشباب كما يقول(٢) أبو علي البصير:(٣)

لـم يَشُـنْهَا اسْـتِحَالَةُ اللَّـون عنـدي إنَّـها صِبْغَـةٌ كلَـوْنِ الشَّـباب

وقد دافعوا عن جمالهن كثيراً واسبغوا عليهن الكثير من الفضائل التي لا تملكها البيض كما فعل ابن الرومي:(٤)

سَوْدَاءُ لم تَنْتسبْ إلـى بَـرَصِ الشُّـ ـقْـرِ ولا كُلْفَـةٍ ولا بَـهَقِ
أنْ لا تَعِيْـبَ السَّـوَادَ حُلْكَتُـهُ وقـد يُعَـابُ البَيَـاضُ بالبَـهَقِ
أكْسَـبَها الحُـبُّ أنَّـها صُبِغَـتْ صِبْغَـةَ حَـبِّ القلـوب والحَـدَقِ

و يعود الاهتمام بالمرأة السوداء إلى ماعرف عن العرب من اهتمام بها منذ العصر الجـاهلي إضافة إلى تطور آخر حدث في المجتمع بظهور قوة حركة الزنج التي اجتاحت مناطق واسـعة من العراق ، و ارتكبوا الكثير من عمليات القتل و النهب و السلب و لم يسلم منهم حتى الحجـر الأسود (٥) ،فحاول الشعراء بغية التقرب منهم ذكرالمرأة السوداء ووصفـها و إسـباغ محاسـن الجمال عليها و التغزل بها.

واهتم الشعراء بصفاء هذا الوجه وسلامته من الجروح والندوب و الخدوش التي تشوه جماله ،

---

(١) علي بن الجهم - الديوان، ص١٧٠.
(٢) المرزباني- معجم الشعراء ، ص١٨٥ انظر :أشعار أبي علي البصير ، المورد ، ج١ ، سنة ١٩٧٢ ،ص١٥٥
(٣) أبو علي البصير، شاعر بليغ مترسل، كـان ضريـرا فلقب بـالبصير تلطيفـا ت ٢٥١ هـ. انظـر : ابن المعتز - طبقات الشعراء ، ص١٨٨، المسعودي - مروج الذهب(مهنا) ج٤، ص١٥٧.
(٤) ابن الرومي - الديوان، ج٤ ، ص١٦٥٥-١٦٥٦ ، حَبُّ القلوب: سويداؤه ، ابن منظور - اللسان، مادة (حبب) .
(٥) ابن الرومي- الديوان، ج٢، ص٤٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصف ابن الرومي منتهى الرقة التي ترتسم على وجوه بعضهن لسلامتها من الندوب . يقول [١] :

عن وُجُوهٍ كَأَنَّهُنَّ شُموسٌ وبُدُورٌ طَلَعْنَ غَسَقاً سَحَابِ
سَالَمَتْهَا الأَنْدَابُ وهِيَ مِنَ الرِّقْـ ... ـقَةِ أولى الوُجُوهِ بِالأَنْدَابِ

وفي قوله ضدية واضحة ، فسلامتها من الأنداب كناية عن خلوها من الأشياء التي تشوّه جمالها ، وفي قوله أولى الوجوه بالأنداب كناية عن الجروح التي تسببها النظرات لرقتها [٢] .

وتوج الجبين جمال هذا الوجه فكان وضاءً مشرقاً كإشراقة الوجه يزيده بهاءً كتاجٍ رُصِّع بالمجوهرات يقول [٣] ابن بسّام:[٤]

فَتَرى الجَبِيْنَ كتاجِ مُلْكٍ زَانَهُ دُرٌّ تَرَاهُ مُفَرَّقاً ومُنَضَّداً

وجعله ابن الرومي يفوق هذا التاج يقول:[٥]

ذاتُ جِيْدٍ يَزهى على كُلِّ عِقْدٍ وجَبِيْنٍ يزهى على كلِّ تاج

وجاء الحاجب يتناسب مع هذا الجبين، فقد صوّروه دقيقاً مُزجَّجاً أسودَ مقوّساً يدل على عناية موصولة ويكشف عن فتنةٍ وسحرٍ يقول خالد الكاتب:[٦]

ومِن يانعِ التُّفاحِ خَدٌّ مُوَرَّدٌ ومن خطِّ حُلْوِ الخَطِّ تقويسُ حاجب
ومن ناعِمِ الأغْصَانِ قَدٌّ وقَامَةٌ ومن حالِكِ الحِبْرِ اسْوِدادُ الحَوَاجِبِ

ولا تقلُّ العيون سحراً وجمالاً وتناسقاً مع سائر أعضاء الوجه، فقد تَحدّث الشعراء كثيراً عنها لتأثيرها الكبير عليهم، فهي تمثل لهم قمة الجمال الحسي الذي يبصرونه والجمال المعنوي الذي يستلهمونه ويشعرون به[٧].

وكانت العيون ذات اللون الأسود والكحلاء أحبَّ العيون عندهم لتناسقها مع لون الشعر

---

(١) ابن الرومي- الديوان، ج٢، ص٤٨٨.
(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص٢٨٤.
(٣) الشريشي - شرح مقامات الحريري، ج١ ، ص١٨٤ .انظر ابن بسام حياته و شعره ، مجلة كلية التربية ، جامعة البصرة ، مج١٥ ، عدد ٢ ، سنة ١٩٨٦ ، ص ١٤ .
(٤) هو علي بن نصر بن منصور بن بسام، شاعر وكاتب، أكثر شعره في الهجاء ت٣٠٢ هـ .انظر: معجم الشعراء، ص١٥٤، المسعودي - مروج الذهب ج٤، ص٢٩٧-٣٠٤.
(٥) ابن الرومي - الديوان ج٢، ص٤٨٨.
(٦) السّري الرفاء - المحبوب، ص٥٢.
(٧) المصدر نفسه ، ص٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسود والوجه الأبيض يقول البحتري:[١]

عن حُبِّ أحـــوى أسِـيلِ الخـدِّ أبْيَضِـه ساجِي الجفون كَحِيْـلِ الطَّـرْفِ أسْـوَدِه

ولم تكن العيون الملونة تعجبهم ، خاصة الزرقاء ؛ لذا كانوا يجعلون زرقتها سواداً فتغدو الزرقاء كحلاء ؛ وذلك بقطرها بماء قشر الرمان الحلو [٢] ،لكنهم مع ذلك وصفوها و استقوا منها بعـض صورهم الشعرية ، كما في قول ابن المعتز[٣]:

و رنا إليَّ الفرقـدان كمـا رنـت زرقـاءُ تنظـرُ مـن نقـابٍ أسـود

كما رمزوا للعيون الملونة بالنرجس ، يصف الناجم عيني إحداهن فيقول [٤] :

والـنَّرجِسُ الغَـضُّ الجَنِـي ... يُ أغَـضُ مِنْـهُ جُفُونُـها

ويصف ابن الرومي عيون إحداهن وقد بكت فيقول [٥] :

كَـأنَّ تِلْـكَ الدُّمُـوعَ قَطْـرُ نَـدىً يَقْطُـرُ مِـنْ نَرجِـسٍ عَلَـى وَرْدِ

فقد تحولت الدموع إلى قطرات من الندى المنساب من نرجس العيون على ورد الخدود ؛ فمنـح ذلك عيونها جمالاً رغم بكائها .

وأحبّوا العيون النجلاء الواسعة يقول ابن الرومي:[٦]

هي الأعينُ النُّجلُ التـي كُنْـتَ تَشْـتكي مَوَاقِعَـها فـي القَلْـب والـرَّأسُ أسْـوَدُ

وأحبوا العيون الحوراء والوَسِنَة والفاترة الذابلة وقد تلاءم الحور والفتور مع رغبتـهم في الاتساع والسواد فشبهوا العيون الحوراء بعيني الغـزال والمـهاة والجـؤذر ، يقـول ابـن الرومي:[٧]

ورنـت بمقلـةِ جُـؤذرٍ وسْـنَانَ سَـاجي الطَّـرفِ أحْـوَر

---

(١) البحتري - الديوان، ج١ ، ص٤٩٩ ، أحوى: الشفة التي حمرتها تضرب إلى السواد . ابن منظور- اللسان، مادة حَوَى.

(٢) ابن بطلان - رسالة شري الرقيق ، نوادر المخطوطات ، ج١، ص٤١٤. انظر: واجدة الأطرقجي - المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٤٤.

(٣) ابن المعتز- الديوان ، ص٢٢٠ .

(٤) النويري - نهاية الأرب ، ج٢، ص٥٠.

(٥) ابن الرومي - الديوان ، ج٢، ص٧٦٧.

(٦) المصدر نفسه ، ج٢، ص٥٨٥.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٠٠. انظر : السري الرفاء - المحبوب ، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى ابن المعتز عيني مغنّية عيني ظبية حوراء يقول:[١]

وصَـوْتُ فَتَانَـــةِ التَّغْريـــدِ نـــاظِرَةٍ بِعَيْـنِ ظَبْـيٍ تُرِيْـدُ النَّـومَ حَـــوْراء

وهذه العيون لها تأثيرها القوي على نفس الشاعر علي بن الجهم فقد أثارت في نفسه جذوة حبٍّ لا سبيل إلى اطفائها يقول:[٢]

عُيُونُ المَـــها بيـن الرُّصَافَـةِ والجِسْـرِ جلبنَ الهوى مـن حيـث أدري ولا أدري
أعَدْنَ لـــي الشَّـوقَ القديـمَ ولـم أَكُـنْ سَلَوْتُ ولكـن زِدْنَ جَمْـراً علـى جَمْـرِ

وقد شعر الخليفة المتوكل بالحالة التي وصلها الشاعر عند سماعه الأبيات فقال "خشيت عليه أن يذوب رقةً ولطافةً.[٣]"

ودأب الشعراء على وصف العيون بالمرض والسقم والفتور على الرغم من صحتـــها وسلامتها؛ وذلك لناحية جمالية وفّرها فتور الطرَّف وانكساره [٤]،و أحب العرب هذه الصفة كثيرا لذلك أسبغوها حتى على الجواري ،كما يظهر في قول أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي [٥]:

مـــرَّتْ بنـــا هيفـــاءُ مقـــدودةَ تركيـــةُ تتمـــــى لـــــتركيّ
ترنـــــو بطَـــــرْفٍ فـــــاترٍ كأنَّـــــها حُجَّـــــةُ نحـــــوي

والطَّريف أنَّ الشعراء جعلوا لهذه العيون السقيمة آثاراً قاتلة في أنفسهم حتى اقـــترنت صورة الطَّرف المريض بالقتل . يقول ابن الرومي:[٦]

مريضـــاتُ الجُفـــونِ لِغـــيرِ داءٍ لمـــن لابَسْـــنَه الـــدّاءُ السَّـــقَامُ

وجعلها بعضهم كالسيف يقول ابن المعتز:[٧]

عَلِيْمٌ بما تحـت الصُّـدُورِ مـن الـهوى سَـرِيْعٌ بِكَـرٌ اللَّحْـظِ والقَلْـبُ جـازِعُ
ويَجْـرَحُ أحْشَـائي بِعَيْـــنٍ مَرِيضَـــةٍ كما لانَ مَسُّ السَّـــيْفِ والسَّـيفُ قـاطِعُ

---

(١) ابن المعتز - الديوان ، ص١٥.
(٢) علي بن الجهم - الديوان، ص١٣٥. انظر : عامر الهيتي - بغداد في شعر العصر العباسي الأول ، ص٩٦.
(٣) محي الدين بن عربي - محاضرة الأبرار ، ج٢، ص٨.
(٤) السري الرفاء - المحبوب ، ص٥٨.
(٥)الحموي -معجم الأدباء ، ج١ ،ص ٤١٣.
(٦) ابن الرومي - الديوان، ج٦، ص٢٢٨١.
(٧) ابن المعتز - الديوان، ص٤٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعلها بعضهم أشد فتكاً بالعشاق فقد سبقت الأقدار وأعقبت كل من رأه بالموت يقـول خالد الكاتب:(١)

ومَرِيـضِ طَـرْفٍ ليـــس يَصْرِفُـــهُ نحـــو امْـــرئٍ إلا رَمَـــاه بِحَتْفِـــه

وأثارهم جمال العيون وهي باكية ، لذا وصفوا المدامع والدموع ضمـن رؤيـة فنيـة خاصة ؛ فجاءت المدامع أسيلة كالخد تذرف لؤلؤاً ، كما يظهر في صورة محمد بن صالح العلوي لجماعة من الجواري البواكي على قبر ولد للمتوكل فيقول (٢):

أسِـيلاتُ مَجْـرَى الدَّمْـعِ إمـا تَـهلّلت شـؤون المـآقي ثـم سـحَّ مطيرُهـا
بوبـلٍ كـأتوامِ الجُمـانِ يُفِيضُـهُ علـى نحرهـا أنفاسُـها وزفيرُهـا

و تعكس هذه الصورة جزءاً من حياة الجارية النادبة ، ويصف ابن المعتز ذلك في إحدى جواريه قائلاً :(٣)

أسـيلةُ مجـرى الدَّمـعِ خـودٌ غَرِيـرةٌ كـأن بخدَّيـها شموسـاً تجَلَّـتِ

ويلاحظ كثرة الحديث عن سحر العيون، إذ أنَّ الشعراء رأوا في عيون المرأة فتنة تشدّهم و سحرايملك عليهم اللب و الفؤاد ، يقول البحتري:(٤)

وإذا كَسَـرْنَ جُفُونَـهُنَّ نَظَـرْنَ مِـن مَرْضَـى يَشُـفُّكَ سِـحْرُهُنَّ صِحَـاح

ويصف ابن الرومي سحر العيون وسحر الحديث وكلاهما آسر يقول:(٥)

فيسـبيك بالسِّـحر الـذي فـي جفونـه ويُصْـبِيكَ بالسِّـحر الـذي هـو نافثـه

ويظهر مزج واضح بين سحر العيون وسحر الحديث ؛ وذلك لأن تأثيرهما على النفس قـوي ، وطقوسهما خاصة لا يفهم سرها إلا العشاق .

وعدا عن سحرها كان لها لغتها الخاصة التي لا يفهمها إلاَّ العشّاق نجد هذا في حـوار ابن طيفور مع محبوبته يقول:(١)

---

(١) النويري - نهاية الأرب ، ج٢، ص٤٧.
(٢) الأصفهاني - الأغاني ، ج١٦، ص٥١٢.
(٣) ابن المعتز – الديوان ، ص١٥٥.
(٤) البحتري - الديوان، ج١، ص٤٧٦.
(٥) ابن الرومي - الديوان، ج١، ص٤٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألاَحظـها خـوف المراقـب لحظـةً فأشكو بطرفي مـا بقلبـي مـن الوَجْـد
فتَفْهمُـه عـن لحـظ عينـي بقلبـها فتَوْمي بطرفِ العينِ أنـي علـى العـهدِ

ويدير الشعراء باستخدام لغة العيون حوارات طويلة مع محبوباتهم كما في حـوار ابـن داود الاصفهاني:(٢)

أشـارتْ بعينيـها إشـارةَ خـائفٍ حـذار عيـون الكاشـحين فسَـلَّمتْ
فـردَّ عليـها الطـرْفُ منـي سـلامَها وأوْمَـا إليـها أُسْـكني فتبسَّـمتْ
وأوْمَـتْ إلـى طرفـي يقـول لطرفـها بنا فـوق مـا تلقـى فأشْـجَتْ وتيّمـتْ
فلـو سُـئلَت ألحاظنـا عـن قلوبنـا إذن لاشـتكت ممـا بـها وتـبرّمتْ
ومـا هكـذا إلا عيـونُ ذوي الـهوى إذا خـافتِ الأعـداء يومـاً تكلّمـتْ

وللأهداب تأثيرها في زيادة سحر النظرات والعيون يقول المتنبي في صباه:(٣)

رَاميـاتٍ بأسْـهُمٍ رِيشُـها الـهُدْ بُ تَشُـفُّ القُلُـوبَ قبـل الجُلُـودِ

فقد فتكت بالشاعر عيون المرأة وأهدابها.

ونظر الشعراء إلى خدِّ المرأة فأحبوه أسيلاً أبيض، يقول البحتري:(٤)

عن حُبِّ أحـوى أسِـيلِ الخَـدِّ أبْيَضِـه ساجي الجفون كَحِيْـلِ الطَّـرْفِ أسْـوَدِه

ووصفوه ناعماً أملس مستوياً دون تجاعيد، تخدشه العيون لنعومته، ويتأثر لأدنى شيء فلو مشى عليه الذَّر لجرحه يقول ابن الرومي:(٥)

زانـها الله بخـدٍّ مُشْـرِقٍ لـو مَشَـى الـذَّرُّ عليـه لَجُـرِح

وأثارهم تورد وجنته وما علاها من حمرة، فكانت هذه مثار حيرة الشعراء وتساؤلاتهم، فلولا حمرة الوجنتين لما استطاع الخبز أرزي أن يميز بين محبوبته والقمر يقول:(٦)

فلـولا التَّـوردُ فـي الوجنتيـن ومـا راعنـي مـن سَـوَادِ الشَّـعر
لكُنْـتُ أظُـنُّ الـهِلالَ الحَبِيْـبَ وكُنْـتُ أظُـنُّ الحَبِيْـبَ القَمَـر

---

(١) ابن داود الأصفهاني- الزهرة ، ج١، ص١٥٢.
(٢) المصدر نفسه ج١، ص١٤٩.
(٣) المتنبي - الديوان، ج٢، ص٣٩.
(٤) البحتري - الديوان، ج١، ص٤٩٩.
(٥) ابن الرومي- الديوان، ج٢، ص٥٥٨.
(٦) النويري - نهاية الارب، ج٢، ص٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاستجلى الشعراء حقيقة هذا التورد الذي اعتلى الخدّ وتعددت الأختيارات أمامهم فكانت من صنع الخالق المبدع أو من ماء الحياء والخجل أو من دماء قلوب المحبين يقول ابن الرومي:(١)

يا وجنتيه اللتين من بَهَجٍ ... في صُدْغَيهِ اللّذين من دَعَجِ
ما حُمْرةٌ فيكما أمِنْ خَجَلٍ ... أم صِبْغَةُ الله أم دَمُ المُهَجِ

لذا وصفوا الوجنات بالتفاح والورد، يقول ابن المعتز:(٢)

وقدودٌ كأنّهُنّ غُصُونٌ ... وخُدُودٌ كأنّها تفاح

وأثار وجود الخال على صفحة هذا الخد اهتمام الشعراء، إذ زاد جمال الخد الأسيل بلونه الأسود فأبرزت الأضداد جمال بعضها بعضاً، فألهمت صورته الشعراء أجمل اللوحات، يقول ابن المعتز:(٣)

تَؤُمُّ كَعْبَةَ حُسْنٍ، خالُها حَجَرٌ ... في الخَدِّ أسْوَدُهُ في أبْيَضٍ يقَقِ

ويبدو أنّ الشاعر أراد أن يضفي على صورة الخد والخال قدسية ما فجاء بصورتي الكعبة والحجر الأسود.

وجعله بعضهم لامعاً كالقمر كما فعل(٤) ابن أبي فَنَن:(٥)

يا حُسْنَ خالٍ بخدٍّ قد كَلِفْتُ به ... كأنّه كَوْكَبٌ قد لُزّ بالقمر

وجاء الأنف يتناسب مع جمال الوجه والخد الأسيل، وأحبّوا فيه أن يكون معتدلاً في الطول وتاماً في الخلق، كله شمم وإباء(٦) ، في شكله ولونه يتلاءم مع جمال الوجه والجسم يصف ابن الرومي ذلك:(٧)

كَهَمِّ الخَلَيِّ أسْودُ فَرْعٌ مُكْحَلٌ ... لها خِلْقَةٌ وابْيَضَّ ثَغْرٌ ومَلْثَمٌ
خَدَلٌ ومَمْشوقٌ وأبْيَضُ ناصِعٌ ... وأسْوَدُ غِرْبِيبٌ وأقْنَى وأخْتَمُ(١)

---

(١) ابن الرومي- الديوان، ج١، ص٣٢.
(٢) ابن المعتز- الديوان ، ص٢٠١.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٠٩.
(٤) السرّيّ الرّفاء - المحبوب ص١٩٠.
(٥) هو أحمد بن أبي فنن ويكنى بأبي عبد الرّحمن، شاعر مطبوع، أكثر شعره في المديح ت ٢٦٥هـ. انظر : الشابشتي - الديارات، ص١٢٥.
(٦) السري الرفاء - المحبوب ، ص٦٦.
(٧) ابن الرومي - الديوان، ج٥، ص٢٠٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء جماله من توسّطه الوجه الجميل، ومجاورة الخد الأسيل، وتَوَّجَه الشعر الطويل، وتناسب مع الجسم الرشيق.

واهتم الشعراء بثغر المرأة كثيراً لأنه مصدر سحرها وفتنتها؛ فوصفوه وحدّدوا المعالم التي أحبّوها فيه وفصّلوا أجزاءه من شفاه وأسنان وريق.

فأحبّوا الشفاة عقيقيّة اللون واللمياء التي ظلت ألسنة الشعراء تلهج بذكرها والتغني بها يقول ابن دريد:(٢)

يَمْتَاحُهُ رَاشِفُ بَرْدٍ رِيقُهَا بين بَيَاضِ الظَّلْمِ منها واللَّمَى

وقد كشفت الشفاه الجميلة عن أسنان بيضاء لامعة كاللؤلؤ المنضد أو البرد أو الأقحوان ظهرت عندما ضحكت محبوبة البحتري:(٣)

كأنمَّا يَفْتَرُّ عن لؤلؤٍ مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقَاحِ

ولا يخفى العنصر الجمالي في تشبيه الأسنان باللؤلؤ والدر والأقحوان ، وهو أمر جعل الشعراء يركزون على قيمة البياض في الأسنان ؛ لما يمنحه من جمال للفم لالتحامه بالأضداد من لثةٍ مائلة إلى السواد وشفاهٍ عقيقية ، بل إن بعضهم بالغ في قيمة هذا اللون فجعل كل التفاؤل والأمل والإقبال على الحياة متمثلاً فيه ، كما فعل البحتري حين جعل بياض أسنان محبوبته يطغى على الأرض (٤) :

ويَرجِعُ اللّيلُ مِبيَضّاً إذا ضَحِكَتْ عَن أبْيَضَ خَضِلِ السِّمطَينِ وَضّاحِ

وقد اقترن ظهور الأسنان بابتسامة المرأة مما يؤكد رغبة الشعراء في تصويرها فرحة ضاحكة يقول الخليفة الراضي:(٥)

يَضْحَكُ لي عن ثَغْرٍ مِثْلِ صِغَارِ الدُّرِّ

---

(١) ملغم: طرف الأنف. ابن منظور - اللسان، مادة لغم، خدل: ساق ممتلئة. ابن منظور - اللسان، مادة خدل، أقنى : أنف مرتفع في قصبته. ابن منظور - اللسان، مادة قني ، أخثم: انف عريض الأرنبة. ابن منظور - اللسان، مادة خثم.
(٢) ابن دريد - الديوان، ص١٢٧.
(٣) البحتري - الديوان، ج١، ص٤٣٥.
(٤) البحتري - الديوان ، ج ٢، ص٤٤٢ .
(٥) الصولي - أخبار الراضي، ص١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك أكثر الشعراء من تصويرها فرحة ضاحكة مبرزين بذلك جمال ابتسامتها وأسنانها ، يصف ابن الرومي ضحكة إحداهن وقد كشفت ابتسامتها عن عقدين من الدر وريق يشبه الخمرة حلاوة ورائحةً خاصة إذا مزجت بالمسك ، يقول [١] :

وتَبْسمُ عن عِقدين من حَبِّ مُزْنَةٍ به ماث صفو الراح بالمسك مائثُ

وربط الشعراء كثيراً بين الأسنان التي تشبه الدر وبين الحديث الذي شبهوه بالدر ، فكلاهما در ينم عن جمال صاحبته ، كما يقول ابن الرومي [٢] :

بِدُرٍّ نثيرٍ من حديثٍ تحفُّهُ بأخر في سمطين غير نثير

فمن الحريّ بهذه الأسنان ألا تخرج إلا ما يشبهها جمالاً من ألفاظ وحديث ، ويمكن ملاحظة هذا الربط من خلال الغزل المعنوي .

ورغب الشعراء في الأسنان المفلجة التي تمنح المرأة زيادة في الجمال يقول البحتري:[٣]

تثنّىعلى قَدٍّ غَرِيبٍ قَوَامُهُ وتَضْحكُ عن مُسْتَعْذبٍ أفْلَجِ الرَّصْفِ

فاهتمت المرأة بفلج أسنانها كونه لوناً من ألوان الزينة والتجميل يقول أحمد ابو العباس ثعلب:[٤]

يُعَابثْنَ بالقُضْبَانِ كُلَّ مُفَلَّجٍ به الظَّلْمُ ولم تُفْلَلْ لهنَّ غُرُوبُ
رِضَا باً كطعمِ الشَّهدِ يجلو متونَه من الضَّرو أو غصن الأراك قضيب

واستوقفت الشعراء أهمية سلامة الأسنان وصلابتها، وذلك بحرص المرأة على نظافتها والعناية بها باستخدام أعواد الأراك والأسحل.

فأكثر الشعراء من حديثهم عن المِسْوَاك لأنه اتصل بجرءٍ أثيرٍ عندهم وهو الرِّيق، يقول ابن الرومي:[٥]

تُعَنِّتُ بالمِسْوَاكِ أبيضَ صافياً تكادُ عَذَارِى الدُّرِّ فيه تَحَدَّرُ

---

(١) ابن الرومي – الديوان ، ج١ ، ص٤١٢.
(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٩٩٧.
(٣) البحتري - الديوان، ج٣، ص١٣٦٩.
(٤) الحموي - معجم الأدباء،ج٢، ص٥٥١.
(٥) ابن الرومي - الديوان، ج٣، ص٩٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حَسَدَ بعضهم السواك لحظوته بريق المرأة الذي مُنِعُوا منه يقول[١] محمد بن عبد الله بن طاهر:[٢]

أيجوز عندك أن يكونَ مُتيَّمٌ ... بسواك عندك دون عُودِ أراكِ
ماذا عليكِ جُعِلْتُ قبلك في الثرى ... من أن أكُونَ خَلِيفَةَ المسواكِ

وإضافة إلى القيمة الصحية التي حققتها المرأة باستخدامها السواك فإنها حصلت على قيمة جمالية تتمثل فيما يمنحه السواك من سوادٍ للثة فتكشف عن بياض الأسنان[٣].

وأعجبهم في الرّيق عذوبته وبرودته؛ فأكثروا من الحديث عن متعة ارتشافه ووصفوه بالعسل مذاقاً وحلاوةً ورائحة، يقول ابن الرومي:[٤]

مَعْسُولَةُ الرِّيقِ يَحْكي طِيبَ نَكْهَتِهَا ... بَعْدَ الكَرَى وغُؤُور النَّجْمِ مِنْشَرها

ووصفوه بالخمرة طعماً وتأثيراً يقول البحتري:[٥]

لها ثَغْرٌ ومبْتَسَمٌ وريقٌ ... يَنُوبُ عن المُعَتَّقِهِ الطِّلاءِ

لذلك لم يجد الشعراء له بديلاً ويظهر هذا في فشل تجربة جحظة البرمكي [٦] يقول:[٧]

إذا ما ظَمِئْتُ إلى ريقهِ ... جَعَلْتُ المَدَامَةَ منه بَدِيلاً
وأينَ المُدَامَةُ من ريقهِ ... ولكنْ أُعَلِّلُ قلباً عليلاً

وجاء الريق في أشعارهم وسيلة لتخفيف ما تحمله دواخلهم من نار العشق وآلام البعد فكان مصدراً للشفاء من كل علة وظمأ يقول ابن الرومي:[٨]

تَعَلَّلتُ ريقاً يَطْرُدُ النَّومَ بَرْدُه ... ويَشْفِي القُلُوبَ الخائِماتِ الصَّواديا

---

(١) الوشاء - الموشى ص٢١٨.
(٢) محمد بن طاهر أخو عبيد الله كان كريما سَمْحا حسن الأخلاق مع علم وأدب وحسن معرفة في سائر العلوم ولاه المتوكل أعمال بغداد . انظر : الشابشتي - الديارات، ص١٢٢.
(٣) السري الرفاء – المحبوب ، ص٧٩.
(٤) ابن الرومي - الديوان، ج٣، ص١٠٩١.
(٥) البحتري - الديوان، ج١، ص٤٥.
(٦) أحمد بن جحظة البرمكي: شاعر حسن الشعر، يحسن الغناء على الطنبور وهو من ظرفاء العصر، لقبّه ابن المعتز بجحظه لنتوء شديد في عينيه ، قرّبه المعتمد كثيرا . ت ٢٨٠هـ . انظر : الحموي - معجم الأدباء ، ج٢، ص١٢٠٤.
(٧) الحموي - معجم الأدباء، ج٢، ص١٢٠٤.
(٨) ابن الرومي - الديوان، ج٦، ص٢٦٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجعله الشعراء لذلك ريقاً دائم الخلود والجمال ليتمتعوا بـــه دائمـــاً، فـــالنوم والأكـــل والمرض والزمن لا يفسده كباقي البشر، يقول ابن الرومي[١]:

تَـــذُوْدُ الكَـــرَى عنـــه بِنَشْـــرٍ كأنَّمـــا يُضَوِّعُـــهُ مِسْـــكٌ ذكـــيٌّ وعَنْـــبَرُ
ومـــا تَعْتَرِيـــها آفـــةٌ بَشَـــرِيَّةٌ مـــن النَّـــومِ إلاَّ أنَّـــها تتخـــثَّرُ

وأثارهم طيب أنفاسها التي تخرج من فيها ، فوصفوا طيبها برائحة الخزامى [٢] ،كما فعل ابـــن الرومي [٣]:

لـــها ريـــقٌ تشـــفٌّ لـــه الثنايـــا و تـــروي عنـــه لا منـــه الظِّمـــاء
وأنفـــاسٌ كأنفـــاسِ الخُزامـــى قبيـــل الصُّبـــحِ بلَّتْـــها السَّـــماءُ

وجعلها ابن المعتز كرائحة نبات الريحان يقول :[٤] :

كـــأنني عـــانقتُ ريحانـــةً تَنَفَّســـتْ فـــي ليلـــها البـــاردِ

وكان عنق المرأة كفيلاً بإبراز مفاتن وجهها ومحاسن صدرها وقامتها؛ لذا جاء مشـــرفاً متناسقاً مع جسمها طويلاً كعنق ظبيةٍ أفزعها مطاردٌ يقول ابن الرومي:[٥]

تَسْـــتَوْهِبُ الجِيْـــدَ إذا اتْلَعَـــتْ مِـــن ظَبْيَـــةٍ أفْزَعَـــها طـــالبُ

كما صوّروه بصرح المرمر لملمسه ونعومته ولونـــه يقـــول ابـــن الرومـــي فـــي إحـــدى غلامياته:[٦]

تكْسُـــو عُقُـــودُ الـــدُّرِّ والزَّبَرْجَـــدِ نَحْـــراً كَصَـــرْحِ المَرْمَـــرِ المُمَـــرَّدِ

وحرصت المرأة على العناية بعنقها وزيّنته بالحلي والقلائد التي جعلها الشعراء تمـــائم تحميه من الحَسَد لأنَّ جماله كان يثير حسد الأعضاء عليه وحسد العيون التي تبصره.

---

(١) ابن الرومي – الديوان ، ج٣، ص٩٠٧، تتخثر: ضدَّ الرقة خثورَة مصدر الشيء الخاثر خَثُرَ اللبن والعسل ونحوهما . ابن منظور-اللسان، مادة خثرَ.
(٢) نبات طيب الرائحة ، طويل العيدان ، صغير الورق ، أحمر الزهرة . ابن منظور – اللسان ، مادة خزم .
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج١ ، ص١٠١.
(٤) ابن المعتز – الديوان ، ص ٢٢٦ .
(٥) ابن الرومي – الديوان ، ج١، ص١٨٥، أتلعت : الظبية أخرجت رأسها وسمت بجيدها. ابن منظور- اللسان، مادة تلع.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدّث الشعراء عن عطله من الحلي ولم تكن صفة العطل لتقلل من جماله يقول ابن الرومي:[١]

أفْدي التي لم يُعَطِّلْ جِيْدَهَا عَوَرٌ ... من الحُلِيِّ ولا حَلاَّه إعْوَارُ
بل الحُلِيُّ عليه من تمائمِه ... لأنَّها لِعُيُوبٍ فيه أسْتَارُ
ظنّوا بِجِيْدٍ يكون الحُلْيُ عَوْنَتَهُ ... هل فوقَ مقداره في الأرضِ مقدارُ

واقتضى جمال الجيد عناية المرأة فبالغت في زينته وطيّبته بمختلف ألوان الطيب يقول ابن الرومي:[٢]

مُضَمَّخَةُ اللَّبَاتِ تَحْسَبُ نَحْرَهَا ... من المِسْكِ والحَادِيِّ نَحْرَ نَحِيْرِ

ونال صدر المرأة عناية الشعراء لتأثيره الكبير في رسم صورة جميلة عامة لجسم المرأة إذ يمنحه الاعتدال والتناسق ويكسبه الجمال والحسن.

وفضّل الشعراء المرأة كاسية العظام التي لا تبدو عظام صدرها، الناعمة، معتدلة الصدر، مستديرة الثدي التي تشبه في شكلها وملمسها حقاق الطيب المصنوعة من العاج، يقول ابن الرومي:[٣]

صُدُورٌ فوقهنَّ حِقَاقُ عاج ... وحَلْيٌ زانَهُ حُسْنُ اتِّسَاقِ
وما تلك الحِقَاقُ سوى ثُدَي ... قَدِرْنَ من الحِقَاقِ على وِفَاقِ

وأحبّوا الصدر المعتدل الحجم، الخالي من الترهل والارتخاء الذي يتناسب مع ميزان الاعتدال والتناسق الذي غدا أبرز عناوين جمال الجسد في هذا العصر، يقول علي بن الجهم:[٤]

شَاخِصٌ في الصَّدْرِ غَضْبَانٌ على ... قَبَبِ البَطْنِ وطيِّ العُكَنِ
يَمْلأُ الكَفَّ ولا يَفْضُلُها ... وإذا أُثْنِيَتْهُ لا يَنْثَنِي

---

(١) ابن الرومي - الديوان ، ج ٣، ص٩٩٧ .
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦٥٢.
(٤) علي بن الجهم- الديوان، ص٢٢١، القبَب: ضمور البطن ودقة الخصر. ابن منظور- اللسان، مادة قبَبَ ، العُكَن: اطواء في البطن من السمنة. ابن منظور- اللسان، مادة عَكَنَ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحبَّ الشعراء المرأة رشيقة القامة، الطويلة ولكن التي لا تفرع الرجال[١] وإنما المعتدلة التي تتناسب وجمال الجسم العام. فأكثروا من حديثهم عن هذه القامة المتوازنة ووصفوها بغصن البان أو القضيب الرَّطيب، يقول ابن الرومي:[٢]

وقَدٌّ كغصنِ البَانِ مُضْطَمِرُ الحَشَا تَنُوءُ بِه كُثْبَانُ رَمْلٍ أو اعِسُّ

و غصن الأبنوس لاسيما قامة السوداوات يقول علي بن الجهم:[٣]

غُصْنٌ من الأبَنُوسِ أبْدَى مِن مِسْكِ دَارِيْنَ لِي ثِمَارا
لَيْلُ نعيمٍ أظَلَّ بِه للطِّيْبِ لا أشْتَهي النَّهَارا

.أو الخوط وهو الغصن الطرّي يقول ابن الرومي:[٤]

مِن كُلِّ نَاعِمَةِ الشَّبا بِ كأنَّهَا الخَوْطُ الهصيرُ

وقد أعجبتهم القامة الهيفاء التي حاكت الهواء خفة ودلالاً، فشبهها الخبز أرزي في دقة خصرها بحرف الالف يقول:[٥]

أهْيَفُ يَحْكِي بِقَدِّه الأَلِفَا يَخْسَرُ مَنْ لم يَكُنْ بِه كَلِفَا

وفتنتهم القامة المجدولة التي منحت المرأة شكلاً جميلاً ومشية كلها دل وأنوثة يقول[٦] عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع:[٧]

جُدِلَتْ كَجَدْلِ الخَيْزَرَا نِ ثَنَّيتْ فتثنَّتِ

فشفت المرأة بقامتها المجدولة آلام الشاعر يقول البحتري:[٨]

مَجْدُولَةٌ هَزَّهَا الصِّبَا فَشَفَى قلبَك مَسْمُوعُهَا ومَنْظَرُهَا

---

(١)السري الرفاء – المحبوب ، ص١٣٣.
(٢) ابن الرومي - الديوان، ج١، ص٤١٢.
(٣) علي بن الجهم- الديوان، ص١٣٥.
(٤) ابن الرومي - الديوان، ج٣، ص٨٩٨.
(٥) النويري - نهاية الأرب، ج٢ ص١٠١.
(٦) الشابستي- الديارات ، ص٦٧.
(٧) حفيد الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين، شاعر مطبوع ظريف، مليح المذهب من أشعار المترفين، كان مغنيا محسنا جيد الصنعة وصاحب مجون وغزل وتطرّح في الحانات. انظر: الشابشتي - الديارات، ص٦٥-٦٧.
(٨) البحتري - الديوان، ج٢، ص١٠٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعني مجدولة حسب مفهوم أهل العصر كما يقول الجاحظ : "أكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة النقد، يقوّمون المجدولة، والتي هي بين السمينة والممشوقة ولابدَّ من جودة القدّ وحسن التجريد واعتدال المنكبين واستواء الظهر، ولابدَّ من أن تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيبية ولذلك قالوا كأنهَّا غصن بانٍ أو قضيب خيزران وجدل عنان[١]".

وأحبَّ الشعراء القامة المشدودة الصّلبة وليست المترهلة يقول ابنَ الرومي:[٢]

مِن السُّمْرِ اللِّدَانِ إذا استبكرتْ ... وصِرْفُ المَوْتِ في السُّمر اللِّدان
شَبِيَهاتِ الرِّماحِ قنا مُتُونٍ ... وكَلْماً في القُلُوبِ بلا سِنَانِ

ولم يكتف الشعراء بوصف رشاقة القامة وجمالها بل عللوا سرها وبينوا أسبابها فقد رأى بعضهم أنَّ الغذاء لا يكاد يصل إلى نصفيها. يقول ابن الرومي:[٣]

مُخفَّفةٌ، مُثَقَّلةٌ تراها ... كأنْ لم يَغْدُ نِصفَيْها غِذَاءُ

ولم تصل القامة إلى هذا الحد من الجمال إلا عند تناسق أعضائها وتوازنها من خصور وأرداف وأعطاف وأعجاز.

وقد وصف الشعراء هذه الاعضاء فكانت الأرداف كالدَّعص أو كثيب الرَّمل، والأعجاز مرتجة ممكورة والخصور خمصانة وهيفاء وهضيم [٤]، يقول هارون بن علي المنجم:[٥]

وفاتناتِ الطَّرْفِ والدَّلالِ ... هِيْفِ الخُصُورِ رُجِّحِ الأكْفَالِ

وخلق هذا التوازن الجمال الحقيقي الذي أحبه الشعراء في القامة يصور ذلك ابن الرومي في شاجي دميته يقول:[٦]

رَمْلَةٌ عَبْلَةٌ من البُدْنِ غصنٌ ... مُخْطَفٌ مُرْهَفٌ من الإدماجِ
فلأعطافها صنوفُ اهتزازٍ ... ولأرْدَافها صنوفُ ارتجاجِ

فكل عضو جاء وفقاً لميزان الجمال الخاص به مما جعلها تلتئم معاً. وإن بدا الشاعر متأثراً بالموروث الجمالي القديم.

---

(١) الجاحظ - رسائل الجاحظ (رسالة النساء) ، ص١٠٢.
(٢) ابن الرومي - الديوان، ج٦ ، ص٢٤٧٩ ، اللدان، لدنة: الناعمة. ابن منظور - اللسان، مادة لدَنَ.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٠١.
(٤) السري الرفاء – المحبوب ، ص١٢٤.
(٥) النويري - نهاية الأرب ج٥، ص١٢٢.
(٦) ابن الرومي - الديوان، ج٢، ص٤٨٩. رملة: قطعة من الرمل تُسمّى بها المرأة لامتلائها. ابن منظور - اللسان، مادة رَمَلَ ، عبلة : الضخم من كل شيء وامرأة عبلة أي تامة الخلق. ابن منظور - اللسان، مادة عَبَل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم الشعراء بنعومة القامة وملمسها ولينها فهي كالحرير ملمساً ونعومة عند ابن الرومي:[١]

أَبْشِرْ بِرُهْنٍ وما أَدَّرَعْنَ مِنَ الحَرِيرِ معاً حَرِيرُ

وكالماء والهواء لطفاً ونعومة عند ابن المعتز الذي يصف إحداهن وقد هَمّت بالاستحمام:[٢]

وقابلتِ الهَواءَ وقد تَعَرَّتْ بِمُعْتَدِلٍ أَرَقَّ من الهواءِ
ومَسَّتْ راحةً كالماءِ منها إلى ماءٍ عَتِيْدٍ في إناءِ

كما أَسَرَهم طيب القامة وعطرها، يصف ابن الرومي جسم إحداهن وقد ضَمَّخته بأنواع الطيوب يقول:[٣]

أَلُوفُ عطرٍ تُذَكِّي وهي ذاكِيَةٌ إذا أَسَاءَتْ جَوارَ العِطْرِ أَبْدَانُ
كأنَّها وعُثَّانُ النَّدِّ يَشْمَلُها شَمْسٌ عليها ضَبَابَاتٌ وأَدْجَانُ

وقد انتقل أثر طيبها وعطرها إلى كل مكان تواجدت فيه يقول ابن المعتز:[٤]

إذا رَغِبَتْ عن جانبٍ من فِرَاشِها تَضَوَّعَ مِسْكاً أين مَالت جَوانِبُه

وجعل الشعراء الطيب جزءاً لا ينفصل عن صورة المرأة خاصة السوداء بهدف تقريبها من الأذواق وإكسابها شيئاً من الجمال خاصة المسك [٥] لمشابهة اللون يقول[٦] أبو الشبل البرجمي[٧] في جارية سوداء أحبها تسمى (تبر) :

يا بِنْتَ عَمِّ المِسْكِ الذَّكِيِّ ومن لولاك لم يُجْتَبَ ولم يَطِبِ
ناسَبَكِ المسك في السَّوادِ وفي الطِّـ... ـيبِ فاكْرِم بِذَاك من نَسَبِ

---

(١) ابن الرومي - الديوان، ج٢، ص٨٩٨.
(٢) السَّري الرَّفاء - المحبوب، ص١٢.
(٣) ابن الرومي - الديوان، ج٦، ص٢٤٢٢ ، عثان، الدُّخان، يدخن الثوب حتى يعبق بالطيب، ابن منظور- اللسان مادة عثن.
(٤) ابن المعتز - الديوان، ص١٢٦.
(٥)سهيل خصاونة – الغزل بالسود ، ص٣٠.
(٦) الشابشي- الديارات، ص٥٣.
(٧) عاصم بن وهب البرجمي، وكنيته أبو الشبل كثير الغزل، ماجن، نادم المتوكل واختصّ به لظرافته وخفة روحه، عُمّر طويلا. انظر: ابن المعتز-طبقات الشعراء، ص٥٣-٥٥ ، الأصفهاني - الأغاني ،ج١٤، ص٣٨٢-٣٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع جودة القد وجمال الخصر ونعومة الملمس وطيب الجسم، كانت المشية ناعمة فيها دل وأنوثة، فوصف الشعراء مشية المرأة ونعتوها بالبطيئة والمتمهلة والمتثنية [١] . يصف البحتري مشية إحداهن مترجماً تأثيرها على نفسه [٢]:

تمشي فَتَحْكُمُ في القُلُوبِ بدَلِّها ... وتَمِيسُ في ظِلِّ الشَّبابِ وتَخْطُرُ
وتَميلُ من لِيْنِ الصبا فَيُقِيمُها ... قَدٌّ يُؤَنِّثُ تارةً ويُذَكِّرُ

وجاء التثني نتيجة حتمية لرشاقة القامة يقول ابن المعتز: [٣]

من كَفِّ رِئْمٍ تُثْنَى مَنَاطِقُهُ ... على هَضِيْمِ الكَشْحَينِ مَمْشُوقِ

بينما رأى ابن الرومي مشية إحداهن فقد اشتدت في سيرها ، وتلاحقت خطواتها ، فتدافع ثوبها المصنوع من قماش الوشي بطريقة ذكرته بتدافع الماء المتلاحق . يقول [٤] :

جاءت تدافعُ في وشيٍ لها حَسَنٍ ... تَدَافُعَ الماءِ في وشيٍ من الحبب

ولعل اسبب خطواتها القصيرة التي كلها دَلّ وأنوثة ، يقول ابن الرومي[٥] :

بَعُدَتْ خُطْوَةُ النَّوى بغزالٍ ... يَقْصُرُ الدَّلُّ خطوَهُ حين يخطو

واكتمل جمال القامة بصورة الساق التي جاءت ريّا ممتلئة لا بالدقيقة الهزيلة قليلة اللحم، الصلبة ناقرة العروق وإنما ممتلئة بشكل يضمن عدم ترهلها ناعمة لينة يقول ابن الرومي(٦) :

ثقيلات أرْدَافٍ، نبيلاتُ أسْوقٍ ... وما شِئْتَ من قُبِّ البُطُونِ خَمائِصُ

كما وصفت بأنها ممكورة أي لفاء ممتلئة ، وقد بدت هكذا حمدونة زوجة محمد بن صالح العلوي حين وصفها(٧) :

ممكورة السَّاقِ رُدَيْنِيَّةٌ ... مع الشوى الخَدْلِ وحُسْنُ القوامِ
صامتةُ الحجْلِ خفوقُ الحشا ... مائرة السَّاق تَقَّال القيام

---

(١) السري الرفاء – المحبوب ، ص١٤٧.
(٢) البحتري - الديوان، ج٢، ص١٠٧٠ ، تميس: تميل. ابن منظور - اللسان، مادة مَيَس.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٥٣١.
(٤) ابن الرومي – الديوان ، ج١ ، ص٢٦٩.
(٥) المصدر نفسه ،ج٤،ص١٤٣١.
(٦)المصدر نفسه ، ج٤ ص١٣٦٦.
(٧) الأصفهاني – مقاتل الطالبيين ، ص٦٠٥.انظر الأصفهاني – الأغاني ،ج١٦ ، ص ٥١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبع جمالها من تناسقها مع أعضاء الجسم الرشيقة؛ لذلك وصفها الشعراء بالامتلاء والتناسق فأخرست الخلخال لامتلائها ونعومتها، يقول ابن المعتز:(١)

مِنْ غَزَالٍ شِرقِ الخلخالِ عَطْشانِ الوِشَاحِ

وجاءت صورة الساعد واليد لتكمل صورة الجمال المادي الذي حوته عروس الشعر في صورتها الحسية. وهي بلا شك متناسقة مع الجسم إذ بدت الساعد ممتلئة ناعمة، مشدودة لا ترهل فيها واليد ناعمة رقيقة ليست خشنة أو نافرة العروق، أصابعها بيضاء رفيعة مخضوبة، وصفها الشعراء بقضبان اللجين يقول ابن الرومي:(٢)

وَضَعَتْ كَقُضْبَانِ اللُّجَيْنِ وُصِلْنَ بِاليَاقُوتِ الاحمَرْ
أَطْرَافَ كَفٍّ فَوقَ خَدٍّ مِنهُ مَاءُ الحُسْنِ يَقْطِرْ

ووصفت بمداري الفضة يقول ابن الرومي:(٣)

بِبَنَانٍ كمَدَارِي فِضَّةٍ طُرِّفَتْ بِالنُّورِ فِي مَجْرَى السُّبَحْ

وحفلت المرأة حتى البدوية بتزيين يديها وأصابعها بالحناء والعَنْم يقول المتنبي في صباه:(٤)

تَرْنُو إِلَيَّ بِعَينِ الظَّبيِ مُجْهِشَةً وتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوقَ الوَرْدِ بِالعَنَمِ

كما تعرض الشعراء إلى وصف أجزاء داخلية من جسم المرأة بشعرٍ يقطر مجوناً وابتذالاً ؛ لذلك تعففاً تغاضيت عن ذلك (٥) ، علماً أن بعض الباحثين رأوا أن عظمة الغزل إنما تكمن في مجونه وابتذاله ، وتجربته الحية المعبرة عن روح العصر(٦). ولا أدري منذ متى كان المجون يمنح عظمة ، وهو بؤرة الانحطاط والزوال (٧) ، فهو يقتل الروح تحت أدران المادة ، ولا يرتفع

---

(١) ابن المعتز - الديوان ، ص٢٠٣.
(٢) ابن الرومي - الديوان، ج٣، ص١١٠٠.
(٣) ابن الرومي - الديوان، ج٢، ص٥٥٨ . مداري: مشط . ابن منظور - اللسان، مادة دري.
(٤) المتنبي - الديوان ، ج٤، ص١٥٤، العنم : ضرب من الشجر له ورد أحمر يستخدم للخضاب . ابن منظور - اللسان، مادة عنم.
(٥) انظر الأصفهاني – الأغاني ، ج١٤ ، ص٣٨٨، ابن الرومي – الديوان ، ج٤ ، ص١٤٦٤ ، ص١٦٥٦، النويري – نهاية الأرب ، ج٢ ، ص ١٦-١٢٣ ، الحصري – زهر الآداب ، ج١، ص٤٤٥.
(٦) عبد الحميد جيدة – مقدمة لقصيدة الغزل العربي ، ص١٦٠.
(٧)المصدر نفسه ، ص١٨٧، انظر محمد هدارة – اتجاهات الغزل في القرن الثاني ، ص٥٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقريحة ولا يسمو بها فوق رغبات الجسد الفانية ؛ لتعطي من ألقها شعراً يلامس شغاف القلوب وأوتار الأرواح ، قد يعكس المجون صفحة حقيقية يعيشها مجتمع وصل حدَّ الإشباع متعةً وابتذالاً ، وأغترف منها أبناؤه آلاف الصور في قصائدهم ومقطوعاتهم لكنها لم تزد في قيمتها المعنوية أو الفنية زيادة تجعلنا نتلمس تلك العظمة التي يتحدثون عنها .

وإزاء هذا الجمال كله لا ندري هل يمكننا اعتبار الشعر شهادة حقيقية ، تثبت امتلاك المرأة لكل آيات الحسن والجمال ، أم أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون ، أم لعل الأمر على ما ذكر هداره "لم يعد للجمال مقياس ثابت يحتذيه الشعراء ، لكنهم تصرفوا في وصفهم ؛ فأخضع كل منهم مقياس الجمال لذوقه الخاص حتى أننا نجد من خرج على المألوف وبالغ في مقياسه" [١] .

الزينة ووسائل التجميل:

اهتمت المرأة كثيراً بزينتها وجمالها الخارجي؛ فوفّرت لنفسها من أشكال الزينة والتجميل ما يضمن استمرار جمالها وبقاءه.

وكانت الثياب أحد جوانب اهتمامها من خلال تصاميمها وأشكالها وألوانها، وساهم التقدم الحضاري الذي عاشه المجتمع في توفير كل ما تحتاج إليه المرأة من أجود أنواع الأقمشة. وكان للجواري تأثيرٌ واسع في هذا المجال من خلال ابتكار الأزياء وتطويرها، وقد صوّرت المصادر التاريخية خاصة كتاب "الموشى" أشكالاً مختلفة من الأزياء التي ارتبطت بمناسبات اجتماعية أو دلّت على حالات اجتماعية وقد استخدمت الألوان للدلالة على ذلك فالمَوّرد والأحمر لباس النساء النبطيّات والإماء المتقيّنات والبياض لباس المهجورات والأزرق والأسود لباس الأرامل والمقرَّعات.[٢]

وصوّر الشعراء هذا الجانب فوصفوا الألوان والنقوش والأشكال ومدى تأثير ذلك على نفوسهم حيث أقبلت الجواري على ارتداء الثياب ذات الألوان المشرقة والساطعة يقول ابن المعتز واصفاً ثياب مغنية:[٣]

وقُمريّة الأصواتِ حُمْر ثيابُها تُهينُ ثيابَ الوَشيِ جَرّاً وتسحابا

---

(١)محمد هدارة – اتجاهات الغزل في القرن الثاني ، ص٥٥٧.
(٢) الوشاء- الموشى ص١٨٤-١٨٥.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما نجد أنَّ الحرائر لا زلن يقبلن على الأقمشة ذات الألوان الغامقة كالديباج والموشى والخز التي رآها الشعراء مصدر سحر وفتنة يصوّر علي بن الجهم إحداهن في ثياب حدادها :[١]

طَلَعتْ وهي في ثِيَابِ حِدَادٍ طِلْعَةَ البَدْرِ من خِلالِ السَّحَابِ

واسترعاهم ما أحدثته المرأة من أنواع كالغلائل والزنانير والأقبية والمناطق ، وأشكال خاصة تشبه ملابس الرجال للجواري الغلاميات ، يصف ابن المعتز ساقية غلامية يقول:[٢]

من يَدَيْ عَسْكريّةٍ الزِّي تمشي في قِباءٍ مُشَمَّرِ الأذيالِ

ويصف ابن الرومي غلامية أخرى يقول [٣]:

تختالُ في زي غلامٍ أمرد حين بدا للحُلْمِ أو كأنْ قَدِ

ولم يفتهم ما على الثياب من زخارف ونقوش وكتابات يصف أبو علي البصير وذلك من خلال وصفه لطائر الحجل :[٤]

ولابِسَةٍ ثَوْباً من الخزِّ أدْكَنَا ومن أخضرِ الدِّيباجِ رانساً ومَعْجِرَا
مُقَلَّدَةً في النَّحرِ سِبْحَةَ عَنْبَرٍ على أنَّها لم تلتمسْ أنْ تَعَطَّرا
مطرّزَةَ الكُمَّيْنِ طرزاً تُخَالُها بتقويمها في حُلْكَةِ الليلِ أسْطُرا

والمعجر من الملابس التي لا تزال مستخدمة حتى اليوم في شمال إفريقيا خاصة في الجزائر. أمَّا الكتابة على الثياب فكانت في الغالب أشعار الشوق والحب والغرام، واختصت بها الجواري دون الحرائر وحفلت بها كتب الأدب، ومن أمثلة ذلك ما كتبته جارية لقبيحة زوجة المتوكل على رداء رشيدي لها:[٥]

أراهم يَأمُرونَ بِقَطْعِ وَصْلي مُرِيْهِمِ في أحِبَّتِهم بذاكِ
فإنْ هُمْ طاوعُوكِ فَطَاوِعِيْهِم وإنْ عَاصُوكِ فاعْصِي مَنْ عَصَاكِ

---

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٦١٠.
(٢) ابن المعتز - الديوان، ص٦١٠.
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج٢ ، ص٧٣٣.
(٤) الحصري- محاضرات الأدباء، ج٤، ص٦٧٥ . مِعْجَر: ثوب تلقه المرأة على استدارة رأسها ثم تجلبب فوقه جلبابها والجمع معاجر. ابن منظور - اللسان، مادة عجر. رانا: كالخف إلا انه لا قدم له وهو أطول قليلاً من الخف. الزبيدي - تاج العروس ، مادة رين .انظر اشعار أبي علي البصير ، المورد ، ج١ ، سنة ١٩٧٢ ، ص١٦٠ .
(٥) الوشاء- الموشى ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتبت بَنَان شاعرة المتوكل على قلنسوة لجاريتها:[١]

إنْ كنتُ خُنْتُ ولم أُضمرْ خيانَتَكم ... فاللهُ يأخذُ من خانَ أو ظلَمَا
سَمَاحةً من مُحبٍّ خانَ صَاحِبَهُ ... ما خانَ قَطُّ مُحسبٌ يَعْرِفُ الكَرَمَا
والله لاَنظَرَتْ عيني إليك ولا ... سالتْ مَسَارِبُها شوقاً إليك دما

واهتمت المرأة بزينة شعرها وطريقة تصفيفه وتسريحه وابتكرت لذلك طرقاً جديدة؛ فظهرت الأصداغ[٢]، والصُّدغ جانب الوجه والشعر الذي فوقه وهذه الطريقة تكون بالعقربة أي ضمّ الشعر على شكل عقرب، يصف علي بن الجهم ذلك بقوله:[٣]

في الرَّأسِ منها نبتُ جَثْلٍ فاحمٍ ... وأنامِلٌ في اللَّيِّن منها تُعقَدُ
ومُعَقْرَبُ الصُّدغين يشكو طرفُهُ ... مَرَضَ الذي حَنَّت عليه العُوَّدُ

وهذه المرأة لم يكن ينقصها الجمال في الشعر والعيون والأنامل.

وبعض النساء يجعلن الأصداغ على شكل حروف مثل حرف النون والقاف ، يصف ابن المعتز إحداهن يقول [٤]:

لوى صُدْغَهُ كالنّون من تحت طُرَّةٍ ... مُمَسَّكَةٍ تزهى بعاج جبين

كما صففت شعرها ضمن أشكال معينة منها ما كان على شكل عناقيد يقول ابن المعتز:[٥]

وفاحِمٍ مَالَ على الخدِّ ... مِثْلَ العَنَاقِيدِ على الوَرْدِ

ويصف ابن الرومي هذه العناقيد وقد بدت بشعرٍ أجعد يقول :[٦]

كأن العناقيدَ الجِعادَ تهدَّلتْ ... بهنَّ على أعجازهن الفرادسِ

أو اتخذته على شكل إبر العقارب أو أذناب الأفاعي يقول ابن الرومي :[٧]

---

(١) الوشاء - الموشى، ص٢٥٧.
(٢) زكية عمر العلي- التزيق والحلي في العصر العباسي، ص٣٧-٦٠. انظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٥٢-٢٥٣.
(٣) علي بن الجهم - الديوان، ص٩٤ . جَثْل: كثير ملتف. ابن منظور - اللسان، مادة جثل . انظر واجدة الأطرقجي –المرأة في الأدب العباسي،ص ٢٥٢.
(٤) ابن المعتز – الديوان ، ص٦٨٨. انظر المصدر نفسه ، ص١٣٧، ص٥٧٠.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٣٠.
(٦) ابن الرومي – الديوان ، ج٣ ، ص١٢٢١.
(٧) المصدر نفسه ، ج١، ص٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاقيتُ مـن صُـدْغٍ عليـه مُعقْـرَبٍ أفعـى تـبرّح بـالفؤاد وعقربـا
يكسـوه صـورةَ مَخلـب فكأنمـا ينحـى علـى كبـدي وقلبـي مخلبـا

كما كانت تقوم بعقصه ورفعه وهي الطريقة المفضلة عند الغلاميات أو الجواري النصرانيات ، يقول علي بن الجهم :[١]

فمنـهنَّ عاقصـةٌ شـعرها ومُصْلِحَـةٌ عَقْـدَ زُنَّارِهـا

أو تقوم بتجعيده يقول المتنبي [٢] :

حـالِكٍ كـالغُدافِ جَثْـلٍ دَجُوجـي أثيـثٍ جَعْـدٍ بـلا تَجْعيـدِ

وتعد نوعية التجعيد قريبة لما نشاهده في هذه الأيام ، كما يظهر في قول ابن دريد:[٣]

جَعُـودةُ شَـعْرِها تحكْـي غَديـراً يُصفِّقُـهُ الجنـوبُ مـع الشَّـمالِ

وتقوم بعضهن بتطويله عن طريق وصله في طرفه بشعر من جنسه [٤]

وحافظت المرأة على سلامة شعرها وجماله باستخدام الدهون والأصباغ وأشهرها الحنّاء[٥] وطيّبته بمختلف أنواع الطيوب، فقد ذكرت المصادر أنَّ الشاعرة (عَريب) كانت تبالغ في تطييب شعرها إذ تغلّفه أسبوعياً بستين مثقالاً من المسك والعنبر.[٦]

وكانت المرأة أحياناً تزيّنه بالحلي والعقود والسلاسل وأمشاط الذهب والفضة التي تلف المرأة عليها شعرها ، يقول ابن المعتز:[٧]

يقطّـعُ فـي كأسِـها رؤوس مَـدَاري ذَهَـب

(١) علي بن الجهم – الديوان ، ص١٤٨ .
(٢) المتنبي - الديوان، ج٢، ص٤٢.
(٣) النويري - نهاية الأرب ج٢ ، ص٢١ .
(٤) ابن بطلان – رسالة شري الرقيق ، نوادر المخطوطات ، ج١، ص٤١١.
(٥) زكية عمر العلي- التزيق والحلي، ص٦١-٦٦.
(٦) الأصفهاني- الأغاني، ج٢١ ص٥٦.
(٧) ابن المعتز - الديوان، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تستخدم هذه المداري لرفع الشعر إذا ما شعرت المرأة بالضيق من استرساله ، كما يقول ابن الرومي :[١]

ولها دُجى ليلٍ تجلّلها فتظلُّ تُذريهِ وترفعه

ونال الوجه عناية المرأة واهتمامها، وهو أمرٌ فطري لأهميته؛ فاستخدمت كافة الدهون والأصباغ وزيّنته بالخالات والنقط والحروف و الأشكال ، يقول ابن المعتز:[٢]

نقطٌ صُدغَكِ ذالاً فالويل من شكل ذالك
لو أن ذَاك ذالي سجدتُ من أجل ذلك

وإن رأى بعضهم أن الجمال الطبيعي أفضل بكثير من هذه الأشكال والأصباغ التي تستخدمها المرأة ، قال بهذا أبو عثمان الناجم :[٣]

حُمْرةُ وردِ الخَدِّ أعْدَتْهما والصِّبْغُ قد ينفذ أحيانا

و رأى هذا أحمد بن صالح القطربلي :[٤]:

خلص الجمالُ فليس يُعيبُه خُلقٌ تنقَّص فيه إلا حاسد
ما الحسن منه على تصنُّع زينةٍ و على التَّشعُّث و التَّموه واحد

و إستخدمت الكحل للعيون مما يمنحها سواداً وصفاءً،يقول ماني الموسوس :[٥]:

كَحَلَ الجَمالُ جفون أعينها تفتر عن كَحَلٍ بلا كَحْل

وزجّجت الحواجب وحَمّرت الشفاه والوجنات، واستخدمت المساويك لتعطير الفم وأقبلت على كافة ألوان العطور.

كما اهتمت بارتداء الحلي والمجوهرات لا سيّما نساء الطبقة المترفة من أساور ودمالج وهو المعضد أو السوار الذي يجعل في العضد وخواتم وقلائد وخلاخيل وأقراط ومناطق ذهبية وتيجان[٦] .

---

(١) ابن الرومي – الديوان ، ج٤، ص١٥٣٩.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٥٤٠.
(٣) الحموي – معجم الأدباء ، ج٣ ، ص١٣٤٩
(٤)الصفدي –الوافي في الوفيات ، ج٦ ،ص٤٢١.
(٥) ماني الموسوس –شعره ،ص٩١
(٦) زكية عمر العلي – التزيق والحلي ، ص١٣٧-٢٠٠. انظر مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية ، ص٦٩، عيسى سابا – المغنيات في الأدب العربي ، ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يرى ابن المعتز حلي إحداهن ، يقول: [١] .

غـزال صفـا مـاء الشـباب بخـــده فضـاقت عليـه سـوره و دمالجـه

و يقول ماني الموسوس في حديثه عن حلي إحداهن :[٢]

افـدي الظبـاء اللواتـي لا قـرون لـها و حليـها الـدر و اليـاقوت و الذهـب

وقد طرب الشعراء كثيرا لوسوستها خاصة إذا ما الصقت هذه الحلـي والمجوهـرات على الثياب فكانت كمعوذات أو تمائم ترد الحسد لا سيما إذا كتبت عليها آيـات قرآنيـة أو مـن أسماء الله الحسنى ، كما يرى ابن الرومي في وشاح إحداهن [٣] .

متوشـح بمعـاذتين يخيفـه مالا يخاف وقد سـبى مـن قـد سـبى

وقد تحولت هذه الحلي والمجوهرات من أدوات للزينة إلى نوع من الادخار ، ظـهر ذلـك فـي تعاملات الخليفة المستعين ، وفي موجودات خزائن المجوهرات عند قبيحة أم المعتز [٤] .

وظهر الصليب جزءا من زينة الجارية النصرانية يقول عبد الله بن العباس بـن الفضـل بـن الربيع:[٥]

يتثـنى بحسـن جيـد غـزال ذي صليـب مفضـض آبنوسـي
كم لثمـت الصليـب فـي الجيـد منـه كـهلال مكلـل بشـموس

كما اهتمت المرأة بطيبها وعطرها حتى غدا هذا جانبا مهما من شخصيتها ، وقد رافـق معظـم صور الجسد عندها في الشعر السالف .

وهذا يعني أن المرأة كانت جميلة وفاتنة وتملك ذوقا جماليا عاليا ظـهر فـي زينتـها ووسائل تجميلها وفي فهمها للجمال المطلوب عند أهل العصر.

---

(١)ابن المعتز – الديوان ، ص١٧٤ .
(٢) ماني الموسوس – شعره ، ص ٤٥
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج١، ص٣٤١.
(٤) ابن العبري – مختصر تاريخ الدول ، ص٢٥٦ .انظر صلاح الدين المنجد – جواهر الخلفاء العباسيين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ١٦، سنة ١٩٤١، ص٥٦١.
(٥) الشابشتي- الديارات ص٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدا من الواضح وجود تغيير ليس بالقليل على جوانب الجمال الحسي في هذا العصر تمثّل في ظهور أبعادٍ جمالية حِسّية جديدة[١] عمادها فكرة التوازن والتناسق بين الأعضاء الأخرى في الشّعر والصدر والقامة والساق، مع ميلٍ نحو الرشاقة والخفةَ والاعتدال والبعد عن الاكتناز والسمنة في الصدر والبطن والأرداف والأعجاز كالتي كانت عليها قيم الجمال في العصور السابقة .ولا يعني ذلك مخالفة تامة لأذواق الجمال وقيمه الموروثة، فالكثير من التغيرات الجديدة راقتَ قيم الجمال الموروثة خاصة تلك التي تشي بمضامين قريبة منها كالتناسق والائتلاف ؛ لذلك نجد النموذج الجمالي عند البحتري تقليدياً لا يكاد يلامس الحضارة إلا بطرف يسير ، لكنه قريب من الأذواق التي جلبتها الحضارة .[٢] مما يعني أنَّ المثال الجمالي الحسيَّ كان وليدَ امتزاجٍ بين عناصر جمالية موروثة تمثل ذوق العرب وأخرى جديدة تمثل ذوق الأمم الأخرى وهو ما جلبته الجارية، مما يؤكد دور الجواري و القيان في المساهمة في تغيير معالم الجمال في هذا العصر .هذا هو جمالها الحقيقي وحالهم كما ذكر ابن رشيق بحال رجلين ابتنى الأول بناءً فأحكمه وجاء الثاني وزيّنَه ونقّشه.[٣]

ويمكننا القول إنَّ هذه القيم لم تكن وليدة اللحظة أو الصدُفة وإنما نتاج رغبةٍ جمالية كامنة في النفوس ساعدت الحضارة على إخراجها بطريقة واعية لم تكن مفاجئة للمجتمع ، كما يلاحظ أن الشعراء قد تعاملوا مع الجمال الحسي للمرأة على أنه جمال جزئي لا كلي بحيث فصّلوا كثيراً في أجزاء الجسم ولم يتعاملوا معه على أنه كل متكامل ولعل ذلك يعود الى أن الإنسان إذا أحب شيئاً فضله لإظهار جوانبَ الجمال فيه ، ومع ذلك فالشعر العباسي نهل بترف من جمال هذا الجانب سواء في معانيه وصوره ورقة موسيقاه .[٤]

---

(١) انظر : السرّي الرفاء - المحبوب ، ص١٦٨. صلاح الدين المنجد - جمال المرأة عند العرب، ص٥٧.
(٢) نعمات أحمد فؤاد – المرأة في شعر البحتري ، ص٣٣. انظر يسري سلامة – الأدب في القرن الثالث ، ص٣٥.
(٣) ابن رشيق - العمدة ج١، ص٩٣.
(٤) كرم البستاني – النساء العربيات ، ص٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة المرأة المعنوية في شعر الغزل:

لم يكتفِ الشعراء برسم صورة مادية لمن يحبون من النساء بل أضفوا على نموذجهم الجمالي جمالاً روحياً بحيث غدت المرأة كائناً استثنائياً[١] مفرد المزايا والصفات جامعاً لآيات الحسن والجمال الروحية.

ومن هذه الصفات حديث المرأة، ينبوع سحرها الذي تنفثه شفتاها؛ فيأسر القلوب ويفتن الألباب، لذلك تناول الشعراء صفاته ونوعه واستشعروا جمال الصوت وأثره، فأحبَّ الشعراء منه ما كان وقوراً يدل على رزانة وعقل لا يثير طمعاً ونقصاً، فيه أنس وطمأنينة ، يقول ابن الرومي[٢]

من كُلِّ آنسةِ الحديث لها ... وجهٌ كأن الشمسَ مطلعُه

فلا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المقتضب، يخاطب العقل وينم عن ذكاء وعقل وفهم وحسن خطاب، يصف ابن الرومي حديث إحداهن يقول:[٣]

وحَدِيثُهَا السِّحْرُ الحَلالُ لو أنَّه ... لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ
إن طال لم يُمْلِلْ وإن هي أوجزتْ ... وَدَّ المُحَدَّثُ أنَّها لم توجزِ
شَرَكُ النُّفوسِ وفِتْنَةٌ ما مثلُها ... للمُطْمَئِنِ وعُقْلَةُ المُسْتَوفِزِ

وأعجبهم سحر هذا الحديث وظرفه وخفة الروح لصاحبته يقول الخليفة الراضي:[٤]

ومُعْتَدلُ الحُسْنِ لكنَّه ... يُخْطِّي الذُّنوبَ وحُبَّ الرِّيَب
تألَّفَ من خُدَعٍ كُلُّه ... بِسِحْرِ اللِّسانِ وظَرْفِ الأدَب

وقد دفعتهم الجارية الأعجمية التي حلّت بظرفها وجمالها في قلوب الجميع كما يقول الخليفة المعتمد:[٥]

حَلَلْتِ بالظَّرفِ والجمال من النَّـ ... ـاس مَحَلَّ العيون والمهج

---

(١) طاهر لبيب - سوسيولوجية الغزل، ص١١٥.
(٢)ابن الرومي – الديوان ، ج٤ ، ص١٥٣٩.
(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١١٦٤.
(٤) الصولي- أخبار الراضي، ص١٥٥.
(٥) ابن قنيتو - خلاصة الذهب المسبوك، ص٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الاهتمام بحديثها الأعجمي الذي دل على قدرة في الخطاب وحضور في البديهة يقول الخليفة الراضي:(١)

قد أفصَحَتْ بالوَتَرِ الأعْجَمِ وأفْهَمَتْ من كان لم يَفْهَمِ

و هذا ضرب من تأثير الجواري على الخلفاء.

وقد شبّه الشعراء الحديث بالدّر، يصف إبراهيم بن المدبّر حديث (نَبْت) جارية البكرية بالدّر:(٢)

نَبْتُ إذا سَكتتْ كان السُّكوتُ لها زيناً، وإنْ نَطَقَتْ فالدُّرُّ يَنْتَثِرُ

واللؤلؤ كما في قول البحتري:(٣)

ولمّا التقينا والنَّقا مَوْعِدٌ لنا تَعجَّبَ رَائِي الدُّرِّ حُسْنا ولا قِطُه
فمن لؤلؤٍ تَجْلُوهُ عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديثِ تُسَاقِطه

ورآه بعضهم كجني النحل حلاوة وعذوبة ، كما في أحاديث صاحبة ابن المعتز :(٤)

وسِرُّ أحاديثٍ عِذابٍ لو أنها جنى النحل لم تَمْجُجْ حلاوتها النَحلُ

واستشعروا في حديثهم عن المرأة المتحدثة عمق الصوت وتأثيره لا سيّما في صورة الراهبة أو القارئة و ترتيلها زابور داود يقول الحسين بن الضحّاك مُبْدياً إعجابهِ بجمال صوتها:(٥)

لله هَاتِفَةٌ هَبَّتْ مُرَجِّعَةٌ زَبُورَ داودَ طَوْراً بَعْدَ أطْوَارِ
يحثُها دالِقٌ بالقدس مُحْتَنِكٌ من الأساقف مزمُوراً بمزمور

وجاء اهتمامهم بهذه الناحية واضحاً في حديثهم عن المغنيات وإتقان صنعة الغناء والعزف لأنَّ الصوت من أبرز مقومات العملية الفنيّة والغنائية.

وحاول ابن الرومي أن يضع معايير هذا الصوت والتي تعتمد على السلاسة والتلقائية والعفوية والطبع والبعد عن التصنّع والتّكلف يقول:(٦)

ذاتِ صَوْتٍ تَهُزُّه كيف شَاءَتْ مِثْلِ ما هَزَّتِ الصَّبَا غُصْنَ بانِ
جَهْوَرِيٍّ بلا جَفَاءٍ على السَّمْـ ـعِ مَشُوبٍ بُغنَّةِ الغُزْلانِ
فيه بَمٌّ وفيه زِيرٌ من النَّغـ ـمِ وفيه مَثَّالثٌ ومثاني

---

(١) المرزباني - معجم الشعراء، ص٤٣١.
(٢) الأصفهاني- الأغاني، ج٢٢، ص٣٨٢.
(٣) البحتري - الصيرفي، ج٢، ص١٢٣٠.
(٤) ابن المعتز – الديوان ، ص٦٠٨.
(٥) الحسين الضحاك- أشعار الخليج، ص٥٩.
(٦) ابن الرومي - الديوان، ج٤ ص١٤٩٩ . بم: الوتر الغليظ من أوتار العود. ابن منظور- اللسان، مادة بم . زير: ما تقابل البم من العود، ودقيق الأوتار وأحدّها . ابن منظور- اللسان، مادة زور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتراهُ يَجِلُّ في السَّمعِ حينا ... وتراهُ يَدُقُّ في الأحيانِ
فهو يَحْكي ترقْرُقَ النهي في الرِّيـ ... ـحِ لعيني ذي غُلَّةٍ صَدْيانِ
يَلِجُ السَّمْعَ مُسْتمِرًّا إلى القلْـ ... ـب بلا آذِنٍ ولا استئذانِ

وقد كشفت هذه المعايير عن قدرة كبيرة بلغت "مرتبة الموسيقيين الذين يتمثلون للأنغام ألواناً وزخارف وأوشيةً تكاد تتطبع في صفحة الخيال أو تكاد تدركها العين لشدة بروزها في قرارة الوجدان" . (١)

واقتضى جمال الصوت اتقان الغناء والعزف والتلاؤم بينهما؛ فنالت صور التلاؤم اعجاب الشعراء وتأثرهم، يصف الشاعر علي بن يحيى المنجم مدى الاتقان الذي بلغته إحداهن ومدى التلاؤم الذي حققه صوتها وعزفها يقول:(٢)

غَنَّتْ فأخفتْ صَوْتَها في عُوْدِها ... فكأنَّما الصَّوتانِ صَوْتُ العُوْدِ
أنْدَى من النَّوار صُبْحاً صَوْتُها ... وأرَقُّ من نَشْرِ الثَّنا المَعْهُودِ
فكأنَّما الصَّوتانِ حين تَمازَجا ... مَاءُ الغَمَامةِ وابنةُ العُنْقُودِ

وكانت نتيجة هذا الاتقان ساحرةً للألباب شفاءً للأرواح يقول أبو عثمان الناجم:(٣)

لها غِنَاءٌ كالبُرْءِ في جَسَدٍ ... أضْنَاه طُولُ السَّقامِ والتَّرَحِ

ونظرات المرأة لا تقل تأثيراً عن حديثها فهي مصدر إلهام الشعراء والأدباء وإبداعهم ومنبع فتنتهم وسحرهم.

يتجلى فيها الجمال المادي وتعكس بسهامها الجمال الحقيقي، تملك لغة خاصة تسبي بها العقول عندما تحلّها بدل لغة عالم الأحياء المادية يقول الخليفة الراضي:(٤)

له مُقْلَةٌ تُسْبي العُقُولَ وفتنةٌ ... تُسَقِّطُني من حيث أدري ولا أدري
عليهِ بوَجْهِي الطَّرْفِ حتى كأنمَّا ... يُخَاطِبُهُ فِكْرِي بما ضَمَّهُ صَدْري

ودأبوا على وصف النظرات بالسحر لتأثيرها على نفوسهم، يصف ابن المعتز سحرها بسحر هاروت يقول:(٥)

---

(١) العقاد – ابن الرومي ، ص٢٨١ .
(٢) النويري - نهاية الأرب، ج٥ ، ص١٢١.
(٣) الشابشتي - الديارات، ص٩٤.
(٤) الصولي - أخبار الراضي، ص١٧٣.
(٥) ابن المعتز - الديوان، ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــي عيْـنِـــهِ مَرضَـــةٌ إذا نظـــــرتْ قـــد كَحَلَتْـــهُ بِسِـــحْرِ هَـــــاروت

وآلمهم كثيراً ما قد يصيب عيونها من آلام سببتها عيون الحساد ، فـــلا توجـــد علـــة لمرض هذه العيون سوى جمالها ، كما يرى أبو عثمان الناجم :(١)

قـــالوا اشـــــتكت نرجســـتا وجهـــه قلـــت لـــهم أحســـن مـــا كانـــا
حُمْـــــرةُ وردِ الخَـــــدِّ أعْدَتْـــــهما والصَّبْـــغُ قـــد ينفـــذ أحيانـــا

وتحدثوا كثيراً عن شبابها وصباها ، وهي أجمل فترات حياتها ، إذا امتلكت كل مقومات الأنوثـــة والجمال والإغراء ؛ لذلك كان من النادر جداً أن يذكروها ثيباً سرقت منها السنون أجمل زهـوات جمالها ، لذلك أكثر الشعراء من استخدام كلمة الرود والصبا والشباب في شعرهم . نجد هذا فـــي حديث البحتري عن علوة التي منحها شبابها خجلاً وحياء يقول :(٢)

بيضـــاءُ رُوْدُ الشـــباب قـــد غُمِســـتْ فـــي خجـــل ذائـــبٍ يعصفرهـــا

وهذه من أحب ابن الرومي :(٣)

أحببتُ روداً مـــن بنـــات الصِّبـــا أي بنـــات القلـــب لـــم تَخْلَـــسِ

واحترموا كثيراً أخلاقها العفيفة التي ظلّت المثل الأعلى عندهم، فحديثـهم عـن الحيـاء والعفة والطهر والوقار والتواضع ورجاحة العقل وسلامة المنطق والقناعة وعزة النفس والـترفع عن حب المال حديث الإجلال والاحترام، يقول ابن الرومي:(٤)

غرَائِـرُ مـا لـــم يَدَّريـــنَ لريبـــةٍ نوَائِـرُ مـن هَجْـرِ الحَديـثِ شَـوَامِسُ
عليـهنَّ مـــن إحســـانهنَّ مَلاَبِـــسٌ طواهِـرُ لـم تُعْلَـقْ بـهنَّ المَدَانِـــسُ
بأمْثَالِـهنَّ انقـادَ ذو الحِلْـــمِ للـــهَوَى جَنِينَـاً وأبْكَتْـهُ الرُّسُـــومُ الـــدَّوارسُ

وجمعت هذه المرأة الجمال بنوعيه فأسرت الشعراء يقول ابن الرومي:(٥)

غَرائِـرُ كـالغُزْلانِ حُـــوْرٌ عيونِـــها رَخيمـــاتُ دَلٍّ ناعِمَـــاتٌ خوانـــثُ

---

(١) الحموي – معجم الأدباء ، ج٣ ، ص١٣٤٩.
(٢) البحتري – الديوان ، ج٢، ص١٠٧٤.
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج٣ ، ص١٢٣٦.
(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص١٢٢١.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٣ . رخيمات: الصوت لان وسهل. ابن منظور - اللسان، مادة رخم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما أراد الشعراء التعامل معها كانت حييّة فزاد احترامهم وإعجابهم يقول ابن المعتز:(١)

ويَظَلُّ صَبَّاغُ الحَيَاءِ بخَدِّه تَعِباً يُعَصفِرُ تارةً ويُوَرِّدُ

فقد ظلت صفة الخجل والحياء من أشد الصفات لصوقاً بهذه المرأة ؛ فمنحها جمالاً مميزاً حار أمامه الشعراء ، كما في حيرة الخليفة الراضي يقول :(٢)

يَصفَرُّ وجهي إذا تأملته طرفي ويحمرُّ وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نُقِلا

كما كانت المرأة مثالاً للعفة والقناعة والترفع عن المطامع يقول البحتري:(٣)

ومَرِيضةِ اللَّحَظَاتِ يُمْرِضُ قَلْبَها ذِكرُ المَطَامِعِ عِفَّةً وقُنُوعا

وانعكس احترامهم لأخلاقها في سلوكهم وتعاملهم معها إذ غدا على جانب كبير من العفة والسمو يقول ابن دريد:(٤)

ولقد نظرتُ فَردَّ طَرْفي خاسِئاً حَذَرُ العِدى وبهاءُ ذاكَ المَنْظَرِ
يَأسي يُحَسِّن لي التَّسَتُّرَ فاعلمي لو كنتُ أَطْمَعُ فيكِ لم أَتَسَتَّرِ

وهذه العفة التي سرت في أوصال العلاقة مع هذه المرأة "لم تكن نسخاً مباشراً لشعور ديني ، أو تعبيراً عن الورع ؛ وإنما تعبير عن احترام بالغ للجمال الروحي" :(٥)، الذي تجسد في أخلاق هذه المرأة ، وهو أمر يكاد يختفي في مجتمع غدا المجون والابتذال في علاقة الشاعر بالمرأة ابرز عناوينه ؛ لذلك أصبح الشاعر يخشى عليها الملامة وكلام الناس ، ووسوسات الوشاة ؛ فلجأ إلى التكنية باسم آخر عن اسمها ، كما فعل البحتري :(٦)

و سمّيتُها من خشية الناس زينبا وكم سترتْ حباً على الناس زينب

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٢٢٩.
(٢) ابن كثير – البداية ، ج١١ ، ص٢٠٩. انظر ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٣ ، ص٣٣٨.
(٣) البحتري - الديوان، ج٢، ص١٢٥٤.
(٤) ابن دريد - الديوان، ص٣٨.
(٥) طاهر لبيب – سوسيولوجية الغزل ، ص٨٧.
(٦) البحتري – الديوان ، ج١ ، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأضحى الحب لها سبيلاً إلى التضحية خوفاً عليها ؛ لذلك صد الشاعر ابن المعتز عن محبوبته يقول :[١]

صددتُ وإن صددت برغم أنفي ... فكم في الصدِّ من نظرٍ إليكا
أراك بعين قلبٍ لا تراها ... عيونُ الناس من حذر عليكا

ووقف الشعراء عند ضعفها الذي منحها قوة وقسوة في تعاملها مع الشاعر ، بل كان " سر أنوثتها" :[٢] خاصة ابن الرومي الذي استوقفه كثيراً مركب الضعف والقوة فيها ؛ وذلك لشدة تعلقه بالمرأة وحاجته إليها مستغلاً هذا الجانب ، وإن دل سلوكه على عجم قدرته على فهم هذا الجانب فيها يقول :[٣]

ضعفن وكان الضعف فيهن قوةً ... فهن على الألباب مقتدرات

لذا جعل هذا الجانب يبدو في دارة البطيخ أشد ما يمنى الرجال به من الشدائد يقول :[٤]

ومن عجائب ما يُمتَنى الرجالُ به ... مستضعفاتٌ لنا منهنَّ أقرانُ

وفي استخدامه للفظة القرين شيء من الحضارة والتهذيب لأن القرين بمعنى المماثل في العمر والقدر والمكانة .

وعانى الشعراء كثيراً في علاقتهم مع هذه المرأة التي لم يجدوا منها إلا الصد والبعد، فوصفوها بالتلون في الود يقول سعيد بن حميد :[٥]:

ما كنتُ أيام كنتِ راضيةً ... عني بذاك الرِّضا بمغتبط
علما بأن الرضا سيتبعُهُ ... فيك التَّجنِّي و كثرةُ السخط

واتهموها بالبخل وأكثروا من ذلك في شكواهم. يقول البحتري:[٦]

أرَى الأهواءَ تُنفِذُهَا اللَّيالي ... وما لهوى البَخيلَةِ من نفاذ

---

(١) ابن المعتز – الديوان ، ص٥٣٦.
(٢) العقاد – ابن الرومي ، ص٢٨٥.
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج١ ، ص٣٨٧.
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٤٢٠.
(٥) سعيد بن حميد – رسائله و أشعاره ،ص ١٥٧.
(٦) البحتري - الديوان، ج١، ص٦١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل وقع كلمة بخيلة على أسماعهم أعطى أبعاداً نفسيّة بامكانية أن تجود إذا ما أثارها النعت فاصروا على استخدامه، يقول الخليفة الراضي:(١)

الجُـــــودُ منـــــك مُبَـــــاعِدٌ والبُخْـــــلُ دَانٍ ليـــــس بِبَعيـــــدِ

كما أكثروا من اتهام المرأة البخيلة بالمماطلة يقول ابن المعتز:(٢)

عللينـــــــــي بموعـــــــــدٍ وامطلـــــي مـــــا حييـــــتُ بـــــه

كما اتهموها بعدم الوفاء والتلّون والغدر، وجعلوا من الصفة الأخـــيرة خاصيـــة مـــن خصائص المرأة لا تفارقها يقول ابن الرومي:(٣)

يَغْـدُرْنَ والغَـدْرُ مَقْبُـوحٌ يُزَيِّـنُـــــه للغاويـــــاتِ وللغـــــاوين شـــــيْطَانُ
يُصْـبِحْنَ والغدرُ بالخلصانِ فـــي قَـرَن حتى كأنَّه ليـس غـير الغـدر خلصـانُ

وترك هذا الأمر في أنفسهم أثراً بالغاً ، فكالت ألسنتهم لها صفات الغـــدر والخيانـــة والكـــذب ، وغيرها من الصفات المذمومة ؛ ذلك لأنها لا تصل ولا تعد ولا تقبل ، نجد صدى هذا في قـــول ابن المعتز :(٤)

وحلـــوُ الـــدلالِ مليـــحُ الغضـــب يشـــوب مواعيـــدَه الكـــذبْ
قصـــيرُ الوفـــاء لأحبابـــه فَـــهُمْ مـــن تَلُّونـــه فـــي تعـــبْ

فنصح بعضهم بالصبر والتعزي واحتساب الأجر عند الله، يقول عبيد الله بن عبد الله بـــن طاهر:(٥)

ألا أيُّـها القـومُ المُحِبُّـــونَ ويحكُـــمْ تَعزَّوا عن الأحْبَـابِ واحتَسِـبوا الأجْـرا
فمـا واحـدٌ منـهم بـــواف لواحـــدٍ وصاحبتي تجـــزي وفـائي لـها غَـدْرا
فلو كنتُ من صَخْرٍ لمـــا كنـــتُ صـــابراً وما أنا من صَخْرٍ ومـــا أتْـــرك الصَّـــبرا

ولعل الحديث عن غدر المرأة وتلونها على إطلاقه ، أمر ليس من الإنصاف في شـــيء إذ لا بد أن نفرق بين ما قيل منه في الجارية ، وما قيل منه في الحرة ؛ لأن الأولى لا يعنيـــها إلا

---

(١) الصولي- أخبار الراضي، ص١٦٨.
(٢) ابن المعتز - الديوان، ص٧٠ ، ص٧١.
(٣) ابن الرومي- الديوان، ج٦، ص٢٤٢٠.
(٤) ابن المعتز – الديوان ، ص٧٤.
(٥) الوشاء- الموشى، ص١٦٩.انظر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حياته و ما تبقى من شعره ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، عدد ٢٠ سنة ١٩٨٢ ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما تحصل عليه من مال ، وليس من مصلحتها الوفاء بالتزاماتها من وصل وعطف ، فهذا جزء من تكوينها وطبعها الذي ربيت عليه ، بينما يبدو في الثانية على غير هذه الشاكلة ، إذ يتمنى الشاعر وصلها ويرغب في تحقق مواعيده معها لكنها تخشى إن فعلت ذلك هدراً لكرامتها وسمعتها وسمعة أهلها وخوفاً من مجتمعها ، وعرفاناً بحق تربيتها ، فهو إذن ليس غدراً ، إنما نتيجة طبيعية لما أملته ظروف الحياة على المرأة سواء أكانت جارية أم حرة .

وهذا لا يعني أنَّ الشعراء أنكروا عليها صفة الوفاء والإخلاص وحفظ الودِّ والعهد بل أشادوا بهذه الصفات وحفظوا لها إخلاصها ووفاءها.

يقول إبراهيم بن المدبّر في عَرِيب الشاعرة التي حفظت ودّه ووفت بعهودها معه ومدّت له يد المساعدة والعون في أزماته:[١]

أتَعْلَمُ يا مَيْمونُ ما تَهيْجُهُ ... بِذِكْرِكَ أحْبابي وحفْظَهم العَهْدا
ووَصْفِ عَرِيبَ في كَرِيمِ وفَائِها ... وإجْمَالِها ذِكْرِي وإخْلاَصِها الوِدّا

واسترعى اهتمام الشعراء جمال المرأة المحجوب عن العيون خاصة المترفة التي حُجبت في القصور وأحاط بها الخدم والحاشية. والتي أهملت كل من حاول كسب ودّها ومخاطبة عطفها يقول[٢] ماني الموسوس:

مُتْرَفٌ عَقَد النَّعِيمُ لِسَانَه ... فَكَلامُهُ بالوَحْيِ والإيماءِ
لو صافحَ الماءَ القُراحَ بِكفِّه ... لجَرَتْ أَنَامِلُهُ كجري الماءِ
يرنو إلى نَعَمٍ بفيهِ مُسْعفٍ ... ولِسَانُهُ وَقْفٌ على لا لاء

ويظهر مدى الجمال والنعيم الذي ترفل به هذه المترفة التي أبدت عدم اكتراث بمعجبيها. وذلك من خلال صورة أناملها الناعمة التي لو لامست الماء النقي لذابت فيه .

وحاول الشعراء أن يستوفوا صور هذه المترفة ؛ فكان الكبرياء من أبرز خصائصها ، فعانى الشعراء كثيراً في سبيله ، يقول الخبز أرزي :[٣]

أظهر الكبرياءَ من فرطِ زَهوٍ ... فتَلَقَّيتُه بِذُل الخضوع

---

(١) الأصفهاني - الأغاني، ج٢٢، ص٣٩٢.
(٢) المرزباني - معجم الشعراء ،ص٣٨٧.انظر شعر ماني الموسوس ، ص ٤٣
(٣) النويري – نهاية الأرب ، ج٢ ، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كانت هذه المرأة مترفة يحيط بها خدمها وحاشيتها ، فإنه لم يكن بها حاجة للنهوض والاستيقاظ بكراً ، لذلك وصفها الشعراء أنها مترفة ، ناعمة كسول ، نؤوم الضحى ، وهذا ما كانت عليه حمدونة زوجة محمد بن صالح العلوي :[١]

ساجيةُ الطَّرف نؤومُ الضحى منيرةُ الوجه كبرق الغمام

ومن الطبيعي أن تحرص على أوقات راحتها لتنال بذلك قسطاً وافراً من الصحة وبالتالي تحافظ على جمالها الذي ظل مصدر إعجاب دائم ، يصف الخليفة الراضي إحداهن ، وقد أيقظها من قيلولتها قبيل الغروب يقول :[٢]

ومُحَجَّبٌ نبّهتُه والشمس تَقْرُبُ للأفولْ
فأفاق معقول اللسا نِ وما تمتَّع بالمقيلْ
يرنو بمقلة جُؤذرٍ لم يَخْلُ يوماً من قَتيل

وبوجود المرأة المترفة اختفى الحديث عن حَسَب المرأة ونسبها. فلم تعد هذه الناحية محطَّ اهتمام الشعراء لانَّ الكثير من مترفات العصر جوارٍ.

و ظلت المرأة البدوية جزءا من واقع الشاعر عند بعضهم ، بالرغم من كثرة الجواري في حواضر الدولة ، و جاءت صورتها تقليدية ، تجتمع فيها جملة من الفضائل و الصفات التي تعد المثل الأعلى للمرأة ، و نجد مثل هذا عند البحتري و المتنبي الذي أحب من المرأة الصفات التي أحبها العرب منذ العصر الجاهلي لذلك بثها شعرا رقيقا في مطالع قصائده .[٣]

يقول في صباه [٤] :

عدويةٌ بدويةٌ دونها سَلب النفوس و نار حرب توقد

وقد تحدّث الشعراء كثيراً عن حبِّهم لهذه المرأة الذي اختلف عن حبهم لها في الصورة الحسيّة لأنَّ التوجّه لها كان مختلفاً ولأنَّ مفهوم الحبّ معها قد تغيّر أيضاً.

كانت العلاقة معها في صورتها الحسية على مادية قائمة على التصيد والجري وراء المتع الحسية

---

(١) الأصفهاني – مقاتل الطالبيين ، ص٦٠٥.
(٢) الصولي – أخبار الراضي ، ص١٧٩.
(٣) حسن الشماع – صورة المرأة في غزل المتنبي و علاقته بها ،المورد ، عدد٣ ، مج ٩ ، ١٩٨٠ ،ص٨١ .
(٤) المتنبي – الديوان ، ج٢ ،ص ٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال تبادل المصالح والمنافع ، ولعل هذه النظرة جاءت من واقع الحياة الاجتماعية التي عاشها الشعراء مع الجواري ؛ فصوروا الحب تبعاً لذلك "بالرغبة في وقوع الصيد في الشوك أو حسرتهم من إفلاته منه، وكل ما يظهر فيه من عاطفة مشبوبة أو لوعة محرقة كان من قبيل الزيف" :[١] لذا يشكو ابن الرومي هذا الحب بقوله :[٢]

لم تدعني حبائلُ الشادنِ الأكـ ..... ـحلِ حتى نَشَبْتُ فيها نشوقا
علقتني حبالةٌ منه ما أنفكـ ..... ـك فيها بِنَبْلِهِ مَرشوقا

وعاش ابن المعتز هذا اللون من العلاقات فخاطب صاحبته قائلاً:[٣]

أيا صائدَةَ القلبِ أيا غضبى بلا ذَنْبِ
أمِنْ عَدْلِكِ أن نلقى ذوي الإعتَابِ والحُبِّ

وتَرَفّع آخرون به عن هذا المستوى من العلاقات فكان خلقاً رفيعاً لا يعرفه اللئام كما يقول علي بن الجهم:[٤]

خليليَّ الهوى خُلُقٌ كريمٌ تُقَصِّرُ عنه أخلاقُ اللِّئامِ
وفاءٌ إنْ نَأَتْ بالجار دارٌ ورَعْيٌ للمَوَدَّة والذِّمامِ

لا يعرف فيه المحب الخداع ولا تزويق الكلام وتأليف الحجج يقول الفتح بن خاقان:[٥]

ليسَ يُسْتَمْلَحُ في وصفِ الهوى عاشِقٌ يُحْسِنُ تأليفَ الحجج

حب يتملك الإنسان فيظّل في أسر عبوديته يقول الخليفة المكتفي:[٦]

ما زال عَبْداً لي وحُبِّي له صَيَّرني عَبْداً له حقّا
أُعْتِقُ من رقي ولكنني من حُبِّه لا أملك العَتْقا

شيءٌ يتعالى عن المحسوس المجسّد في العلاقة مع المرأة كما يقول ابن داود الأصفهاني إنّه "السبب الباعث لي على طاعتك المذلّل لي عند سطوتك، والباسط لك العذر فيما

---

(١) عامر نايف الهيتي – بغداد في شعر العصر العباسي الأول ، ص٩٣. انظر راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي ، ص٨٧-٩٠.
(٢) ابن الرومي – الديوان ، ج٤، ص١٦٦٩.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص١١٨.
(٤) علي بن الجهم- الديوان، ص٢٠٥.
(٥) المرزباني - معجم الشعراء، ١٩١.
(٦) ابن كثير - البداية، ج١١، ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجنيه والمعذّل لك فيما تدّعيه، سبب يلطف من أن يُعاين بالأبصار ويَرِقّ عن أن يُدرك بالفحص والاعتبار[١]".

حب خالد يسعى نحو الروح يقول[٢] محمد بن أحمد بن أبي مُرّة:[٣]

جسمي معي غيرَ أنّ الرُّوحَ عندكُمُ ... فالجسْمُ في غُربةٍ والرُّوحُ في وطن
فَلْيَعجبِ النّاسُ من أنّ لي بَدناً ... لا روح فيه ولي روح بلا بَدنِ

وتغنّى الشعراء بحبهم لهذه المرأة واستعذبوا في سبيلها كل آلام الحب ومشاقه يقول ابن داود الأصفهاني:[٤]

لقد جمَعْتُ أهواي بعد شتاتها ... صِفَاتُك فانْقَادَ الهَوى لكِ أجْمَعْ

ورغم المعاناة لم يستطع الشاعر منع قلبه حُبّها يقول البحتري:[٥]

وقد نَهيْتُ فُؤَادي لو يُطَاوِعُني ... عن ذي دلالٍ غَرِيبِ الحُسْنِ مُفْرده

ولأنّ حبها على قلبه كان أشدّ تأثيراً من الخمرة، فكثيراً ما مزج الشعراء بين صورة المرأة وحبها وبين الخمرة لا سيّما في علاقتهم مع الساقيات الفاتنات حيث يجتمع تأثير الجمال والخمر يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:[٦]

سَقَتْني في لَيْلٍ شبيهٍ بشعرها ... شبيهةَ خَدَيّها بغيرِ رَقيب
فما زِلتُ في ليلين من شَعْرٍ ومن دُجَى ... وشَمْسَين من رَاحٍ ووجْهِ حبيب

وخمرة عيونها وريقها كانت أشدّ على نفسه من الخمرة الحقيقية يقول ابن الرومي:[٧]

مَزَجتُ خَمْرَةَ عينيها بريقتها ... كيما تكفكف عني من حُمَيّاها
فاشتدّ إسكارها إياي إذ مُزِجتْ ... ومَزْجُكِ الكأس ينفي عنكِ طغياها

---

(١) ابن داود الأصفهاني- الزهرة (نيكل) ، ج١ ص١.
(٢) المرزباني - معجم الشعراء ، ص٣٨٦.
(٣) محمد بن أحمد بن أبي مُرّة من الشعراء الذي عُرفوا بالغزل يُلقب بالشمروخ. اتصل بالمتوكل. انظر المرزباني- معجم الشعراء ، ص٣٨٧.
(٤) ابن داود الأصفهاني - أوراق من ديوانه ،ص٥٥.
(٥) البحتري - الديوان، ج١، ص٤٩٩.
(٦) الثعالبي - خاص الخاص، ص١٨٢.
(٧) ابن الرومي – الديوان ، ج ١ ،ص ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل الشاعر لم يدرك سر هذا التأثير المسكر عليه كما يقول ابن المعتز :[١]

وسكرتُ لا أدري أمِنْ خَمْرِ الهوى أم كأســـــه أم فيـــــه أم عينيـــــه

وقد حاولت المرأة الاحتفاظ بحبها والإبقاء على جذوته مشتعلة في قلوب عُشّاقها؛ فتمنّعتْ وعاتبت وصدّت وهجرت وتدلّلت يقول عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع:[٢]

واســـــــــتيقنت أنَّ القـــــــــوا دَ يُحِـــــــــبُّها فـــــــــأدلّتِ

وقد دفع هذا السلوك الشاعر إلى عرض حبّه باستمرار والتذلل أمامها واستعطافها فـــهذا خالد الكاتب يشكو حبّه ويستعطف محبوبته أن ترفق به ولا تعاتبه ولا تصد عنه يقول:[٣]

كبَـــدٌ شَـــفَّها عليـــلُ التّصـــــابي بيـــن عَتْـــبٍ وجفْـــوَةٍ وعَـــذاب
كُـــلَّ يـــومٍ تُذمـــي بجَـــرحٍ مـــن الشَّـــو ق ونَـــوْعٍ مُجَـــدَّدٍ مـــن عتـــاب
إنْ أكُـــنْ مُذْنِبـــاً فكُـــن حَسَـــنَ العَفْـــــ ـــوِ أو اجعـــلْ ســـوى الصُّـــدود عِقَـــابي

واستعذب الشعراء هذه الأدوار من القسوة والتّمنع والصدّ؛ لأن التقاليد جعلت المثـــل الأعلى للمرأة الحرة أن تكون ممنعة لا يصل إليها العاشق [٤]. فكثرت الشكوى يقول علـــي بـــن إبراهيم الخزاعي:[٥]

لَـــجَّ الفُـــؤَادُ فليـــس يَدْفَعُـــهُ عَـــذْلٌ ولا النَّكبَـــاتُ تَرْدَعُـــهْ
بمُمَنَّـــعٍ تمَّـــتْ مَحَاسِـــنُهُ يُخْفـــي بـــها بَـــذْراً وتُطْلِعُـــهْ

ويجهد الشاعر نفسه في الحب ويقضي ليله ساهراً وهي لا تكترث بل تنام ليلها مرتاحة كما في حالة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مع محبوبته يقول:[٦]

يـــا أيُّـــها القمـــرُ المنـــيرُ الزَّاهـــرُ المُشْـــرِقُ الحَسَـــنُ البَـــهيُّ البـــاهِرُ
ابلـــغ شَـــبِيهَتَك السَّـــلامَ وهنِّـــها بـــالنَّومِ واعلمـــها بـــأني ســـاهِرُ

---

(١) الصولي – أشعار أولاد الخلفاء ، ص ٢٤٣
(٢) الشابشتي - الديارات. ص١٣١.
(٣) الحموي - معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٤٥.
(٤) نعمات أحمد فؤاد – المرأة في شعر البحتري ، ص٩٣.
(٥) المرزباني - معجم الشعراء ، ص١٤٨. علي بن إبراهيم الخزاعي من الشعراء المجيدين ت ٢٨٥هـ انظر المرزباني- معجم الشعراء ، ص١٤٨.
(٦) الشابشتي - الديارات ،ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك شكا الشعراء طول الليل وصعوبة انقضائه وتأثيره على قلوبهم وتهيجها بالذكرى واشعالها بالهموم. يقول ابن المعتز:(١)

أقول وقد طال لَيْلُ الهُموم ... وقاسَيتُ حُزنَ فُؤَادٍ سَقيم
عَسَى الشَّمسُ قد مُسِخَتْ كوكباً ... وقد طَلَعَتْ في عِدَادِ النُّجوم

ويشكو محمد بن عبد الله بن طاهر طول ليله بعد فراقه لجاريته الحبيبة في بغداد عندما عمل حاجباً للمتوكل في سامراء يقول:(٢)

أقول لما هَاجَ قلبي الذِّكرى ... واعْتَرضَتْ وسطَ السمَّاء الشِّعْرَى
كأنَّها ياقوتةٌ في مِدْرَى ... ما أطولَ الليلَ بسر من رأى!

و مع هذا فان الشكوى لا تجد صدى عند المرأة ، يقول البحتري: (٣)

و عالمةٍ و قد جهلتْ دوائي ... بلا جَهْلٍ و قد علمتْ بدائي

بل تصد و تهجر و قد ترتحل و تبتعد عنه و تتركه لعذاباته ، ودفعهم الصدّود إلى التمسك بالمرأة يقول البحتري:(٤)

تصَدَّتْ لنا دَعْدٌ على عَمْدِ ... وأَقْبلْ بها عند التَّصدّي وفي الصَّدّ
شَكَوْتُ إليها الوَجْدَ يومَ تعَرَّضَتْ ... فَأَبْتَ وقد حُمِّلْتُ وَجْداً على وجْدِ
ما زادني إلا اشتياقاً صُدُودُها ... وإلاَّ وَفَاءً واصْطِباراً على العَهْد

وبدا بعضهم سعيداً بهذه الصدود رغم قساوته حتى لا يشرك غيره فيها إذا ما وصفها متغزلاً مُحِبّاً، يقول علي بن محمد العلوي إنَّه سعيدٌ بهذا الصدّ حتى لا يصف جمال المحبوبة و هو يتغنى بها كي لا يُغري غيره بالمشاركة له في هواها. يقول:(٥)

ربَّما سرّني صُدُودُك عنِّي ... وتنائيكِ وامتناعُك مني
ذاك ألاّ أكون مفتاحَ غيري ... وإذا ما خَلَوتُ كنتِ التَّمني

واعتبره بعضهم من علامات الحب يقول ابن الرومي:(٦)

---

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٦٢٥.
(٢) الشابشتي - الديارات، ص١٣٢.
(٣) البحتري - الديوان، ج١، ص ٤٥
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٣٣.
(٥) ابن داود الأصفهاني - الزهرة، ج١، ص١٢٦.
(٦) ابن الرومي - الديوان، ج٦، ص٢٥١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــا ســـــاءني إعْرَاضُـــــهُ عنـــــي ولكـــــنْ سَـــــرّني
مـــا قـــــال أنْ قـــــد عقّنـــــي بـــــالصَدّ إلا بَرّنـــــي

وإن بدا جانب الصدود والرحيل عند بعضهم نابعاً من استجابة لشعور ديني عند المـرأة إذا مـا خرجت لأداء مناسك الحج والعمرة ، كما فعلت شيرَة محبوبة ابن المعتز :[١]

يـا وجـهَ شِيرّةَ يـا أخـــا البـــدر أرَضيْـــتَ بـــالإعراضِ والـــهجر
وتركتنـــي وحججـــت معتمـــراً طوبـــى لركـــن البيـــت والحجـــر

فانعكس ذلك وفاءً وتمسكاً بالمرأة وحبّها وحِرْصاً على بقائها وحيدةً في قلوبهم لأنّـــه لا بديل لها يقول ابن داود الأصفهاني:[٢]

فـــوالله العَظِيـــمِ لـــو أنَّ قلبـــي أحَـــبَّ سِـــوَاكِ لـــم أُسْـــكِنْهُ صَـــدْري
وأعْظَـــمُ مـــا ألاقـــي منـــكِ أنـــيٌ أُدُومُ علـــى الوَفـــاءِ ولَسْـــتِ تَـــدْري

وجاء هذا الوفـــاء اســـتحقاقاً لـــها لأنـــها مفـــردة و لـــن يحـــب غيرهـــا ، يقـــول ابن داود:[٣]

قَصَرْتُ عليـــك النَّفْـــسَ حتـــى تَوَهَّمـــتْ بل اســـتَيقَنَتْ أنْ ليـــس غـــيرُك مطلبـــا
فَرَامـــتْ بَدِيْـــلاً منـــك لمـــا جَفَوتِـــــها فَحَـــارَتْ كـــأنْ لـــم يَخْلُـــقِ الله مُنْجِبـــا

ولما كانت التجربة مع هذه المرأة متميزة عنيفة كثرت الشكوى وبرزت ظاهرة البكـــاء التي استقت أسبابها من واقع الصَدّ والهجر والرَحيل والسَّهر والشوق، فغدا هذا الواقع همّ الشاعر ويأسه يقول البحتري:[٤]

جَـــدِّدْ بكـــاءً لِـــبَيْـــنٍ جديـــدِ ونَبِّـــه أقـــاصِي الدُمـــوعِ الـــهُجُود
شَـــكَوْنا الصُّـــدودَ فجـــاءَ الفُـــرا قَ فأنْسَـــى الجَوَانـــحَ وَقْـــعَ الصُّـــدُود

وأحسَّ الشاعر أنَّ المرأة بعد رحيلها لم يعد يربطها بالواقع إلا خيـــط رفيـــع لا يكـــاد يلمسه طوال حياته :[٥] ، فكان البكاء تعزيته عن ذلك يقول ابن دريد:[٦]

---

(١) ابن المعتز – الديوان ، ص٢٩٧.
(٢) ابن داود الأصفهاني - أوراق من ديوانه ،ص٥٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧.
(٤) البحتري - الديوان، ج٢، ص٧٦٥.انظر شعر ماني الموسوس ، ص٨٠
(٥) ج.ك. فادية – الغزل عند العرب ، ص٣٣٣.
(٦) ابن دريد - الديوان، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبْـقَـيْـتِ لي سَـقْمَاً يُمـازِجُ عَـبْرَتي ... مـن ذا يَلـذُّ مـع السُّـقامِ لقـاء
أبْكيتنـي حتـى ظَنَنْـتُ بـأنّني ... سـيصير عُمْـري مـا حييـتُ بكـاء

ولا شك أنَّ هذا الاحساس قد أعطى علاقته بالمرأة تميّزاً واضحاً، مثل هـذه الحقيقـة كانت سبباً في البكاء يقول ابن المعتز:(١)

هَـوَايَ هَـوَىً بـاطِنٌ ظـاهرٌ ... قَديـمٌ حَديـثٌ لَطيـفٌ جَليـلُ
أبَيْـتُ أُسَـاهِرُ بَـدْرَ الدُّجـى ... إلى الصُّـبحِ وحـدي ودمعـي يسـيلُ

وكان هذا البكاء من أجل الحياة التي تمثلها المرأة عند بعضهم ، و جزءا من وفائهم لها .

و جعل الشيب تجربة البكاء مريرةً لأنَّ الشاعر لا يبكي الصَّدَّ والهجر فحسب بل يبكي الحياة التي صدت وهجرت وأقلعت باقلاع ماء الشباب ولونه، فابن الرومي يبكي كاهنـة معبـدة التي تتم على يديها مراسيم عبادته للحياة (٢) و إن كانت علاقة ابن الرومي بالمرأة لم تصل هـذا الحد من الشعور بالتقديس و الخضوع و الرهبة (٣)؛ لأنه ظل طوال حياته راغبا بها متعة ولـذة لذلك بدا بكاؤه مريراً يقول ابن الرومي:(٤)

قـد كُنْـتُ أبْكـي مـن صَريمـةِ خُلَّـةٍ ... كـان الشَّـبابُ مُعَوِّضـي أمثالَـها
فالآن حُـقَّ لـي البكـاءُ علـى الـذي ... كـان المُضَمِّـن عَطْفَـها ووِصالَـها

وتبعاً لهذه التجربة العنيفة مع الشيب تغيرت كل الأدوار التي استلذها في تعامله مع المرأة ، لـذا نجده يندب قربه منها ، وقد بلغ غاية الحزن يقول :(٥)

أصبحـتُ شـيخاً لـه سَـمْتٌ وأبّهَـةٌ ... يدعوننـي البيـضُ عَمَّـاً تـارةً وأبـا

فهذه الألقاب كانت مؤلمة عند سماعها ؛ لذا دفعت لسانه بكل هذه المرارة ، ولم يكن ابن الرومـي وحده من مر بهذه التجربة القاسية ، بل معظم الشعراء لذا كثر البكاء في دواوينـهم عـبر هـذا الجانب ، فهذا أبو الشبل البرجمي يشكو انقلاب أحواله بعد الشيب يقول :(٦)

رأت الغوانـي الشـيبَ لاح بمفرقـي ... فـأعرضتْ عنـي بـالخدود النواظـر
وكـنَّ إذا أبْصرننـي أو سـمعنني ... سـعين فرقَّعـن الكـوى بالمحـاجر

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٥٦٢.
(٢) العقاد- ابن الرومي، ص٢٥٨.
(٣)محمد النويهي – ثقافة الناقد الأدبي ، ص ٢٢١
(٤) ابن الرومي - الديوان، ج٥ ص١٩٦٥.
(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣١٦.انظر الشريف المرتضى –الشهاب في الشيب و الشباب ، ص ١٦٠-١٦١
(٦) الأصفهاني – الأغاني ، ج١٤ ، ص٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي معجم العلاقة مع المرأة فالشيب ماله إلا البيع بدون أي مقابل ، لذا كانت معاناة ابن المعتز على الرغم من صغر سنه مؤلمة لأن الشيب داهمه مبكراً ، يقول ابن المعتز:[١]

قد دامَ من شِرَّةَ عنه الصُّدودُ ... فَوَصْلُها منه بعيدٌ بعيد
باعتْهُ لمَّا أنْ رأتِ شَيْبَه ... في سُوقِ مَنْ يُنْقَصُ لا مَنْ يزيد

وحاول الشعراء استرجاعها كمن يحاول استرجاع الدنيا؛ فاستخدموا الخضاب والصبّاغ لكنهم فشلوا في استرجاع عطف المرأة وحبها :[٢] فكان خضابهم حداداً على أنفسهم التي ضاعت بضياع المرأة منهم يقول ابن الرومي:[٣]

ليس يُجْدي الخِضَابُ شيئاً من النَّفـ ... ـعِ سِوى أنَّه حِدَادٌ كَئيب
فاتْخِذْه على الشَّبَابِ حِدَاداً ... وابكِ فيه بعَبْرَةٍ ونحيب

وسوغ ابن المعتز خضابه يقول:[٤]

غَيَّرتُه بالسَّوَادِ لمَّا ... غَيَّرَ مِن فَقْدِهِ حِدادا
ولم أنَلْ ما أردْتُ منه ... لكِنَّه نَالَ ما أرادا
لم أخْضِبِ الشَّيْبَ لِلغَوانِي ... أرجُوبه عِنْدَهَا وِدادا
لَكِنْ خِضَاباً جَلاَ شَبَابي ... لَبِسْتُ مِن فَقْدِهِ حِدَادا

ويلاحظ أنَّ الشيب دفع المرأة لمشاركة الشاعر تجربة البكاء لأنها تبكي نفسها التي أنكرت حالة الشيب ، وقد جعل الشعراء بكاءها وسيلة اجتماعية لرفض هذا الزائر غير المرغوب به :[٥] يقول ابن المعتز:[٦]

أنْكَرَتْ هِنْدُ مشيبي وَوَلَّتْ ... بِدُمُوعٍ في الرِّداءِ سَجُوم

وجعله بعضهم وسيلة لتعويضهم ما فقدوه من وصلها و ذلك عندما شاركته تجربة البكاء يقول علي بن الجهم:[٧]

---

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٢٥٣.
(٢) أروى الشوشي – شعر الشيب والشباب ، ص٢٧، ص٤٤.
(٣) ابن الرومي - الديوان، ج١، ص١٣٩.
(٤) ابن المعتز - الديوان، ص٢٥٢.انظر الشريف المرتضى -الشهاب
(٥) أروى الشوشي – شعر الشيب والشباب ، ص٣٥.
(٦) ابن المعتز – الديوان ، ص٦٤٢.
(٧) علي بن الجهم - الديوان ، ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسَـــرَتْ علـــيَّ القِنَـــاعَ ظَلُـــومُ وتَولَّـــتْ ودَمْعُـــها مَسْـــجُوم
أنْكَـرَتْ مـا رأتْ بِرَأسِـــي فقـــالت أمَشِـــيْبٌ أم لؤلـــؤٌ منظـــوم

وشاركت المرأة الشاعر البكاء ساعة الرحيل فراق الأحباب لما يتركه في نفسها مـن آلام البعد والفراق، وهذه شبيهة بالآلام التي عانى منها الشاعر برحيلها يقول[1] الناشئ:[2]

بكـتْ للفِـرَاقِ وقـد رَاعَنـي بُكَـاءُ الحبيـبِ لِبُعْـدِ الدِّيـار
كـأنَّ الدُّمـوعَ علـى خَدِّهـا بقِيَّـةُ طَـلٍّ علـى جُلَّنَـار

ويشكل هذا البكاء جزءاً من وفائها للشاعر الذي يحفظ لها ذلك ، فيراها بعين المحب وقد زادهـا البكاء جمالاً ، لما ارتسمت حبات الدموع الفضية فوق وجنتين وردتين كزهرة الرمان .

ومثل هذه المعاناة التي عاشتها المرأة في لحظات الوداع قد تدفعها إلى البكاء. لكنـها في بعض الأحيان تكون خائفة لا تستطيع التعبير بحرية عن ألم الفراق خوف الوشـاة؛ فتحبس دموعها وتلوذ بصمتٍ قاسٍ يقول البحتري:[3]

وقِفنـا والعيـونُ مُشَـغَّلاتٌ يَغَـالِبُ دمعَـها طَـرْفٌ كَلِيـلُ
نَهتْـهُ رِقْبَـةَ الواشـين حتـى تعلَّـقَ لا يَغِيْـضُ ولا يسـيلُ

وقد تتغلب المرأة على ضعفها في هذه اللحظات ، حرصاً منها على نفسية الشاعر ، فتخرج عـن هذه الأطوار من بكاء وصمت ، فتكثر أحاديثها معه كما في حالة ابن داود :[4]

ولمـا وقفنـا للـوداع وبيننـا أحـاديثُ يعـي الحاسـبين عديدهـا

وثمة فارق بين بكاء المرأة وبكاء الشاعر؛ لأنَّ الأخير يبكي المرأة والحياة التي رحلت برحيلها بينما المرأة تبكي نفسها وما حلَّ بها برحيل الرجل ..

كما ظهرت من خلال الأمثلة السالفة صورة المرأة في لحظات الوداع و ما قامت بـه من أدوار بسيطة و منها صورة المرأة المرتحلة التي أحزمت أمتعتها و ركبت هودجها ، يصـف ابن الرومي إحداهن و قد رحلت ، يقول :[5]

---

(١) الحموي - معجم الأدباء ج٤، ص١٥٤٨.
(٢) هو عبد الله بن محمد المعروف بابن شرشير، شاعر وكاتب وناقد ترك بغداد وهـاجر إلـى مصـر ت ٢٩٣هـ. انظر : ابن المعتز - طبقات الشعراء ص١٩٨.
(٣) البحتري - الديوان، ج٣، ص١٨٢٢-١٨٢٣.
(٤) ابن داود الأصفهاني – أوراق من ديوانه ، ص٤٣.
(٥)ابن الرومي – الديوان ، ج ٣ ، ص ١١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــــهدي بلحظتـــــها الســـــلا م إلـــــيّ و الأعـــــداءُ خضْـــــرْ
و ركابُـــــــها مزومـــــــةٌ ووراءهـــــا حـــــاد مُشـــــمّر
البـــــدرُ فـــــي أحداجـــــه بـــــالرّقم و الديبـــــاج يَسْـــــتَر

وساد العتاب أشعار الغزل كثيراً، وجاء مقترناً بالشكوى لأن له الأسباب نفسها من صدّ ورحيـل وفراق وهجر يقول ابن المعتز:(١)

نعـــاتبكم يـــا أمَّ عَمـــرو لحبكُـــمْ إلا إنّمـــا المقلـــي مـــن لا يُعـــاتبْ

ويعكس شعر العتاب رغبة الشاعر وتمسكه بالمرأة المتمنعة ، لذلك ظـلّ يستعطفها ويعاتبها مما يثير غيرتها وغضبها وخشيتها أن يتعلق قلبه بغيرها، فصـوّر الشـعراء غضبـها وأسبابه، يصور ابن المعتز مقدار غضبها وتأثيره على نفسه يقول :(٢)

وتغضب من أهوى فمـــا أسْـــمَحَ الدنيـــا ولست مـــن الأمـــوات فيـــها ولا أحيـــا

وإن جاء غضبها أحياناً بلا أسباب كما يقول ابن المعتز :(٣)

عتبـــتْ عليـــكَ مليحـــةُ العتْـــبِ غضبـــي مـــهاجرةً بـــلا ذنْـــب

أو مزاحاً ثقيلاً قد دفعها إلى ذلك ، نجد ذلك في قول الخليفة المتوكل :(٤)

أُمازحُـــها فَتَغضـــبُ ثـــم ترضـــى فكـــل مقالُـــها حســـنٌ جميـــلْ

ومع كل هذا الغضب فقد سعوا إلى استرضائها ومن أمثلة هذا طلب المتوكل من البحتري تصوير غضب قبيحة زوجته المحبوبة يقول:(٥)

تعالَلْتِ عن وصلِ المُعنَّـى بـل الصَّـبِّ وآثرتِ بُعْدَ الـدّارِ منّـا علـى القُـرْب
وحمَّلْتنـــي ذنْـــبَ الفِـــراقِ وإنّـــه لَذَنْبُك إنْ أنْصفتِ فـــي الحكـــم لا ذنبـــي
ووالله ما اختَرتُ السُّـلُوَّ علـى الـهوى ولا حُلْـتُ عَمَّـا تَعْـهَدِين مـن الحُـبّ
ولا ازدادَ إلاَّ جِـــدَّة وتمكُّنـــا مَحَلُّك من نَفْسـي وحَظُّـكِ مـن قلبـي
فلا تجمعـــي هَجْـــراً وعُتْبَـــاً فلـــم أجِـــدْ جليـــداً علـــى هَجْـــرِ الأحِبّـــةِ والعتْـــب

---

(١) الحصري - محاضرات الأدباء، ج٣، ص١١.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٣٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص٤٤.
(٤) الوشاء – الموشى ، ص٨٢.
(٥) البحتري - الديوان، ج١، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبرز من خلال أشعار العتاب مظهر الغيرة ، ولعل ظهورها يعكس مظهراً من مظاهر الحب التي تكسب التجربة الغرامية ألمها وعنفها[١] ، يقول ابن المعتز [٢]

أغـار عليـك مـن قلبـي إذا مـا رآكِ وقـد نـأيتُ ومـا أراكِ

فإذا كانت الغيرة عند ابن المعتز من قلبه ، فإنها عند ابن الرومي من ثياب المرأة وغلائلها يقول[٣]

يـا مـن أغـارُ عليـه مـن غلائلـه ومَـنْ أرقُ عليـه مـن خلاخلـه

ونجح الشعراء في إثارة غيرة المرأة بالانصراف عنها والتظاهر بحب غيرها وبوسائل أخرى يقول ابن الرومي في عتاب إحداهن:[٤]

جفَتني أنْ صَدَدتُ ولي لديها أسيرا ذلّةٍ : بَدَنٌ ونفسْ
وأغضبَها انصرافُ الطَّرْف عنها وفيه علَيّ خُسْرانٌ ووكْسْ
ولكنّي عَشِيتُ لنُورِ شَمْس مُلاَحَظَتي لها سَرَقٌ وخَلْسْ
وكم صَدَّتْ وإنْ لم أجْنِ ذنباً وأعقَبَ صَدُّها قَطْباً وعبْسْ
فلم أعتَبْ لذاك وإنْ أضَاقتْ عليَّ الأرضَ حتى قلتُ حبْسْ
ولم أملْ غداً لك فيه عَدْلٌ وإلاَّ قُلْتُ خَيْرٌ فيه أمْسْ
تُطيعين الوُشاةَ إذا وَشَوا بي وأكثرُ قيلُهم دَحْسٌ وخدْسْ
أميّز كُلَّ شيءٍ من أموري سوى أمْري لديك ففيه لَبْسْ

بدت المرأة في هذه الصورة أنانيةً قاسية ترغب باهتمام الجميع ، وتتلذذ بتعذيب عاشقها ، وتستمتع برؤيته ذليلاً أمام ودها ، عاجزاً إزاء جمالها ، تريده دائماً حريصا على صدق مشاعره ووفائه لحبها واحترامه لجمالها حتى تحوّل عتابه مديحاً لها، ويظهر مدى التطور الذي وصلت إليه أساليب التعامل مع المرأة وهو أمرٌ وفرّته الحضارة بتهذيب وتلطيف الأساليب بحيث غدا التذلّل في الحب من مظاهر صدقه ، والضعف إزاء الجمال من مظاهر قوته .

ويضعنا ابن الرومي أمام إحدى معضلات التجربة الغرامية وهم الوشاة وتأثيرهم السلبي في تعطيل العلاقات الغرامية؛ لذلك لم تخلُ قصيدة من ذكرهم وذكر أساليبهم مع المرأة المحبوبة بحيث غدت مستمعة جيدة لهم تطيعهم في كل ما ينفثون من سموم ..

---

(١) عبد الحميد حميدة- مقدمة لقصيدة الغزل، ص١٥٢.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص ٥٣٧.
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج٥ ، ص ١٩٩١.
(٤) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجح الوشاة بأكاذيبهم وحسدهم في تدمير علاقة الشاعر بمن يحب وهذا لم يكن من العدل والإنصاف في شيء كما يظهر في شكوى ابن المعتز:[١]

لئن طار الوشاةُ إليكِ عني ... بقولٍ طال منك له الصُّدودُ
أما في العَدلِ أنْ يَشْقَى مُحِبٌّ ... ويَسْعَدَ فيه بالكذب الحسُودُ

وقد يتغلب الشاعر ومحبوبته على هؤلاء الوشاة فيقوى حبهم ويصلب عوده ويخرج من دائرة الصمت لتبوح عيونهم بالأسرار وتثرثر بالشكوى والألم، وترافق الدموع لغة هذه العيون كما يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:[٢]

قالت بناظِرِها أقْبِلْ، فقلتُ لها ... بالدَّمعِ لبيك يا سمعي ويا بصري
حتى إذا عَلِمَتْ أنْ قد كَلِفْتُ بها ... أومتْ إليَّ بدَمْعٍ غير مستترِ
يا كاتمي خيْفَةَ الواشي مَحبَّتَه ... إني وعَيْشِكِ أقراه من النَّظَرِ
قولي بِطَرْفِكِ ما تهوين أعْرِفُهُ ... واستنطقي ناظري يُخْبِرْكِ بالخبر

وكان للرقباء وهم من يرافقون المرأة المترفة يرقبون حركاتها وخطواتها ويرصدون علاقاتها التأثير نفسه على الشعراء؛ لذلك لم يروا فيهم إلا القبح ولم يشعروا نحوهم إلا بالكره فكانت صورتهم بشعة كما يراها ابن الرومي:[٣]

ما بالُها قد حُسِّنَتْ ورقِيْبُها ... أبداً قبيحٌ قُبِّحَ الرَّقباءُ
ما ذاك إلا أنَّها شمس الضُّحى ... أبداً تكون رقيبُها الحرباءُ

وجاء استخدام الشاعر لفظة الحرباء للدلالة على بشاعتها وتلّونها وهو أمر رآه في الرقباء الذين هم "آفة الحب و حمته الباطنة و مرضه الدائم" [٤]،و بوجود الرقباء يطغى تأثيرهم على المكان؛ فتضمحل كذلك صورة المرأة والشاعر، ويلوذ الجميع بصمت موحش بعد أن تلاشت همساتهم وأحاديثهم، ولا يدوم الأمر طويلاً حتى تحلُّ لغة العيون والأرواح مكان لغة الكلام؛ فيتحدث الشعراء مع أحبتهم بوجود الرقباء الذين لا يفقهون هذه اللغة يقول ابن طيفور:[٥]

راجَعْتُه بلسانِ طَرْفٍ ناطقٍ ... يُخْفي البيانَ على الرَّقيب الجالس
فتكلَّمَتْ منَّا الضمائر بالذي ... نُخْفي وفاز مُجَالِسٌ بمُجالس

---

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٢٦٠.
(٢) الشابشتي - الديارات، ص١٢٦.
(٣) ابن الرومي - الديوان، ج١ ص٦٣.
٤)ابن حزم – طوق الحمامة ، ص ١٢٢ .
(٥) ابن داود الأصفهاني- الزهرة ، ج١، ص١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد أنَّ الدموعَ التي رافقت وجود الرقباء هي بلا ريب دموع الخائفة من أن يكشف خبر حُبّها بوجود أعدائها من الحسّاد والرقباء كما يقول ابن الرومي[١]:

والدَّمْعُ في آماقها حَذَرَ المرُاقِبِ قد تحيَّر
والشَّوقُ في الأحْشاءِ عَمْ ما قد تُعَالِجُ عنه مُخْبِر

ويظهر تماماً دور المرأة في تعليم الشاعر كيفية إجادة الحب والوصول به إلى النَّقاء، ما دامت تراه في ذاته فضيلة لا يصل إليها الجميع وترتفع عن عالم الابتذال يقول ابن داود:[٢]

لا بَلْ مُسَاواة وُدِّي وُدَّه بهوى كأنَّه نَسَبٌ بل دُونه النَّسبْ
مُستأنسين بما تخفي ضمائرُنا على العفَافِ ورَعْيِ الودِّ نَصْطَحِبْ
في عِفَّةٍ نَتَحامى أنْ يُلِمَّ بها سُوْءُ الظُّنونِ وأنْ تَغْتَالَها الرِّيبْ

وكانت الرُسُل والرسائل والهدايا وسائلهم الأخرى للتعبير عن حُبهم ومشاعرهم. فقد جعل الشعراء الرسائل وسيلتهم في نقل أحاسيسهم ومشاعرهم إلى محبوباتهم فأطالوا النظر فيها كي يلحظوا وجه المحبوبة وأكثروا من المحو في سطورها كي تشهد على حقيقة مشاعرهم يقول ابن المعتز:[٣]

ليتني أُودِعْتُ طيَّ كِتابي عند بِسْمِ الله قبل السُّطُورِ
فأرى شِرّاً إذا فَتَحَتْه وأُناجيها بما في ضميري
إسْألي يا شِرُّ كُتْبي عنِّي لا يُنَبِّيءُ سائلاً كخبير
إنَّ فيها احْتِرَاقاً ومَحْواً من بُكَا عيني وحَرِّ زفيري

وقد ساعدت الرسائل في إطفاء نار الشوق إذا ما تعذَّر اللقاء كتلك الرسالة التي وجدها الخليفة المتوكل في باحة قصره (المختار) عندما سقطت من أحد الخدم:[٤]

أكثري المَحْوَ في الكتاب ومَحِّه بريقِ اللِّسانِ لا بالبنان
وأمِرِّي الخِتَامَ فوق ثنايا ك العِذَابِ المفَلَّجاتِ الحِسان
فأراها تقبيلَةً من بعيدٍ أُهديتْ لي وما بَرَحْتُ مكاني

(١) ابن الرومي- الديوان، ج٣، ص١١٠٠.
(٢) ابن داود الأصفهاني- الزهرة، ج١، ص١٢٣.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٣٥٤.
(٤) ابن الجوزي - أخبار النساء، ص١٨٣. انظر مصطفى البشير – الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء ص١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وساهمت الرسائل في رأب الصَّدع بين المحبين وإعادة ماء المودة بينهم وتمثل هذه الرسالة هذا النوع إذ تغاضب سعيدُ بن حميد وفَضْل الشاعرة أياماً وكانا متحابين ثم كتب إليها يسترضيها:(١)

تعَالي نُجدِّدْ عَهْدَ الرِّضا ... ونَصْفَحْ في الحُبِّ عما مَضى
ونَجري على سُنَّةِ العاشقين ... ونَضمَنْ عني وعنكِ الرِّضا
ويَبْذُلُ هذا لهذا هَواه ... ويَصْبِرُ في حُبِّه للقَضا
ونخضع ذُلاً خُضُوعَ العبيدِ ... لمَوْلىً عَزيزٍ إذا أعْرَضا
فإنِّي مُذَلَّجٌ هذا العِتَابُ ... كأنِّي أُبْطِنْتُ جَمْرَ الغضا

فصارت إليه وصالحته.

وقد تتجاوز الرسائل هذا الدّور إذ تسعى المرأة فيها إلى مساعدة من تحب إذ ما تعرّض لمحنة أو سجن أو نفي ، كما في رسالة عريب الشاعرة إلى إبراهيم بن المدبر في سجنه تخبره فيها بحبها وشوقها وشفاعتها له عند المتوكل لإخراجه من السجن ، وهذه الرسالة رآها ابن المدبر فضلاً ومعروفاً لا يُنسى يقول:(٢)

لعمركَ ما صَوتٌ بديعٌ لمَعْبَدٍ ... بأحسَنَ عندي من كتاب عريب
فَصِرْتُ لها عَبْداً مُقِرّاً بمُلْكِها ... ومُستَمْسِكاً من وِدِّها بنصيب

و ظهر رُسُلُ الحُبِّ والغرام الذين ساعدوا في تخفيف معاناة الشعراء وآلامهم فنقلوا رسائل الشعراء وهداياهم ، يقول ابن المعتز:(٣)

حَدِّثْني يا هَمَّ سُؤْلي ونَفْسي ... من دهَاني في الحُبِّ أو من وشَى بي
ليتَ أن الرَّسولَ كان يُؤَدِّي ... لَحْظَ عيني كما يُؤَدِّي كِتابي
فأرَى شِرَّ كلِّ يومٍ ويَشْفَى ... سُقْمُ نفسي وحَسْرَتي واكتئابي

وقد حمل الرُّسل إجابات المرأة على رسائل الشاعر و قد تباينت نوعية هذه الإجابات ، يقول ابن المعتز:(٤)

جاء الرَسولُ مُبشِّراً بزيارة ... من بعدِ طولِ تَهجّرٍ وتَغضُّبِ
وبكفِّه تُفّاحَةٌ قد مُسَّكتْ ... آثارُ عَضَّتِها كقُرني عقْرب

---

(١) الأصفهاني - الأغاني ، ج١٨ ص٣٦٣. انظر: أحمد زكي صفوت - جمهرة رسائل العرب، ج٤ ، ص٢٨٥
(٢) المصدر نفسه، ج٢٢، ص٣٨٠ ومعبد مغن بارع من أشهر مغني العصر الأموي انظر ترجمته النويري- نهاية الأرب، ج٤، ص٢٦٢-٢٦٧.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٦١.
(٤) ابن المعتز - الديوان ، ص٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تمكّن الشاعر من الحصول على رضا محبوبته بعد هجر وغضب وحصل على موعدٍ بزيارة وقد كانت إشارة الموافقة على ذلك تفاحة معضوضة أُغرقت بالمسك.

وفي حالة التراضي هذه تكثر رسائل الغرام ورسله وتكثر الهدايا من الطّرفين وقد تكون بسيطة تكتفي بها المرأة كرسالة مثلاً أو وردة أو تفاحة معطرّة بالمسك والعنبر، يقول ابن المعتز:[١]

أهْدَتْ إليَّ صحيفةً مَكْتُوبَةْ ... أرْضَتْ بها سُخْط الضَّمِيرِ العاتِبِ
يا ليتني ضُمِّنْتُ طَيَّ جَوابِها ... حتى أُقبّلَ كفَّ ذاك الكاتِبِ

ويصف خالد الكاتب تفاحة معضوضة مغلّفة بالمسك والغالية بعثت بها إحدى الجواري إليه:[٢]

تُفّاحةٌ مُزجتْ بالدُرِّ من فيها ... أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها
بيضاءُ في حُمْرةٍ علّتْ بغاليةٍ ... كأنّما قُطِفَتْ من خَدِّ مُهْدِيها
جاءت بها قينةٌ من عند غانيةٍ ... روحي من السُّوءِ والمكروه تَفْديها
لو كنتُ مَيْتاً ونادتني بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لَحْدي أُلبيها

وغيرها ، فقد أرسل ابن جمهور القَميّ مِنْديلاً مطَرَّزاً عليه هذه الأبيات من الشعر إلى جاريته زادمهر التي يحب:[٣]

أنَا رَسُولٌ من فتىً عاشقٍ ... أدْمُعُهُ في خَدِّه جارِيه
هذا ابن جُمْهور فجودي له ... مِنكِ بما يهواه يا قاسِيه
وليست النَّفسُ وإنْ شَفَّها ... حُبُّك يا مولاتَه ساليه

فردّت عليه المنديل وكتبت في وسطه بما معناه "لا تسخر بنا ".

وقد يفشل الرسول في مهمته ؛ فتكون النتيجة كما يقول ابن المعتز:[٤]

وزلّتْ رُسْلِ الهَوَى لا تُقَلْ ... كم من مُحبٍّ نفاه الرَّسولْ

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٩.
(٢) الأصفهاني - الأغاني ، ج٢٠، ص٣٩٩.
(٣) الشابشتي - الديارات ص٢٦٨.
(٤) ابن المعتز - الديوان، ص٥٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتردّ المرأة الرسائل والهدايا خاصة إذا غضبتْ أو تعرّض الطرفان لضغط المجتمع، يصف البحتري حاله مع عَلْوة محبوبته معاتباً إياها على ردّ هداياه ورسائله وهو الذي ضحّى كثيراً في سبيل حبّها وتعرّض لغضب أُسرته يقول:(١)

ردَّتْ عليَّ هَدِيّةً لو أنَّها ... بَعَثَتْ إليَّ بمِثْلِها لم أرْدُدِ
وتقولُ إنّي قد تَرَكْتُ غَوَايتي ... فاذهبْ لشَأْنِك راشِداً لم تُطْرَدِ
قد كنتُ ألْقَى من أخي وعُمُومَتي ... منك الأذَى بشَتيمتي وتَهدُّدي
نَبَذَتْ مُكَاتبتي، وردَّ رَسَائلي ... وتبدَّلَتْ مِصْبَاحَها في المسجدِ
فلئن رَدَدْتِ رَسَائلي وشَتَمْتِني ... فلَطالَمَا نَادَيتني: يا سَيّدي

وقد يدفع هذا الفشل الشاعر إلى القيام بمغامرة ليلية بلا سابق موعد أو بموعد قررته المرأة في حالة رضاها ثم نسيته عند غضبها، فكثرت صور هذه المغامرات سواء تلك التي قام بها الشاعر أو المرأة.

وبدت صورة المرأة في هذه الزيارات جميلة وبأتمّ زينتها، خائفة مذعورة تخشى افتضاح أمرها، مترفة تعيش في القصور ويحيط بها الخدم والحرّاس، مما يعني أنّ هذه الزيارات جزء من سلوك عام للمترفات.

وجاء توقيت الزيارة موفقاً وهو الليل بحيث يضمن سريّة الأمر ويعكس الواقع الاجتماعي المفروض على علاقات الحب والغرام، ويسعى إلى تحقيقها لئلا يحدث ما يعكر صفو الأجواء إذا ما عُرف موعدها. وكان لابدَّ من التستّر برداء داكن اللون والسير بخطىً خفيفة.

يصف سعيد بن حميد زيارة إحداهن إليه يقول :(٢)

زارَك زَوْرٌ على ارتِقَابِ ... مُغْتَمِساً غَفْلَةَ الحُجَّابِ
مُسْتَتِراً بالنِّقَابِ يبدو ... ضِيَاءُ خدّيه في النِّقَابِ

وقد حمل الشوق والحب المرأة على القيام بهذه الزيارة التي أثارت استغراب الشاعر ودهشته خاصة أنها أقسمت أغلظ الإيمان بأن تسد الباب في وجه كل خيانة أو وشاية أو فراق وأسعدته بذلك وأعادت ما انقطع من مودة بينهما يقول البحتري:(٣)

حبيبٌ سَرَى في خِفْيَةٍ وعلى ذُعْرِ ... يَجُوبُ الدّجى حتى التقينا على قدْرِ
تشَككتُ فيه من سُرُورٍ وخِلْتُهُ ... خيالاً أتى في النّوم من طيفه يسْري

(١) البحتري - الديوان، ج٢، ص٧٦٢.
(٢) الأصفهاني - الأغاني، ج١٨، ص٣٣٠.انظر رسائل سعيد بن حميد و أشعاره ، ص ١١٩
(٣) البحتري - الديوان، ج٢، ص١٠٥٢ . الغمْر. أعطاه واستغرقه، الشّدة. ابن منظور - اللسان، مادة غمر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتى مُسْتَجيراً بي من البَيْنِ تائباً ... إليَّ من الصَّد المُبَرِّحِ والهجر
وأقسمَ لي ألاَّ يَخُونَ مَوَدَّتي ... وإن أسْرَفَ الوَاشي وكَثَّرَ ذو الغِمْرِ

وبالرغم من نجاح المرأة في زيارتها ، فإنها قد تكون معرضة للفشل إن لم تحسن استعداداتها للخروج لذلك تظل خائفة تخشى فشلها حتى تحقق زيارتها ، يصف ابن المعتز حالة إحدى صواحبه التي تملكها حبه ؛ فقررت الخروج ليلاً لزيارته مبيناً خوفها من الفشل ، وقد اتخذت من تغريد القمري [١] ميقاتاً لخروجها ، وفيه إشارة إلى انتصاف الليل أو ساعة متأخرة منه لتضمن فيها نوم الجميع ، فسارت مسرعة ، وقد اتخذت شفتاها من تكرار اسمه تعويذة تحميها من التعثر والسقوط لسرعتها، ومن عيون الحراس التي قد تقلب أمره معها تعاسة فتفشل يقول [٢]

هام قلبي بفتاة غادة ... حولها الأسياف في أيدي الحرس
لا تنام الليلَ من حبي وإن ... غرّد القمري زارت في الغلس
وتُسَمّني إذا ما عثرت ... فإذا ما فطنوا قالت تعس

وقد نجح الشاعر في رسم صورة نفسية لفتاته التي بدت خائفة تتعثر في خطواتها ، حاولت أن تنجح في زيارتها باختيارها وقتاً مناسباً للخروج .

وأحياناً يقدم الشاعر على زيارة محبوبته بعد أن يتملكه الشعور بالاشتياق إليها والرغبة في رؤيتها وبدعوة من المرأة ، كما في مغامرة ابن الرومي التي قام بها إثر رسالة عتاب جاءته من محبوبته تشكو فيها غيابه وطول اجتنابه يقول:[٣]

كتبتْ ربّةُ الثّنايا العِذَابِ ... تتشكّى إليَّ طُولَ اجتنابي
وأتاني الرَّسُولُ عنها بقَولٍ ... لم تُبَيِّنه في سُطُورِ الكتاب
فتجشَّمْتُ نحوها الهَوْلَ، والحُرّ ... راسُ قد هَوَّموا على الأبواب
وهي في نِسْوةٍ حَوَاسِرَ لم يكْـ ... ـحَلْنَ جَفْناً برِقْدَةٍ لارتقابي
طَالعاتٍ عليَّ من شُرَفِ القصْـ ... ـرِ يُحاذِرْنَ رِقْبَةَ البوّاب
ولها بينهنَّ فيَّ حَدِيثٌ ... جُمْلَةٌ ليتَه يَرِقُّ لما بي
فتوقفتُ ساعةً ثم نادَيْـ ... ـتُ: سَلامٌ منّي على الأحباب
فتناشَرْنَ بي، وأشْرقن نحوي ... بِشَهيقٍ وزَفْرَةٍ وانتحاب
ثم قالت: أما اتقيتَ إلهَ النّـ ... ـاسِ في طولِ هجرتي واجتنابي

---

(١) طائر يشبه الحمام القمّر البيض ، يخرج ليلا .ابن منظور – اللسان ، مادة قمر.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٤٠٦.
(٣) ابن الرومي - الديوان، ج١، ص٣٣٠.
هَوّموا : هزّوا رؤوسهم من النعاس أو نام نوما خفيفا . ابن منظور - اللسان، مادة هوم.
لاعج : الهوى المُحْرق. ابن منظور - اللسان، مادة لعج.
الأوصاب: : الأدواء أو الأمراض. ابن منظور - اللسان، مادة وصب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلتُ ما عاق عن زيارتكِ الكا ... سُ وصوتٌ يُهيجُ من إطرابي
وافترقنا على مواعيدَ سكّنْـ ... ـنَ بها لاعجاً من الأوصاب

وتعكس هذه المغامرة الأجواء الساحرة لتلك المغامرات التي قام بها عمر بن أبي ربيعة مع صاحباته، وقد جاءت تدل على ما كان يسود تلك المغامرات من استعدادات يضمن بها تحقيق سريّة الزيارة وسلامة الشاعر من تحديد موعدها وزمانها، كما نجح ابن الرومي في عرض صورة نفسية لتلك المترفة التي بلغت بها أشواقها حدّاً جعلت الشاعر همَّها ومحور فكرها وحديثها وخوفها، ولعل تركيزه على هذه الناحية بدا واضحاً بحيث أعطى الأبيات الشعرية حيوية وإشراقاً عندما اندهشت لسرعة قدومه بالتفاتها وشهقة خوفها وبكائها، ولما استوعبت ما حدث عاتبته على تأخيره وهجره واجتنابه لها فزال كل ذلك وانتهت زيارته بمواعيد جديدة.

ويضطر الشاعر أحياناً للقيام بهذه المغامرة دون دعوة من المرأة ، وذلك في حالة غضبها عليه ، محاولاً استرضاءها ، معرضاً نفسه للخطر عند خاصتها من الرجال ، كما فعل ابن المعتز [1]

بأبي حبيبٌ كنتُ أعـ ... ـهدُهُ لي واصلاً فازورَّ جانبه
عَبَقَ الكلامُ بمسكةٍ نفحتْ ... من فيه تُرضي من يعاتبه
نَبَّهتُهُ والحيُّ قد رقدوا ... مستبطناً غضباً مضاربه
فكأنني روّعتُ ظبي نقاً ... في عينيه سَنَةٌ تُجاذبه

وثمة جوانب اختلاف بين حالة المرأة في زيارتها وحالة الشاعر، فالمرأة تقدم على زيارتها بلا موعد لأنها لا تستطيع تحديد زمن خروجها وإنما الصدفة تخدمها إذا غاب الحراس والرقباء بينما الشاعر لا يقدم على هذه الخطوة إلا بموعد لا لأنه لا يملك وقت خروجه ولكن لأن المرأة من يحتاج الوقت المناسب للزيارة وهذه مرهونة كذلك بظروف خاصة لأنه من غير موعد قد يعرض نفسه للخطر عند خاصتها من الرجال.

وتبدو المرأة في زيارتها خائفة مذعورة تخشى الليل وافتضاح أمرها بينما تلاشى ذلك كله عند الشاعر لأن المرأة هي من رتبت موعد الزيارة، فوفرت كل عناصر الأمان والسلامة وبينما المرأة كانت تفكر بالشاعر وتدعو الله أن يأتي به لم يفعل الشاعر ذلك، كلا الزائرين تعرضا للعتاب ونجحا في رأب الصدع مع من يحبون.

---

(١) ابن المعتز – الديوان ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا استحال الوصول إلى المرأة بأي وسيلةٌ لجأ الشاعر إلى عالم الأحلام يستعين بـه فبرزت صورة الطيف التي جلبت السّعادة للشاعر وأحالت بؤسه نعيماً وبُعْد المرأة قُرباً وتمنّعها وصلاً، فكل ما يرغبون به من المرأة البخيلة تحقق في طيفها يقول البحتري:(١)

أقامتْ على الهِجْرَانِ ما إن تَحُوزُه وخَالَفَها بالوَصْلِ طَيْفٌ لها يَسْرِي

ويبدو أنَّ الشاعر قد أراد من صورة الطيف تعويضاً عما حَلَّ به من حرمان وعَذاب في صحوه وذلك بهروبه إلى عالم الأحلام.

وحاول الشعراء أن يضفوا على الطيف صورة واقعية إذ أثار استغرابهم سير المرأة ليلاً وصولاً إليهم فاستعانوا بالحوار على ذلك يقول ابن الرومي:(٢)

طَرَقَتنا فأنالَتْ نائلاً شُكْرُهُ لو كان في النبْهِ الجُحُودْ
ثم قالت وأحَسَّتْ عَجَبي من سُرَاها حَيْثُ لا تَسْري الأُسُود
لا تَعَجَّبْ من سُرَانا فالسُّرى عَادَةُ الأقمارِ والنَّاسُ هُجُود
عجبي من بَذْلِها ما بَذَلَتْ وسُرَاها وهي مِشْماسٌ خَرُود

وقد بدا الشاعر سعيداً جداً لما وصلت إليه علاقته بالمرأة فأسبغ سعادته على الطبيعة حوله. يقول البحتري:(٣)

زارتْ على عَجَلٍ فاكتسى لِزَوْرَتِها أبَرْق الحَزْنِ طِيْباً
فكان العَبيرُ بها واشياً . وجِرسُ الحُليِّ عليها رَقِيباً

فكانت زائرته على عجلةٍ من أمرها ومع ذلك تركت تأثيراً كبيراً على المكان، كما امتلكت من الوسائل ما دلّ على وجودها كالعطر الذي عبقت به أرواح المكان ووسوسات الحلي.

وهكذا كانت المرأة بصورتها المعنوية قد شغلت الشعراء وحَيّرت ألبابهم بوصلها وصدها في قربها وبعدها، فجعلت من الحبّ علاقة تستحق التضحية يقول خالد الكاتب:(٤)

أقولُ للسُّقمِ عُدْ إلى بَدَني حُبّاً لِشيءٍ يكون من سببك

---

(١)البحتري - الديوان، ج٢، ص١٠٠٤.

(٢)ابن الرومي - الديوان، ج٢، ص٧٥١. مِشْماس: المرأة التي لا تطالِعُ الرِّجال ولا تطمعهم. ابن منظور- اللسان، مادة شمس.

خرود : المرأة التي لم تمسس قط، وقيل الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت، الخفرة المستترة. ابن منظور- اللسان، مادة خرد.

(٣) البحتري - الديوان، ج١، ص١٤٩.

(٤) الشابشتي - الديارات، ص١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اجتمع في هذه المرأة جمالٌ روحي وآخر حسي فكانت بحق تستْحق المحبّة يقــول ابن الرومي:[١]

وفيكِ أَحْسَــنُ مــا تَسْــمُو النُّفُــوسُ لــه فأينَ يَرْغَــبُ منــك السَّــمْعُ والبَصَــر؟

ويلاحظ في حديث الشعراء عن الصورة المعنوية للمرأة كم كانت تجربة الرحيل قاسية على المرأة وعلى الشاعر ومع ذلك منحت العلاقة بينهما قيمة سامية بحيث حَرّرتها مــن أدران المادة وعلّمت المرأة والشاعر كيفية إجادة الحب الحقيقي. كما أنها عكست أحد أساليب المرأة فــي خلق أجمل قصص الحب، وقد بالغ بعض دارسي الغزل العذري عندما جعلوا المــرأة برحيلــها خيالية لا يربطها بالواقع سوى خيط رفيع[٢] وهذا ليس صحيحاً لأنَّ الرحيل جزء من حياتــها ولا يعني اختفاءها في الحقيقة لأن تأثيرها على الشاعر والمكان باقٍ .

كما أكسبت هذه التجربة العلاقة الكثير من الحزن خاصة للشاعر ، لأن المرأة برحيلها تأخذ كــل شيء جميل في حياة الشاعر ، ولا تبقي له إلا التعاسة والمرارة لذلك حــاول الإبقــاء عليــها أو ملازمتها كي يحظى بحياة هانئة .

وتبدو المرأة في هذه الصورة حقيقية ، عاش معها الشاعر كل قصص الحب السالفة فــي ظــل أجواء غضت الطرف عن كثير من أشكال السلوك السوي وغير السوي ، فخلفت قصصاً غرامية ، وخلدت أسماء مشهورة كعلوة ، ووحيد ، وشاجي وشرة وغيرهن ، وقد تكون علــى النقيــض فهي ليست حقيقية ، وإنما رموز [٣] وظفها الشاعر للتعبير عن رؤيته للحياة بكل مــا فيــها مــن جماليات وأفكار ورؤى وهموم وأحزان ، فبدت مرة مقبلة ، ومرة مدبرة ، ومرة حنونة ، ومــرة قاسية تستلذ بتعذيب الشعراء ، ولعل الأجواء العامة التي عاشها العصر ، وهي حالة الاضطـراب والفوضى التي سيطرت على أحواله حتى انعدمت جوانب الأمن والطمأنينة فيه فأصبحت مطلبــاً عزيزاً بحث الشعراء عنه حتى في صورهم الشعرية ، كما نجد في قول إبراهيم بن المدبر ، وهو يتغزل بإحداهن فيصورها بجمالية حالة الأمن والطمأنينة يقول [٤]

مــا دميــةٌ مــن مرمــــر صــــوّرت أو ظبيــــةٌ فــــي خَمْــــرِ عــــاطفُ

---

(١) ابن الرومي - الديوان، ج٣، ص١٠٠٨

(٢) ج. ك ، فادية - الغزل عند العرب، ص٣٣٣.

(٣) حسن ربابعة – الصورة الفنية في شعر البحتري ، ص٩٢-٩٥. انظر اعتدال درويش – صورة المرأة فــي البلاط البويهي ، ص١٠٠-١٢٢.

(٤)القالي – الأمالي ، ج١ ، ص٢٩ "ط السعادة" . انظر حسين العلاق – الشعراء الكتاب ، ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحســن منـــها يـــوم قـــالت لنـــا والدمـــــع مـــــن مقلتـــــها ذارف
لأنـــت أحلـــى مـــن لذيـــــذ الكـــرى ومـــن أمـــان نالـــــه خـــائف

لذلك ربما كانت الكثير من الصور الواردة في صورة المرأة هي رموز لحالات نفسية يمر بها الشعراء في حياتهم ، أو تعبير عن أفكار وتطلعات ورغبات لم يستطع الشعراء التصريح بها أمام المتنفذين من نساء وأتراك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

صورة المرأة في الأغراض الشعرية الأخرى

المديـــــح والتهنئة

الهجـــــاء

الفخـــــر والعتـــــاب والشكوى

الرثاء والتعزية

الوصـــــف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

صورة المرأة في الأغراض الشعرية الأخرى

لمّا كان الشعر وحده لا يكفي لإبراز صورة المرأة لتركيزه على الناحية الجمالية فقط فإن هذه الصورة تكتمل بدراسة الأغراض الشعرية الأخرى من المديح والهجاء والفخر والرثاء والوصف.

المديـــح و التهنئة :

وفيه توجَّه الشعراء إلى مديح المرأة فيما تفوّقت فيه من مجالات، فمدحوا الكاتبة لبراعتها وحسن خطها وسرعة كتابتها، ومن هذا مديح عيسى بن فرخانشاه لكاتبة عنده تكتب خطاً حسناً يقول:(١)

سَريعةُ جَري الخَطِّ تَنْظُمُ لؤلؤاً ... وينْثُرُ دُرّاً لَفْظُها المُتَرَشَّفُ
وزادت لدينا حَظْوَةً ثُمَّ أقْبَلَتْ ... وفي إصْبَعيها أسْمَرُ اللَّون مُرْهَفُ
أصَمٌّ سَميعٌ ساكنٌ مُتَحَرِّكٌ ... يَنَالُ جُسَيْمات المَدَى وهو أعْجَفُ

فقد أبدى الشاعر إعجابه واحترامه لهذه الكاتبة عندما امتهنت هذا العمل، فأقبلت عليه وقد حملت أدوات كتابتها بين يديها، أمّا صفاتها التي مدحها الشاعر فهي سرعة الخط وبراعة الكتابة وجمال الحديث، فوصف الشاعر نظمها باللؤلؤ وحديثها بالدّر وقلمها بالصم والسميع الساكن والمتحرك القادر على عمل المعجزات. كما جاء الجمع بين صورتها وصورة القلم ليوازي مقدار تأثيرها على سيدها وحظوتها عنده. ونال حسن الخط وبراعة التعبير عناية الشعراء في مديحهم المرأة الكاتبة، ويظهر هذا في مديح إبراهيم بن المدبر رسالة عَرِيب الشاعرة له في السجن، تخبره بشفاعتها له عند المتوكل لإخراجه من السجن يقول:(٢)

لَعَمْرُكَ ما صوتٌ بديعٌ لمعْبَدٍ ... بأحسنَ عندي من كتاب عَرِيب
تأمَّلْتُ في أثنائه خطَّ كاتب ... ورقَّةَ مُشْتاق ولَفْظَ خطيب

ومثل هذه الصفات قليلة الاجتماع في كثير من كاتبات وشاعرات العصر ما عدا فضل

---

(١) الصولي - أدب الكتّاب، حـ١، ص٧٩ / عيسى بن فرخانشاة من أهل قنى ، كان كريما وكاتبا في بعض الدواوين، ولي الوزارة للمعتمد وهو من الشعراء المقلين . انظر: المرزباني- معجم الشعراء، ص٢٦١.
(٢) الأصفهاني - الأغاني، حـ٢٢، ص٣٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي وصفت أنها "أحسن خلق الله خطّاً وأفصحه كلاماً وأبلغه مخاطبة وأثبته محاورة[١]".

وهدف الشعراء في مديحهم إلى رسم صورة تليق بمكانة ممدوحيهم من خلال تخيّر أفضل الصور والمعاني وانتقاء أفضل الصفات والفضائل. حيث جعلوا المرأة جزءاً من صورة الممدوح ومن المعاني التي يمدح بها الرجل، إذ عَدُّوا الأم الحرّة كريمة الأصل والنسب من الصفات التي يمدح بها كما فعل ابن الرومي في مديحه علي بن عبد الله الكاتب:[٢]

وأرى السَّماع مُثلَّثاً لكما ... كابن لأُم حُرّة وأب

ويستخدمها ابن المعتز في مديحه أحد السود يقول:[٣]

كريمٌ سليلٌ للملوك مُهَذَّبٌ ... سريعُ العطايا عند كل سُؤال
وجاءت به أم من السُّود أنْجَبَتْ ... كَلَيْلَةِ سِرٌّ طُوِّقَتْ بهلال

كما يجعلون الأم إحدى فضائل الممدوح من خلال المعاني والصور الشعرية لعطفها وحرصها وأمومتها. يشبه ابن الرومي ممدوحه علي بن يحي المنجم بأم حانية والهة على أبنائها تخشى عليهم الفقر وتخاف فتنة الغنى يقول:[٤]

فَدَتْكَ نُفُوسُ النّاس من ذي حِيَاطَةٍ ... غدوتَ لهم أُمّاً مُمَهَّدَةَ الحِجْر
تَظَلُّ من الأمْر المَخُوف وغَيْره ... تَضُمُّ بَنِيْهَا باليَدَين إلى النَّحْر
فإشْفَاقُها من أن يموتوا من الغِنى ... كإشفاقها من أن يموتوا من الفَقْر

وصورة الأم تعكس عقلاً وقدرة على اتخاذ القرارات إضافة إلى عطفها وحنانها وهي صورة وثيقة الصلة بالحياة.

كما جعلها الشعراء مؤشراً على فضل أعمال ممدوحيهم وعظمتها كما فعل البحتري في مديحه المتوكل وصلحه بين بني تغلب إذ صوّر خوف المرأة من الحرب وهدوءها واطمئنانها عقب الصلح يقول:[٥]

ومُشْفِقَةٍ تَخْشَى الحِمَامَ على ابْنِها ... لأوّل هَيْجَاء تَلاَقَى جُمُوعُها
رَبَطْتَ بصُلْح القَوْم نافِرَ جَأْشِها ... فَقَرَّتْ حَشَاها واطْمَأنَّتْ ضُلُوعُها
بَقِيتَ فكم أبْقَيْتَ بالعَفْو مُحْسِناً ... على تَغْلِبَ حتَّى استمرَّ ظَلِيْعُها

(١) السيوطي – المستطرف، ص٥١ . انظر الأصفهاني – الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٣٠٤ .
(٢) ابن الرومي - الديوان، حـ١، ص١٤٧ .
(٣) ابن المعتز - الديوان،، ص٥٦٤ .
(٤) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص٩٩١ .
(٥) البحتري – الديوان، حـ٢، ص١٣٠١، وهذا الصلح حدث بين بني تغلب في حمص سنة ٢٤٣ هجرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعل الشعراء الزوجة تشاركهم رغبتهم في تحقق أهدافهم عند ممدوحيهم، كما فعل أبو الشبل البرجمي عندما جعل صورة الزوجة تعلو قصيدة المديح لتشاركه أمانيه بنجاح مساعيه عند الخليفة المتوكل يقول:(١)

واقْبَلي فالخَيْرُ مُقْبِل ... واتْركي قَولَ المُعَلِّل
وتِقِي بالنَّجْح إذ بَرَت ... صَرْتِ وَجْهَ المُتَوكِّل

ويجعلها ابن الرومي شريكته ووسيلته لنيل عطاء الممدوح عندما صوّرها ضارعة لله داعيةً له بالتوفيق عند ممدوحه القاسم بن عبيد الله بن وهب يقول:(٢)

أقولُ لمّا رأيتُ عِرْسي ... تَسْتَرزقُ اللهَ باليدين
سَيَجْعلُ اللهُ بعد عُسْر ... يُسْراً بجدوى أبي الحُسَين

وحاول أن يمزج في مديحه بين صورة الممدوح وزوجه التي لا تقلُّ ثراءً وعطاءً عن زوجها نجد ذلك في مديحه للقاسم بن عبيد الله بن وهب عندما ذكر زوجته أم عليٍّ وما تملك من جوارٍ حِسَان لهن فضلٌ كبير على عالم الغناء. يقول:(٣)

كريمٌ تَفِي أفْعَالُه بانْتِسَابِهِ ... وذو نَسَب في آل ساسان شَابك(٤)
لأم عليٍّ رَبْرَبٌ فيه آنسٌ ... من العِيْن مثل العِيْن صُفَّتْ بعانك
له مَجْلسٌ ما إن يَزال مُصدَّراً ... بأحْسَن من بِيْض النِّعام الترائك
يُرَفِّعْنَ أصواتاً لداناً وتارةً ... يُنَمنِمْنَ وَشْياً غير وشي الحوائكِ

ومثل هذه المجالس هي التي جعلت الشاعر يجزل مديحه لصاحبها ولصاحبة الجواري اللواتي غنين فيها، كما جعل المديح وسيلته أحياناً للحصول على إحدى هذه الجواري كما فعل في مديحه لأبي الفضل عبدالملك بن صالح الهاشمي الذي أسبغ عليه كل فضائل المدح ليستوهبه جارية سوداء تولّت تقديم الشراب له عندما زاره يقول:(٥)

أبو سليمان ذو الإصَابَةِ والـ ... ـإحْسَان وابنُ المُلُوك لا السُّوق
لا يمْتَنِعُ الرِّيُّ طالبيْهِ ولا ... يَسْقي نديماً له على تَأَق

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، حـ١٤، ص٣٨٢ . انظر يسري سلامة – الأدب في القرن الثالث ، ص٧٤ .
(٢) ابن الرومي - الديوان،، حـ٦، ص٢٥٦١، القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن ذهب، وزير المعتضد والمكتفي ت ٢٩٠هـ. انظر: المرزباني - معجم الشعراء ، ص١٩٨ .
(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ٥، ص١٨٦٦ .
(٤) العانك: ما كان به صفرة. ابن منظور - اللسان، مادة عنك. بربرب: قطيع من بقر الوحش. ابن منظور - اللسان، مادة ربب، شابك: اسم للأسد. ابن منظور - اللسان، مادة شيك.
(٥) ابن الرومي - الديوان،، حـ٤، ص١٦٥٤، جونة: أمة سوداء، إسكاف: من نواحي النهروان بين بغداد وواسط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تديـــره جَونـــةٌ تحـــرّق بـــالدَّ ... لٌ إذا البيـــضُ جُـــذنَ بـــالرَّمق
وصَفْتُ فيها الـــذي هَوَيْـتُ علـى الـــ ... ـوَهْـــم ولـــم تُختَـــبر ولـــم تُـــذَق
لحَـــاجتي إنْ بَعَثْتَـــها لـــي فـــي ... إســـكافَ، والدَّيـــرُ وَجْـــهُ مُتَفَّـــق
أولا فمـــا سُـــدَّ بـــاب معـــذرة ... كـــلا ولا سُـــدَّ بـــابُ مُرتَـــزَق

ونالت المغنيات القديرات المديح والإشادة ، كما في إشادة ابن الرومي بالمغنية وحيد:[1]

مَعبَـدٌ فـي الغنـــاء وابـــن سُـــرَيج ... وهـــي فـــي الضَّـــرب زَلْـــزَلٌ وعَقيـــد
عيبـــها أنـــها إذا غنـــت الأحْـــ ... ـــرار ظلـــوا وهـــم لديـــها عبيـــد

وسعى ابن الرومي في بعض مدائحه ليدفع عن نفسه الظلم الذي لحق بـــه مـــن إحـــدى الجواري بعد أن سليته عقاره ، وهو أمر يدل على مبلغ القوة التي وصلتها المرأة ، وذلـــك فـــي مديحه لعبيد الله بن سليمان بن وهب[2] يقول:[3]

تـــهضَّمني أُنثـــى وتَغْصِـــبُ جَـــهْرةً ... عَقَاري؟ وفـــي هـــاتيك أعْجَـــبُ العَجَـــب
عَرَفْنـــا لـــها غَصْـــبَ الغَرِيْـــر حُقُوقَـــه ... فمـــا غَصْبُـــها حَـــقَّ الحَكيـــم المُـــدَرّب
إليكـــم شَـــكَاتي آل وهـــب ولـــم تكـــن ... لتَصْمُـــدَ إلا للوَزيـــر المُـــهذَّب

ونجد أنَّ شعر المديح لم يتجه كثيراً لمدح المرأة وإنما جعلها وسيلة لتحقيـــق أهـــداف الشعراء عند ممدوحيهم. ولعل ذلك يعود إلى عدم رغبة الشعراء بذكر النســـاء خاصـــة الحـــرم حرصاً عليهن، ودفعاً للشبهة التي قد تلحق بهنَّ إذا ما تعرّض لهنّ أحد الشـــعراء المتـــهتكين أو المجان، ولا يتوجهون كذلك بمديح خالص لنساء الخاصة لأنهم لا يملكون الجرأة على ذكرهـــن خشية على أنفسهم:[4] إضافة إلى انشغال الشعراء بالتعبير عن قضايا مجتمعهم من ضعف وانهيار وسيطرة للأتراك .

ومع أن الشعراء ذكروا المرأة في شعر المديح ولو يسيرا ، فإنها لم تنل من شعر التهنئة إلا اليسير أيضا فقد شاركت المرأة الرجل في التهنئة إذ جعلها الشعراء جزءاً من التهنئـــة بالزواج عروساً جميلة ناسبت زوجها مقاماً وكرماً وحسباً، وأكثر التهاني كانت في قطر النّـــدى

---

(١) ابن الرومي - الديوان،ج ٢ ، ص ٧٦٢ .
(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد والمعتضد، دامت وزارته عشر سنين. شاعر وكاتب ت٢٨٧هـ . انظر: ابن الطقطقي - الفخري، ص٣٤٧-٣٤٨ . ابن خلكان - الوفيات، حـ١، ص٣٨٧.
(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ١، ص٢٥١-٢٥٢.
(٤) أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنت خمارويه أمير مصر التي تزوجها الخليفة المعتضد، التي وسمت بالجمال والثراء والفهم والعقل يقول ابن الرومي:(١)

يا سَيِّدَ العَرَبِ الذي قُدِرَتْ له ... باليُمْنِ والبَرَكَاتِ سَيِّدَةُ العَجَمِ
شَمْسُ الضُّحَى زُفَّتْ إلى بَدْرِ الدُّجى ... فَتَكَشَّفَتْ بهما عن الدنيا الظُّلَمِ

وتمنى الشاعر لهما الرفاء والبنين وطيب الغِراس يقول ابن الرومي:(٢)

وسَرَّه الله بمولاتِهِ ... وانْصَرَمَتْ أشْهرُها عن غُلاَمِ

ومع ذلك شاركت المرأة الرجل في التهنئة إذ جعلها الشعراء جزءاً من التهنئة بالزواج عروساً جميلة ناسبت زوجها مقاماً وكرماً وحسباً، وأكثر التهاني كانت في قطر النّدى بنت خمارويه أمير مصر التي تزوجها الخليفة المعتضد، التي وسمت بالجمال والثراء والفهم والعقل يقول ابن الرومي:(٣)

يا سَيِّدَ العَرَبِ الذي قُدِرَتْ له ... باليُمْنِ والبَرَكَاتِ سَيِّدَةُ العَجَمِ
شَمْسُ الضُّحَى زُفَّتْ إلى بَدْرِ الدُّجى ... فَتَكَشَّفَتْ بهما عن الدنيا الظُّلَمِ

وتمنى الشاعر لهما الرفاء والبنين وطيب الغِراس يقول ابن الرومي:(٤)

وسَرَّه الله بمولاتِهِ ... وانْصَرَمَتْ أشْهرُها عن غُلاَمِ

شاركت المرأة التهنئة بالمواليد الجديدة زوجة وأماً، كما في تهنئة ابن الرومي القاسم ابن عبيدالله بن وهب بمولودٍ له؛ فذكر أمَّ المولود الجميلة التي ساهمت بجمالها وكرم منبتها في جمال طفلها وكرمه يقول:(٥)

بَذْرُ طَلْقٍ وشَمْسُ دَجْنٍ من الأمْـ ... ـلاك جاءا بكَوكَبٍ مَسْعُود
نَجلتْهُ بَيْضاءُ من مَلِكَاتِ البرْ ... رِ وم تُدْعى لقَيْصَرٍ مَعْبُود

ويظهر تأثير الأم الجميلة في ابنها أصلاً وحسباً فضلاً عن جمالها.

---

(١) ابن الرومي - الديوان، حـ٦، ص٢٢٤.
(٢) المصدر نفسه، حـ٦، ص٢٢٤٦.
(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ٦، ص٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه، حـ٦، ص٢٢٤٦.
(٥) المصدر نفسه، حـ٢، ص٦١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ أن صور التهنئة بالمرأة انحصرت في كونها عروسا أو أما ؛ وذلك لمكانة زوجها من جهة ولدورها في استقرار الأسرة وإنجاب الأطفال وبالتالي المحافظة على محتد الرجل ونسبه وماله من جهة أخرى .

شعر الهجاء:

سعى الشعراء في هذا اللون إلى تدمير المهجو سواء أكان رجلاً أم امرأة وبكل وسيلة ممكنة ؛ فبلغ لذلك الشعر درجة عالية من الفحش والابتذال أخرجته عن أصالته الفنيةومن المضامين التي قام عليها شعر الهجاء: استغلال سلوك المرأة وأخلاقها وصفاتها ومجونها بهدف الإساءة إلى المهجو والسخرية منه وتشويه صورته وسمعته إذ اعتبروها ماجنة، اتخذت من مجونها تجارة أورثتها لأبنائها كما في هجاء ابن الرومي لأبي يوسف الدّقاق معرضاً بأمه :[١]

أَأَبَا يُوسُفَ دَعْوَةَ المُسْتَصْغِرِ ... ويَلَ التي حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُر
يا بنَ التي حَرَمتْ جَنَابي قبْرها ... ومُجَاوريه حَيَا السَّحاب المُمْطِر
قَطَعَتْ شَبيبتَها زناً وسَمَاجة ... وتِجارَةً خُسْراً لذاك المتجر

وكانت زوجة الأب من هذا الصنف ، كما في هجاء ابن بسام لها بقوله:[٢]

إذا فركتْ قادتْ وإنْ طهرتْ زنتْ ... فهي أبداً يزنى بها وتقودُ

لأن زوجة أبيه كانت تحرضه على الإساءة إليه ، فكرهه لها دفعه إلى أن يصبَّ نار هجائه عليها، فلم يجد إلا هذا السبيل .

وسلكت الزوجة السبيل نفسه فهي وقف للجميع كما في هجاء ابن الرومي لخالد القحطبي:[٣]

لا رعاك الله شيخاً ... غيرَ مَحْمِيٍّ الذِّمَار
أبداً عِرْسُك وَقْفٌ ... لصَديق أو لجار

وكانت البنت جزءاً من هذا السلوك ، لذا يهجو ابن الرومي خالد القحطبي مستغلاً هذا الأمر في النزاع الذي نشب بين القحطبي وأخر اسمه الشوكي يقول[٤] :

البنتُ بنتكما معاً ... شَهدَتْ به السَّبْعُ الطِّبَاقُ

---

(١) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص١٠٦٣.
(٢)العبد لكاني – حماسة الظرفاء ، ج٢ ، ص١٣٢ . انظر مزهر السوداني – ابن بسام حياته وشعره ، مجلة كلية التربية ، جامعة البصرة ، مج١٥ ، عدد٢ ، سنة ١٩٨٦ ، ص٢٨ .
(٣) ابن الرومي – الديوان ، حـ٢، ص٦٦٥.
(٤)المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٦٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلخـــــــالدٌ منـــــــــها ولا... دةٌ مـــن لـــه يَجـــبُ الصَّـــداقُ
ولخصمـــــــه فيـــــــها ولا... دةٌ مـــــن بكَفَيْـــــهِ الطَّـــــلاقُ

وهجا الشعراء الجواري والقيان مستغلين هذا الجانب (المجون) ولم يكونوا في هجائـــهنَّ بحاجة إلى إعمال العقل والبحث عن مبررات لأنَّ مثالبهنَّ جَمَّة وسيرتهنَّ معروفـــة وأخلاقـــهنَّ معهودة[١].يهجو البحتري ابن صالح بن شيرزاد [٢] لزواجه من جارية كان الشـاعر قـد أحبّـها فدفعته الغيرة إلى ذلك يقول:[٣]

تَزَوْجْتَـــها بعـــــد إحْرَاقِـــــها قُلُـــوبَ النَّدامـــــى وإقْلاَقِـــــها
وقـــد أعْطَـــتِ القـــومَ مـــن عَـــهْدِها رضَـــاهم وقـــد عَقِـــدَ مِيْثَاقُـــها
فكيـــفَ أمِنْـــتَ خِيَانَاتِـــها وأنـــت عَلِيـــمٌ بأخْلاَقـــها

لذلك نجده قد هجا علوة محبوبته لغيرته بعد زواجها من غيره بمقطوعة يقول فيها [٤]:

أيكُـــم ســـائلٌ زُرِيـــــــ..... قـــةَ عـــن حـــال بنتـــها
هـــي رتقـــاء يعجـــزُ اللَّفـــ..... ـــظُ عـــن قُبْـــح نعتـــها

وزريقة هي والدة علوة ، وهو أمر دفع الباحثين إلى الشك في أن يكون هذا الهجاء قـد صدر منه في علوة التي أحبها ، وإن حدث فما هو إلا نتيجة انفعال وفي ساعة غضب [٥].

فالغيرة دفعت الشاعر إلى هجاء الزوج بأخلاق زوجته الجارية وخياناتها المحتملـة مـع عشّاقها. ونجد أنَّ هذه الغيرة قد تكون لونا من التظرف والمداعبة ، كما في هجاء ابـن المعـتز لشُرِيْزة التي أحبها والبقّال المغنّي عند زواجه بها في قصيدة طويلة تعد من أشهر قصائد الـهجاء في ديوانه ، ومن أشد صور الهجاء عنده يقول فيها :[٦]

صاح ماذا تَـرَى مـن الـرأي قـل لـي أطْـرقَ الدَّهـر ثـمَّ جـاء يصلِّـي
اسـتمع ثـم هـات رأيـاً مصيبـاً ربمـا جئـت بـالصواب المُجَلِّـي
زوّجـوا ويلـهم شُـرَيْرةَ بالبـ قـال يـا حُسْـنَها ويـا قُبْـحَ بَعْـل
سَـبَّح النـاسُ إذا رأوا دُرّة المُـ ـلكِ مـع البَيْـض عنـد صَـاحب بَقْـل
أيْـقِـنِـي منـه يـا شـريرُ بفَقْـر وهَـوَان صَـرْف وجُـوع وهَـزْل

---

(١) علي هاشم – الأندية الأدبية ، ص٢٧٦.
(٢) أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي كان كاتبا بليغا ومجيدا في النظم والنثر، وزير للمعتمد ت٢٦٦هـ. انظر : ابن الطقطقي - الفخري، ص٢٥٤.
(٣) البحتري - الديوان، حـ٣، ص٥٩٤.
(٤) المصدر نفسه – ج١ ، ص١٤٦.
(٥) شوقي ضيف – العصر العباسي الثاني ، ص٢٩٤.
(٦) ابن المعتز - الديوان، ص٦١٤-٦١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلتُ ما كان مهرُها ؟ قيل مـــن بُسْـــ.... ـــــر ومـــــن كـــــامخ وخَـــــلٍّ
وأتـــوه بـــها مُضَمَّخـــةً مسْـــــكاً فبـــانت وقـــد طلاهـــا ببصَـــل
وعزيـــزٌ عليَّ مـــــن ذاك ماهـــا.... نَ عليـــهم وليـــت أنيومـــن لـــي ؟
إن تكوني علي الرضا أو على السُّخـــ... ـــطِ فـــلا بالرِّفـــا ولا بـــالتَّملي

وقد يحمل هذا الهجاء على باب التظرف واللهو ؛ فلا يؤخذ بظاهره ؛ لذلك يعتقد بعض الدارسين أن شُرَيْرة أو شيرّة ليست امرأة حقيقية ؛ وإنما رمز لوساوسه وأحزانه على ضياع الملك منه من جهة ، وطمعه فيه من جهة أخرى [١] فقد ظلت هذه الوساوس تدفعه وتلح عليه لتحقيق رغبته القاتلة حتى أصبح خليفة ليوم واحد قتل بعدها ، وتعددت المصادر التي غذت هذه الرغبة فأبرزها جدته قبيحة التي احتضنته ، وربته على حب الحكم والسياسة ، ووفرت له كل السبل الممكنة من العلم والأدب . فقصرها الموجود في الصراة يضم مكتبة ضخمة جمعت فيها أنفس الكتب ، وجعلتها تحت تصرفه [٢] ، وكان للمحن والأحداث اجسام التي عاشها أثر كبير في تشكيل هذه الرغبة لذلك كلما ابتعدت عنه صلاها بنار هجائه ، كما نجده استقى اسم رمزه شريرة أو شرة من الشر الذي يعيشه في محنة تتكرر أمام عينيه "محنة صاحب السلطان والجاه من الحظ الذي يتهدده ، ومحنة الشاعر الذي تتهاوى امامه الرموز وتسقط القيم إزاء عينيه[٣] حتى أصبح حلمه وطمعه شراً يتهدده ، فقال يبكيها في إحدى قصائده [٤]

فكيـف بـها لا الـدارُ منـــها قريبـــةٌ ولا أنـت عنـها آخـر الدهـر صـــابرُ
أحيـا حيـاة بعـــد شيـــرَّ مريضـــة لـــها عـاذلٌ فـي حُـبِّ شيـرٌ وعـــاذرُ
ألا يـا بنـي العبـاس هـــذا أخوكُـــمُ قتيـلٌ فـهل منكـم لـه اليـــوم ثـــائرُ

وقد سعى الشعراء من وراء هذا الهجاء إلى إفشال هذه الزيجات، كما فعل ابن الرومي في دعوته لإبطال زواج أبي الصقر إسماعيل بن بلبل[٥] من إحداهن يقول:[٦]

زُوِّجـتَ نُعْمـى لـــم تكـــن كُفْأهـــا فصانـــــــها اللهُ بتطليـــــــق

وهذه ظلت رغبة ابن المعتز بعد زواج شريرة من البقال لذا يقول في هجائها :[٧]

---

(١)سعد شلبي – ابن المعتز صورة عصره ، ص٢٤٥ ، ص٣٠٣ ، ص٣٠٣ . انظر غضوب خميس – ابن المعتز شاعرا ، ص٣٤١ – ٣٤٢ .
(٢)أحمد زكي – ابن المعتز ، ص٢٣
(٣) محمد زغلول سلام – الأدب في عصر العباسيين ، ص٤٦٧ .
(٤)ابن المعتز – الديوان ، ص ٢٨٩ .
(٥) أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني وزير المعتمد ورئيس ديوان الضياع في سامراء، قتل سنة ٢٧٨هـ . انظر: ابن الطقطقي - الفخري، ص٣٤٥-٣٤٧.
(٦) ابن الرومي - الديوان، حـ٤، ص١٦٣٥.
(٧) ابن المعتز - الديوان، ص٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقـولُ وقـد ضـاقت بأحزانِـها نفســي ألا رُبَّ تطليـقٍ قريـب مـن العِـرْس

وهجا الشعراء شكل المرأة وقبحها إضافة إلى سلوكها ومجونها، وسعوا في رسمهم قبح الشكل والمنظر إلى تشكيل صور كاريكاتورية ساخرة، منها ما كان في الزّوجات خاصة عند زوال جمالهنّ وتقدّمهن في العمر، ونجد صدى هذا في هجاء دِعبل الخزاعي لزوجته التي جعلها آيةً للقبح يقول:(١)

يـا رُكْبَتَـي خَـزَر وسَـاقَ نَعَامَـةٍ وزبيْـل كُنَّـاس وشِـدْقَ بَعِـيْر
يـا مـن أُشَـبِّهُها بحُمَّـى نـافِض قَطَّاعَـةً للقَلْـب ذاتَ زَفِـيْر
صُدْغَـاك قـد شَـمِطَا ونَحْـرُك يـابسٌ والصَّـدْرُ منـكِ كجُؤجُـؤ الطُّنْبُـور
يـا مَـنْ مُعَانِقُـها يَبِيْـتُ كأنَّـه فـي مَحْبِـس قَمْـل سَـاجُور

ويتجلى في الأبيات كم أصبحت الزوجة همّاً ثـقـيلاً على قلب زوجها بعد تقدّمها فـي العمر فجعله هذا الهمّ لا يرى فيها إلا قبح الشكل والمنظر، لذلك كانت الصـورة الكاريكاتوريـة التي رسمها غاية في السخرية. بدت فيها المرأة مخلوقاً عجيباً له أرجل أرنب صغير وساق نعامة طويل ووجه كسلّة المهملات وشفاه مشقوقة كالبعير، وشعرها استحال شيباً أبيضَ ونحرها غـدا كالخشب يَبَساً وخشونة وصدرها كان له صوت خشخشة مزعجة لاعتلاله، عـدا عـن انعـدام النظافة الشخصية لها.

ومثل هذا الهجاء دليلٌ على ما تلاقيه الزوجة أو المرأة من ظلم بعد زوال جمالها وتقدّمها في العمر، يقول الوشاء واصفاً حال المرأة عند أهل العصر "إنّهم في هذا العصر كانوا يجعلـون المرأة بمنزلة الريحانة يَتنعَّمون بنضرتها ويتمتعون بزهرتها حتى إذا جاء أوان جفافـها وحـالت عن حالها في وقت قطافها نبذها الرجل من يده وألقاها وباعدها عن مجلسه وقلاها (٢)"وفي هـذا ظلمٌ بيّن يلحق بالمرأة .

وقد يهجو الشاعر صفات المكر والحقد والخبث في زوجته ، كما فعل ابن المعتز عندمـا هجـا زوجته ابنة بسطام (٣) معرّضاً بأبيها يقول (٤):

دَسَّـسْـت بُنَيَّـة بُسـطام عقَاربَـهَا نحوي ونامت علـى الأضغـان والحَنَـق

---

(١) دعبل الخزاعي - الديوان، ص٨٩-٩٠ خزز: صغير الأرنب. انظر: ابن منظور- اللسان (خزز) جوجو: صوت تقطّع الماء.انظر : ابن منظور- اللسان جأجأ. انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٤٤ .
(٢) الوشاء - الموشى، ص١٧٥.
(٣)محمد عبد المنعم خفاجي – ابن المعتز وتراثه الأدبي ، ص٨٢ . انظر سعد شلبي – ابن المعتز صورة عصره ، ص١٤ .
(٤) ابن المعتز – الديوان ، ص٥٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتـــى كـــأنّي قـــدْ فَزَّعْـــتُ والدّهـــا فـــي المـــهد فـــانقلبت عينـــاه مـــن فَـــرَق

ولعل هذه نتيجة طبيعية لما حدث بينهما من انفصال وطلاق ، إذ نجده يقول فـــي طلاقـــها فـــي موضع أخر من ديوانه [1]:

ونقبّـتُ عرســي بـــالطلاق مصممـــاً وكـــانت حصـــاة بيـــن رجـــل وأخْمصـــي
فأيّـــهْتُ عُذّالـــي وفـــات الـــذي مضـــى وهُنّيـــتُ عَيْشـــاً بعـــد عيـــش منغّـــص

كما هجوا قبح الشكل في الجواري والقيان وتعددت أسباب ذلك عندهم، فنجد البحـــتري في هجائه أملَ جارية الفتح بن خاقان مدفوعاً في بحثه عن قبح الشكل والمنظر برغبته وخوفـــه من ضياع حقوقه التي تحاول الجارية استردادها لمولاها، وتتمثل بالضيّاع التي أقطعه إياها الفتـح من خاقان يقول مخاطباً إبراهيم بن المدبر:[2]

لَتَصْدُقَنّـــي، ومـــا أخْشَـــاك تَكْذِبُنـــي مـــاذا تـــأمّلتَ أو أمّلْـــتَ فـــي أمَـــل
لا يُرْتَضَـــى قَدُّهَـــا عنـــد العِنَـــاق ولاَ يُثْنِـــى علـــى خَدِّهـــا فـــي ســـاعة القُبَـــل
مُدارةُ الخَلْق مـــن عَـــرْض إلـــى قِصَـــر كأنّمـــا دُحْرِجَـــتْ فـــي أخْمَصَـــيْ جُعَـــل

وهجا الشعراء قبح الشكل في المغنيات اللواتي يعد الشكل وجماله أبرز شروطها ودافعهم في ذلك الهجاء كره القبح والرغبة في الجمال، يصوّر الحسين بن الضحّـــاك إحداهـــن بصـــورة كاريكاتورية

لـــها فـــي وجهـــها عُكـــنٌ وثُـــلْـــثَـــا وَجْهـــها ذَقَـــن
وأسْـــنانٌ كريـــش البَّـــط بيـــن أصُولـــها عَفَـــن

ويذكر محقق ديوانه ان هذه المغنية أصبحت اضحوكة الجميع ؛ فكسد سوقها وهربت ولم يعرف لها بعد ذلك خبر .[3]

ويهدف الشعراء من خلال هجاء القبح في المغنيات إلى الإساءة إليهن وتشويه صورتـهن وكساد أسواقهنّ، ونجد مثل هذا الهدف في هجاء ابن الرومي لأكثر من خمس وعشرين مغنيـة ، دافعه في ذلك كرهه للقبح وعشقه للجمال ورغبته في الكمال في كل شيء خاصة في مجال الفـن الذي يحبه .[4] وفي كرهه للقبح انعكاس لجوانب نفسيته التي كواها قبح وجهه ، وحرمها من كـل

---

(١) ابن المعتز – الديوان ، ص٤٣٢ .
(٢) البحتري - الديوان، حـ٣، ص١٦٤٤-ص١٦٤٥ .
(٣) الحسين بن الضحاك- أشعار الخليج، ص١٠٩ . انظر علي هاشم – الأندية الأدبية ، ص٢٧٦ ، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٣١ .
(٤) عبد الحميد جيدة – الهجاء عند ابن الرومي ، ص١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميل رغبت به في حياته من نساء ومال وكانت شنظف أكثر هؤلاء المغنيات جلداً بسياط هجائه لذلك جعلها رمزاً للقبح كلّه يقول:(١)

مَنْظَـــرٌ لا يَـــرُوقُ عَيْـــــ ... ـــاً وإنْ كـــــان يَطْـــــرُف
كـــــان للحُسْـــــن يُوْسُـــــف ... وهـــــي للقُبْـــــح يُوْسُـــــف
يَضَـــــعُ الشَّـــــتْمَ قُبْحُـــــها ... وهـــــي بالشَّـــــتم تَشْـــــرُف

وقد بدا الشاعر طريفاً في جعلها يوسفَ القبح بدل من يوسف الجمال والحسن عادةً وفضلاً عن قبح الشكل والمنظر هجا الشعراء في المغنيات سوء الغناء وقبح الصوت وذلك في بحثهم عن الجمال المتكامل في الشكل والفن والغناء والعزف والتأثير الساحر على النفس.

وهجا ابن المعتز مثل هذا القبح في صوت دبسية من خلال صور كاريكاتورية ساخرة رسمها لصوتها وطريقة عزفها ، يقول في إحداها :(٢)

دبســـيّةٌ بالاســـم لكـــن صوتـــها ... كصـــوت حمـــار قطَّـــع النـــهق مُفْحِمـــا
يُلامسُ منـــها الكـــفُ عيـــدانَ مصخـــب ... كنبّـــاش نـــاووس يُقَلِّـــبُ أعظُمـــا

وقد تألم ابن الرومي كثيراً عند سماعه أصوات مغنّيات لا يجـدن الغنـاء ولا يمتلكـن القدرات الخاصة بذلك فيكلفن أنفسهن فوق طاقتها لذلك تَوَجه بهجاء حاد لبعضهنّ محلـلاً قبـح أصواتهن يقول في إحداهن:(٣)

تَضْغَـطُ الصَّـوتَ الـذي تشـدو بـــه ... غُصَّـــةٌ فـــي حَلْقِـــها مُعْتَرِضَـــه
فـــإذا غنّـــتْ بـــدا فـــي جِيْدِهـــا ... كُـــلُّ عِـــرْق مِثْـــلُ بَيْـــتِ الأَرْضَـــه
وتُحِيْـــلُ الظَّـــاءَ ضَـــاداً فـــإذا ... هـــي قـــالت عِظَـــة قـــالت عِضَـــه

ولمّا استشعر ابن الرومي قبح صوت المغنية حاول أن يجد مبررات هذا القبـح معتمـداً على ما يملك من حِسٍّ دقيق ومرهف للأصوات والغناء وعقلية مدّربة على التحليل والاسـتنتاج لتكون المحصّلة النهائية أنّ المغنّية لا تصلح للغناء لأنها لا تملك القدرات اللازمة لذلك كسـلامة النطق ووضوح مخارج الحروف، سلامة الأوتار الصوتية ومرونتها، وجاءت هذه الأحكام مـن خلال الصورة الكاريكاتورية التي رسمها(٤).

---

(١) ابن الرومي - الديوان، حـ٤، ص١٦١٨.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٦٣٠.
(٣)ابن الرومي – الديوان ، حـ٤، ص١٤٠٨
(٤) عبد الحميد جيدة – الهجاء عند ابن الرومي ، ص٣٨٥. انظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترتبَّ على قبح الصوت ما ساءهم من تأثير رديء على أنفسهم وأرواحهم، فأبو علي البصير تملّكه شعور غريب بالاكتئاب والحزن وهو في مجلس غناء لسوء أداء تلك المغنية حتىَّ ظنَّ غناءها نحيباً ومجلسها مجلس عَزاءٍ يقول:(١)

غناؤك عندي يُميتُ الطَّرَب ... وضَرْبُك بالعُوْد يُحْيي الكُرَب
ولم أرَ قبلك من قَيْنَةٍ ... تُغَنِّي فأحْسَبُها تَنْتَحِب

ويصف ابن المعتز ما حل به عند سماعه غناء دبسية الرديء يقول:(٢)

دبسيّة الاسم لكنَ صوتها صوت عِيرْ ..... أمْرَضتِ قلبي فما أن يُطيقُ خدمةَ دَيرْ

وفي مجلس آخر حاول ابن الرومي أن يصوّر ما انتابه وأطفاله الصغار من فزع وما اعتراهم من سهر وقلق وهم بسبب سوء غناء إحداهن وقبح صوتها. يقول:(٣)

بتُّ وباتَ الصِّبْيانُ في أرَقٍ ... من بُحَّةٍ لم تزل تُفَزِّعُنا
يَبكَون من خوفها ويُسْهِرُني ... بُكَاؤهم فالبَلاءُ يَجْمَعُنا
نَحْتَالُ للنَّوم كي يواتينا ... بكلِّ شيء وليس يَنْفَعُنَا
لا حَفِظَ اللهُ تلك مُسْمِعَةً ... ما يكرهُ السَّامعون تُسْمِعُنَا

ويبدو صوت المغنية عالياً ومُفزعاً بحيث وصل إلى منزل الشاعر فأفزع أطفاله.

وكانعكاس للحياة السياسية هجا الشعراء القهرمانات وغيرهن ممن تدخلن في أعمال الدولة ودواوينها في ظلِّ ازدياد سلطة المرأة السياسية في هذا العصر. فقد هجا الوزير علي بن عيسى أم موسى وفاطمة قهرمانتي المقتدر على إسرافهنَّ في تبذير أموال الخلافة وتدبير شؤون القصر يقول:

إنَّ بيتاً تربُّه ... أم موسى وفاطمة
لَجَديرٌ أن ترى ... ربَّةَ البيت لاطمة

فلمّا بلغت الأبيات المقتدر نفاه إلى مكة لعظم مكانة القهرمانتين عنده.(٤)

---

(١) ابن الشجري - الحماسة ، حـ٢، ص٨٨١.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٣٠٧.
(٣) ابن الرومي – الديوان ، حـ٤، ص١٥٤٣.
(٤) ابن الوردي - تاريخه ص٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعل ابن بسام هجاءه عاماً لكل امرأة عملت في مهن إدارية لأنه عمل لا يليق بها وإنَّما هو للرجال يقول:[١]

مـــــا للنســـــاء وللكتـــــــا ... بـــــه والعمالـــــــة والخطابـــــة
هـــذا لنـــــا ولـــــهنَّ منـــــــ ... ـنـــــا أن يبتـــــنَ علـــــى .....

وهذا يظهر نوعية الأعمال الإدارية التي أقبلت عيها المرأة .

ويمكن أن نعد ما قيل في المرأة من هجاء ، إنما جاء يعكس حالة الضيق والتوتر التـي يعيشـها الشعراء في حياتهم سواء على الصعيد الشخصي أم الاجتماعي العام "لأن فيه سخط واضح فـي التعبير عن قيمة المرأة في المجتمع"[٢]

شعر الفخر والعتاب والشكوى:

كثر فخر الشعراء بأنفسهم وأهليهم وكرمهم وأكدّوا رغبتهم في الوصول إلى المجد، وجاء الفخر بالأم باباً طرقه بعض الشعراء في معرض فخرهم بأنفسهم وقدراتهم العالية، يفتخـر ابـن المعتز بنفسه ويقول:[٣]

أبَـرُ علـى الأعـداء منـي ابـنُ حُـرَّة ... جَـريٌّ علـى الشَّـحناء عَـفُّ المَسَـالك

ويفتخر علي بن عيسى بأمّه الحرة التي ربته على الصبر والفضائل والقيم العليا يقول:[٤]

و مـن يـكُ عنـي سَـائلاً لشـماتةٍ ... لمـا نَـابَنِي أو شَـامتاً غـير سـائل
فقد أبْرزت منـي الخطـوب ابـنَ حُـرَّة ... صَبُـوراً علـى أهـوال تلـك الـزَّلازل

وافتخر بعضهم بزوجته الجميلة المترفة التي تحبه وتخشى عليه الخطر كما فعل محمد بن صـالح العلوي في حديثه عن حمدونة زوجته يقول:[٥]

لعمـر حَمْدونَـةَ إنَّـي بـها ... لمُغْـرَمُ القَلْـب طَويـلُ السَّـقام
مُجـاوزٌ للقَـدْر فـي حُبِّـها ... مُبَـاينٌ فيـها لأهـل المَـلاَم
جشـمني ذلـك وَجْـدي بـها ... وفَضْلـها بيـن النِّسـاء الوسـام
زيَنـها اللهُ ومـا شَـانَها ... وأُعطيـتْ فِتْنَتَـها مـن تمـام

---

(١) الحصري - محاضرات الأدباء، حـ١، ص٩٩.
(٢) عبد اللطيف الراوي – المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع ، ص١٨٥ .
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٥٣٤.
(٤) الحموي - معجم الأدباء، حـ٦، ص١٨٢٤.
(٥) الأصفهاني – مقاتل الطالبيين، ص٦٠٤. أنظر الأصفهاني – الأغاني ، ج١٦ ، ص ٥١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح لنا من استقراء شعر الفخر أن الشعراء لم يتجهوا إلى الفخر بالنساء فخراً خالصاً .

وسادت صورة الزوجة شعر اللوم والعتاب إذ بدت عاقلة تقدّر عواقب الأمور تسعى إلى تجنيب زوجها أخطار عناده بنصحه ولومه وعتابه يقول علي بن الجهم:(١)

أقِلِّي فإنَّ اللَّومَ أشْكَلَ واضِحُهُ ... وكم من فَصيحٍ لا تُمِلُّ نصائحُهُ
على م قَعَدت القُرْفُصَي تَعْذُليننِي ... كأنّي جانٍ كلَّ ذنبٍ وجارحُهُ
متى هانَ حُرٌّ لم يُرِقْ ماءَ وَجْهِهِ ... ولم تُختَبرْ يوماً بردِّ صَفَائحُهُ
سأصْبرُ حتى يعلمَ الصَّبْرُ أنّني ... أخوهُ الذي تُطْوى عليه جوانحُهُ
فأُخلصُ مَدْحي للذي إن دَعَوتُه ... أجَابَ وإلاّ أسْعَدَتني مدائحُهُ

فقد لامت الزوجة الشاعر على آرائه فيمن يمدح ويرجو عطاءه لأنها تخشى عليه عواقب مثل هذه الأفكار لكن الشاعر يعمل على طمأنتها باختياره المناسب ، وتبدو الزوجة هنا وسيلة لعرض آراء الشاعر .

كما بدت الزوجة حريصةً على مال زوجها، تلومه على إسرافه وتبذيره، ونجد ذلك في رد دعبل الخزاعي على زوجتهِ (سَلامة) التي عذلته على إسرافه فيقول:(٢)

قالتْ سَلامةُ أين المالُ؟ قلتُ لها ... المَالُ -ويحكِ- لاقى الحَمْدَ فاصْطَحَبا
الحَمْدُ فَرَّقَ مالي في الحُقُوقِ فما ... أبْقينَ ذَمّاً ولا أبْقَيْنَ لي نَشَبا
قالت سَلامة دع هذي اللُّبونَ لنا ... لصِبْيَةٍ مثل أفْراخ القَطا زُغُبا

وجعل الشاعر المال يحقق أهدافه التي يسعى إليها من المجد والحمد بعد أن تناسى واجباته الأسرية نحو أبنائه وهو أمر لم تغفله الزوجة في لومها وعتابها حتى أنّها منعته ذبح الشاة الوحيدة المتبقية لديهم. ومثل هذا الموقف يعكر أجواء الوئام والصفاء بين الزوجين لأنَّ أحدهما ينفق أمواله في وجوهٍ لا يرضاها الطَّرف الآخر(٣)

كما حدث مع أبي العيناء وزوجته:(٤)

وعَاذلةٍ هَبَّتْ بليْلٍ تَلُومُني ... ولم يَعْتَمِر في قبل ذاك عَذولُ
ألم تعلمي يا عَمْرَك الله أنَّني ... كَريمٌ على حِيْن الكرامُ قليلُ

---

(١) علي بن الجهم - الديوان، ص٨٥.
(٢) دعبل الخزاعي - الديوان، ص١٣.
(٣) أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٢٧-٣٠
(٤) الحموي - معجم الأدباء حـ٦، ص٢٦١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحتى الثريات عمدن إليه وعذلن أزواجهنّ على كثرة الإنفاق، يرد الخليفة الراضي على عذل ولوم إحداهن يقول:(١)

قامَتْ تَلُومُ على بَذْل النَّوال ولي ... به ولُوعٌ فَقُلْتُ اللَّوم في الباقي
لا تجزعِي أن تَري بي فاقةً أبداً ... فمن خزائن ربّ العَرْش انفاقي

ولا يعني موقف المرأة هذا حبَّها للمال ورغبتها في اختزانه بقدر ما يقلقها نفاذه ويسبب خوفها من الفقر والأيام وانقلابها وما تخفيه السنون من حوادث.

وشكا الشعراء همومهم وما يعتريهم من قلق وهَمٍّ وخوف على البنات ومصائرهن، وما قد يتعرضن له من مشاكل الأصهار والأزواج. وتتجلى في شكواهم بعض المعتقدات والرواسب الجاهلية التي ترى أنّ السبيل للقضاء على هذه الشكوى هو موت البنات يقول عبيدالله بن عبدالله ابن طاهر:(٢)

لكلِّ أبي أُنثى إذا ما ترعرعتْ ... ثلاثةُ أصْهار إذا ذُكِرَ الصِّهْرْ
فأُمٌّ تراعيها وبَعْلٌ يصونُها ... وقبر يواريها وخيرُهم القبرْ

وشكا الشعراء عدم محافظة البنات على نقاء الأصول والأحساب لأن بزواجهن ممن هم أقل حسباً ونسباً يمزجن أصولهن الكريمة ويبثثن دماءً جديدة في عروقهم وفي موتهن حفاظٌ على نقاء الدماء. يقول ابن المعتز:(٣)

وبكْر قلت موتي قَبْلَ بَعْل ... وإنْ أُثري وَعدَّ من الصَّميم
أأمزج باللِّئام دمي ولحمي ... فما عُذري إلى النَّسب الكريم

ويأتي جزء من شكواهم البنات بسبب الفقر، إذ يخشى عليهن الفقر والإهانة والذل إذا ما تركن وحيدات دون معيل بعد وفاة معيلهنّ. ويظهر هذا في شكوى اسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب عن أميمة ربيبته ابنة أخته:(٤)

لولا أُميمةُ لم أجْزَعْ من العَدَم ... ولم أُقاس الدُّجى في حَنْدس الظُّلَم
وزادني رغبةً في العيش معرفتي ... ذُلَّ اليتيمة يَجْفُوها ذوو الرَّحم
أُحاذرُ الفقرَ يوماً أن يُلِمَّ بها ... فيكشفَ السِّتْرَ عن لَحْم وعن وضم

---

(١) الوطواط - غرر الخصائص، ص٨٤.
(٢) ابن داود الأصفهاني- الزهرة، حـ١، ص٥٥٣.
(٣) الأصفهاني - الأغاني ، حـ١٠، ص٤٣٩
(٤) الحصري – زهر الآداب حـ١، ص٥٣٠. انظر ابن داود الأصفهاني – الزهرة ، ج٢ ، ص٦٦١ ، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــهوى حيـــاتي وأهـــوى موتـــها شـــغفاً والمـــوتُ أكـــرمُ نـــزّال علـــى الحُـــــرم

فخوفه على وحيدته أقضَّ مضجعه إذ ازداد بتقدّم عمره وقلة حيلته وفقره ومعرفته مـــا يواجـــه اليتيمة من ذل وإهانة على يد أقاربها؛ فكان موتها سبيلاً للتخلص من همومه؛ لذا نجده يقول بعـد موتها [١]:

فـــالأن نِمْـــتُ فـــــلا هَـــمٌّ يُؤرِّقُنـــــي تَـــهْدا العُيُـــونُ إذا مـــــا أُوْدت الحُـــرمُ
فـــالآن نِمْـــتُ فـــــلا هَـــمٌّ يُؤَرِّقُنـــــي بعـــد الـــــهُدُوء ولا وَجْـــدٌ ولا حُلُـــمْ

وحاول بعضهم أن يجعل البنات وسيلة اجتماعية لرفض الفقر والتغلب عليه بكل طريقـــة ممكنة فسلك بعضهم سبيل الكدية كما فعل أبو فرعون الساسي[٢] ببناتـــه، فقـــد روى المـــبرد أنّ الساسي اعتاد الكدية هو وبناته أثناء مرورهم بسكنة العطارين حيث كان يقول:

بُـــنَـــيَّـــتَـــــيّ صَـــــابِرَا أباكمـــــا إنَّكمـــا بعيـــــن مـــــن يرَاكمـــــا
اللهُ ربـــــي وحـــــده مَوْلاكمـــــا ولـــــو يَشَـــــاءُ أغْنَاكمـــــا[٣]

شعر الرثاء والتعزية :

وفي رثاء المرأة والتعزية عن موتها لم تخرج المناسبة عـــن كونـــها مديحـــاً للمعـــزى ومشاركة له في أحزانه عليها وأحياناً تهنئةً له بموتها. ويرى بعض النقاد أن في رثـــاء المـــرأة صعوبة لضيق الكلام فيها وقلة الصفات[٤]، وكانت الأم أكثر النساء رثاءً وتعزية لعظم مكانتها في النفوس ولدورها الكبير في الحياة ولفضائلها وأعمالها ، لكننا لم نحظ لها مـــن شـــعر الرثـــاء إلا بقصيدة واحدة لابن الرومي ، وهو أمر يثير الدهشة ، فلا يعقل ألا يقوم شاعر غيره برثاء أعـــز الناس إليه أمه وإن وجد ربما لم يصلنا .

ويعدُّ ابن الرومي أشهر من بكى أمه من شعراء العصر، فعبَّر عن حبّه وتقديره وآلامـــه بوفاتها، ورأى أنَّ الدموع وحدها لا تفيها حقَّها يقول:[٥]

أفِيْضَـــا دَمَـــاً إنَّ الرَّزايـــا لـــــها قِيَـــم فليـــسَ كثـــيراً أن تجـــودا لـــــها بـــدم

---

(١) الحصري – زهر الآداب ، ج١، ص٥٣٠.
(٢) أبو فرعون الساسي من أفصح الناس وأجودهم شعرا وأكثرهم نادرة، لا يصبر عن الكدية والكذب، ظلّ طـوال حياته فقيراً يسأل الناس . انظر : ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص١٧٨.
(٣) المبرد - الكامل في اللغة والأدب، حـ١، ص٣٥٥.
(٤) ابن رشيق - العمدة حـ٢، ص١٥٤.
(٥) ابن الرومي - الديوان، حـ٦، ص٢٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبَّر بكاؤه عن حزنه الشديد لفقْد أمٍّ عظيمة ويقول:[١]

أقـولُ وقـد قـالُوا أتبكـي كفَـقْـدِ ... رضَاعاً وأين الكَهْلُ مـن رَاضِـعِ الحِلْـمِ؟
هـي الأمُّ يـا للنَّـاس جُرِّعـتُ ثكْلَـها ... ومـن يَبْـكِ أُمَّـاً لـم تُـذَمْ قـطُّ لا يُـذَم
وإنّـي لـم أيْتَـمْ صَغِـيْراً وإننّـي ... يَتِمْـتُ كبـيراً وأسْـوَأُ اليُتْـم واليَتَـم

وهذا يعني أنَّ المرارة التي يحملها البكاء إنما جاءت من حالة الشاعر ونفسيته التي ذاقت اليتم مرتين: في صغره عندما فقد والده لكنه لم يشعر بذلك لأنَّ هناك من عَوَّضه عطف الأب ورعايته وبرّ الأخ والصَّديق. لذلك كان يتمه في المرة الثانية أشدَّ إيلاماً وأصعب وقعاً، عاشه وحيداً في سن متقدمة دون أن يشاركه أحدٌ مأساته أو يعوضه ما فقده ؛ لذلك كرر كلمة اليتم أربع مرات لما لها من وقع شديد في نفسه ؛ فكان بذلك حزنه وبكاؤه من نوعٍ خاص[٢] . وحرص الشاعر على بكاء فضائل الأم وصفاتها التي لم تخرج عن دوائر الإيمان من صلاح وفضل وتقوى وبر وعطف يقول:[٣]

لقـد فُجعَـتْ مِنـك الليـالي نفوسُـها ... بمُحْيِيَـةِ الأسْـحَار حَافِظَـةِ العتْـم
ولـم تخطِـئْ الأيـامُ فيـك فجيعـةً ... بصَوامَـةٍ فيـهنَّ طيّبـة الطَّعْـم
وفـات بـك الأيْتـامَ حِصْـنُ كِنَافـةٍ ... دفـيءٌ عليـهم ليلـةَ القَـرِّ والشَّـبم
رجَعْنـا وأفْرَدْنـاك غـيرَ فَريـدة ... مـن البِّر والمعـروف والخـير والكـرم

وعاش الشاعر كل هذه الفضائل فيما قدمته من أدوار في حياته سواء أكانت تقليدية كأدوار الأمومة من حمل وولادة ورضاعة أم غير تقليدية كدور الصديق الوفي والقلب الكبير الذي كان مرفأ الشاعر الدائم في مصاعبه وهمومه لذلك بكاها بحرقة يقول [٤] :

أحـاملتي أصبحـتِ حمْـلاً لحُفْـرة ... إذا حَمَلـتْ يومـاً فليـس لـها قَتَـمْ
أمرضعتـي أسْـترضعَ الغيـثُ درّةً ... لرمسـك بـل اسـتغزرُ الدمـعَ ماسـجمْ
ألا مـن أراه صاحبـاً غـير خـائن ... ألا مـن أراه مُؤنسـاً غـير مُحْتَشِـمْ
ألا مـن أليـه أشـتكي مـا ينوبنـي ... فَيُفـرجُ عنـي كـل غَـمٍّ وكـل هَـمْ

ولما شعر ابن الرومي بعجزه عن احتمال كل هذه الآلام نجده قد أسبغ ذلك على الطبيعة من حوله ، فشاركته بكاءها والحزن عليها يقول [٥] :

وأظلمـتِ الدنيـا وبـاخَ ضياؤهـا ... نهاراً وشمسُ الصَّحو حَـيْرى علـى القِمَـمْ

---

(١) المصدر نفسه، حـ٦، ص٢٣٠٠-٢٣٠١.
(٢) محمد حَوّر – رثاء الأم في الشعر العربي، ص١٧. انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٦٨ .
(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ٦، ص٢٣١٢
(٤)ابن الرومي – الديوان ، ج٦ ن ص٢٣٠١-٢٣٠٨ انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٦٧-٦٩
(٥)المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٣٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وناحت عليك الريحُ عَبْرى وأصبحت لَدُنْ عَدِمت ريّاك تجري فلا تُشَمْ

ولعل مثل هذا التجاوب بين الطبيعة والشاعر كان مدخلاً للمبالغة بعض الشيء في تصوير مدى آلامه بوفاة والدته ، وهو أمر لم يغفل عنه الدارسون لهذه المرثاة ، مماجعلهم يرون أن الهدف الأساسي منها لم يكن الحزن الشديد على الأم ، بل الرغبة في بحث موضوع الموت والعظة والعبرة والتأسي بمصائب الأخرين [١] ؛ لأن الأبيات التي ورد فيها ذكر الأم لا تتعدى ستاً وثلاثين بيتاً من مجموع مئتين وأربعة أبيات خصصها للحديث عن الدهر وفلسفة الحياة التي لم تؤته ما أراد ، ضمن مواقف نواحٍ حزين يستدر عطفها عليه ، ترد فيها تفصيلات وجزئيات كثيرة لصورة الحياة والموت [٢] ولكن في الوقت نفسه لاننكر أن الشرارة التي اطلقت العنان لخلق هذه المرثاة كانت فقدان والدته وحزنه الشديد عليها . مما يعني ان المرأة بحياتها ومماتها كانت مصدراً لالهام الشاعر .

وبكى بعض الشعراء البنت على الرغمّ من أنهم جعلوها مصدراً للشكوى فإنها استحقت البكاء لكنّ جلاله لم يكن كجلال البكاء في صورة الأم، ونجد هذا في بكاء ابن اسحاق المعروف بابن الطبيب ربيبته أميمة التي تمنّى موتها في شكواه الفقر سابقاً يقول:[٣]

أمْسَتْ أُمَيْمَةُ مَغْمُوراً بها الرَّجَمُ لدى صَعِيْدٍ عليه التُّربُ مُرْتَكِمْ
يا شَقَّةَ النَّفْس إنَّ النَّفْسَ والهةٌ حرّى عليك ودَمْعُ العَيْن مُنْسَجِمْ
للموت عندي أياد لستُ أُنْكِرُها أحْيَا سُرُوْراً وبي مما أتى ألَمْ

وجاء هذا البكاء نتيجة محبة صادقة للبنت وحزنٍ أليم على فراقها الذي جاء أحياناً لمصلحة الشاعر. وبكى الشعراء الزوجة المتوفية بعد حياة زوجية طويلة عاشوها بسعادة وهناء، وخير من يصوّر هذا الرثاء عبيد الله بن عبدالله بن طاهر الذي بكى زوجته (شاجي) الحبيبة بعد حياة حافلة بالحب والعطاء دامت طويلاً، كان يرجو أن يموت قبلها فلما ماتت قبله بكاها قائلاً:[٤]

فَيَا عَجَباً مني ومن رَعَيْتُهُ بأوْكَدِ أسْبَاب الهوى ورعاني
وكُنْتُ أُرَجِّي أن أكُوْنَ فِدَاءَه فلما أتى وَقْتُ الحِمَام فَدَاني

يقول جعفر بن قدامة: حضرت جنازة شاجي فلما انصرفنا دخلتُ مع عبيد الله مساعدا له ومؤنساً، وهو مطرق ودموعه تجري على خديه. فلم أر باكياً أحسن منه، ثم رفع رأسه وأقبل

(١)محمد حور – رثاء الأم في الشعر العربي ، ص١٤-١٥ .
(٢)أحمد علي – اثر النزعة العقلية في الشعر العباسي ، ص١١٧ .
(٣) الحصري زهر الآداب، حـ١، ص٥٣٠.
(٤) الشابشتي - الديارات، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علينا فقال:[١]

يَمِيْنـاً بـــأني لـــو بُلِيـــتُ بفَقْدِهـــا ... وبـــي نَبْـضُ عِـرق للحيـــاة وللنَّكْـــس
لأوشـكْتُ قَتْـلَ النَّفْـس عنـــد فِراقِـــها ... ولكنَّـــها مـــاتتْ وقـــد ذَهبـــتْ نَفْسِـــي

وظلَّ يبكيها بحرقة ويزور قبرها، وقد ذكر ذلك الموقف يقول:[٢]

مـــن زار دَارَ أحبَّـــةٍ لحياتـــهم ... ولمّـــا يُؤَمِّـــل مـــن لقَـــاء يُقْـــدرُ
فَلْيَـــأْت دارَ أحبَّـــةٍ سَـــكَنوا البلَـــى ... كَرَمـــاً وحِفْظَـــاً واللّقَـــاءُ المُحْشَـــرُ

وحاول بعضهم أن يجعل البكاء من نصيب عينيه تعبيراً عن ما ستخسرانه من رؤيتها أمّا نصيـب القلب فهو باقٍ كما فعل ابن الرومي في رثاء زوجته يقول:[٣]

أعينـــيَّ جُـــودا بـــالدُّموع لفَقْدِهـــا ... فمـــا بَعْدَهـــا ذُخْـــرٌ مـــن الدَّمْـــع مذْخُـــورُ
نَصِيبُكمـــا منـــها الـــذي فـــات فابكيـــا ... فأمّـــا نَصِيْـــبُ القَلْـــب منـــها فَموفُـــورُ

وقد أراد الشاعر التعبير عن مدى حبّه ووفائه لزوجته فجعل كل عضو في جسمه يبكي هذه الزوجة وبالغ أحياناً في بكائه .

كما فعل ابن الرومي إذ يقول:[٤]

عينـــيَّ جُـــودا علـــى حبيبكمـــا ... بالسَّـــجْل فالسَّـــجلُ مـــن صبيبكمـــا
لا تَجْمـــدَا لات حيـــن مَعْـــذِرَة ... مـــا لـــم تَذُوبَـــا لمُسْـــتذيبكما
فاسْـــتَغْزِرَا درَّة السُـــوَّال علـــى ... بَـــذْر كمـــا بَـــلَّ قضيبكمـــا
فاسْـــتَكْفِيَا أن يكـــون غيرُكمـــا ... أبكـــى لمـــا مـــات مـــن نصيبكمـــا

ففكرة غياب المرأة من أمام عينيه ألحت كثيراً على أفكـاره لذلـك جـاء بكـاؤه يحمـل مضمونها؛ فجعل الدموع تعبيراً عن خسارة العيون وما سيفوتها من رؤية لها.

وإن حاول ابن الرومي أحياناً أن يتميّز عن بقية الشعراء في عصره في طبيعة أحزانه على زوجته المتوفية فلم يبك عليها لا لأنّها لا تستحق ذلك وإنما حتى يبقى مُحْتفظاً بحرارة حزنه وحرقة قلبه °، فهو لا يسعى إلى الشفاء أو الراحة مما أصابه بعدها يقول:[٦]

---

(١) المصدر نفسه، ص١١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.
(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص١١٣٨.
(٤) المصدر نفسه، حـ٥، ص٢١٣٠، السجل: الدلو الضخمة المملوءة ماء . ابن منظور - اللسان، مادة سجل.
(٥) أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص١٤.
(٦) ابن الرومي – الديوان ، حـ١، ص٧٩-٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عينـــيَّ شُـــحَّا ولا تَسُحَّـــــا ... جَـــلَّ مُصَـــابي عـــن البُكـــاء
تركككمـــا الـــدَّاءَ مُسْـــتكِنّاً ... أصـــدقُ عـــن صحـــةِ الوفـــاء
إنَّ الأسَـــى والبُكـــاءَ قِدْمـــاً ... أمْـــرَان كـــالداء والـــدّواء
ومـــا ابْتِغَـــاءُ الـــدَّواء إلاَّ ... بُغْيَـــا سَـــبيلٍ إلـــى البقَـــاء
ومُبْتغِـــي العيْـــش بعـــد خِـــلٍّ ... كاذبُـــهُ خُلَّـــةُ الصَّفَـــاء

فالدموع دواء لداء الحزن وطلبها يعني الرغبة في الشفاء من هذا الداء ومن ثَـم البقـاء وهذا ما لا يريده الشاعر لأنه يتنافى مع خلة الوفاء لزوجته .

ومع أنَّ الشعراء بكوا زوجاتهم وأكدوا في رثائهم مدى حبِّهم وإخلاصهم لهنَّ؛ فإننا نجـد تقبّلاً منهم لحلول المرأة في القبر ولعل السبب إيمانهم بوجود لقاء آخر معـها، مـع إمكانيـة أن يتخيلوا جمالها وما حَلَّ به كلما سنحت الفرصة بزيارة قبرها ونجد ذلك في قول عبيـد الله بـن طاهر:(١)

وقَفْتُ علـــى الأحْبَـــابِ والـــتُّرْبُ دونـــهم ... بِنَفْسِـــي وجـــوهٌ تحـــت تلـــك المقَـــابر
ومُثِّل لي مـــا نـــال مـــن حُسْـــنِها البِلَـــى ... فســـبحانَ ربٍّ عـــالمٍ بالسَّـــرائر

كما رأى الشعراء أنَّ جمال زوجاتهم خالدٌ في نفوسهم وقلوبهم ومهما نال القبر والمـوت منه سيبقى خالداً كما هي الحال في جمال شاجي الذي مُثِّل لعبيد الله.

ورثى بعضهم خالته لفرط محبتها ورغبة في مشاركة الأم أحزانها عليها، كما في رثـاء ابن الرومي خالته التي كان لها أيادٍ بيضاء عليه وعلى أمه يقول:(٢)

أرَانـــي وأُمّـــي بعـــد فَقْـــدانِ أُخْتِـــها ... وإنْ كُنْـــتُ فـــي رفَـــةٍ بـــها وصـــلاح
كَـــفَرخ قطـــاةِ الـــدَّوِّ بـــان جناحُـــها ... فبـــات إلـــى حصـــنٍ بغـــيرِ جنـــاح

ويرسم الشاعر صورة يائسة لحاله وحال والدته بعد وفاة الخالة.

وفي رثاء الجواري يعكس الشعراء مدى الإعجاب الذي يحظين به والمكانة التي نلنها في المجتمع خاصة الجواري اللواتي خلدت المراثي أسماءهن على مدى التاريخ.

وفي رثائهن برز البكاء لكنه لم يكن لفضلهن كالأم ولا لمودتهنَّ ما وفرنـه مـن حيـاة زوجية سعيدة كالزوجة؛ وإنما لدورهن في توفير فرص اللهو والمتعة والأنس ضمن علاقاتـين

(١) الشابشتي - الديارات، ص١١٦.
(٢) ابن الرومي - الديوان، حـ٢، ص٥٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأبناء العصر، وهي علاقات لا تتعدى أدوار الترفيه عنهم[١] مما له أثر كبير في بكائهن لا سيّما عند الخلفاء الذين رثوا جواريهم المحبوبات مثل الخليفة المعتضد الذي رثى جاريته المحبوبة (دُرَيْرَةُ) وأيام سعادته معها يقول:[٢]

يا حَبِيْبَاً لم يَكُنْ يَعْـ ... ـدِلُهُ عندي حَبِيب
أنتَ عن عيني بَعِيدٌ ... ومن القلب قَرِيب
ليس لي بَعْدَكَ في شِـ ... ـيء من اللهو نَصِيب
لو تراني كيفَ لي بَعْـ ... ـدَكَ عَولٌ ونَحِيب
وفؤادي حَشْوُهُ مِن ... حَرق الحُزن لَهِيب

فهو يبكي جاريته لا لشخصها ؛ وإنما لما كانت توفره له من أصناف اللهو والمتعة التي شكّلت سروره وسعادته ، فهو يبكي لذاته التي كانت توفرها ؛ فكان موت جاريته سبباً في تلاشي سعادته وزوال سروره وكثرة أحزانه.

ولام بعضهم الدّهر والموت الذي سرق جاريته المحبوبة كما فعل ابن المعتز في رثائه إحدى جواريه[٣]:

يا دَهْرُ كيف شَفَعْتَ نَفْساً ... فخلَسْتَ منها النَّفْسَ خَلْسَا
وتركتَ نَفْساً للأسَى ... جَعَلَ البَقَاءَ عليه نَحْسَا
سَقْياً لَوَجْهِ حبيبةٍ ... أودعتها كَفَناً ورَمْسَا
عهدي به وكأنما ... ذرَّ الحِمامُ عليه ورْسَا
ثم انطلقنا مسرعين ... إلى القبور نزفُ شمسَا

وفي شكوى الدّهر تعلّق واضح بالمحبوبة الجارية وجمالها الذي تلاشى وأودع القبر ، فأمسى مصدراً للجمال والطيب ، كما يظهر في رؤية أبي عثمان الناجم لجمال عُجاب الجارية التي يرثيها قائلاً[٤] :

أضحى الثرى بجوارها ... عطر المسالك والمسارب
حلّتْ حفيرتها حلو.... ... ل المسك في سرر الكواعب
يا دُرَّةً كانت تضيـ.... ... ءُ لناظري من كل جانب

(١) واجدة الأطرقجي – المراة في الأدب العباسي ، ص٢١٣.
(٢) السيوطي - تاريخ الخلفاء، ص٤٤٠.
(٣) ابن المعتز - الديوان، ص٤١٦.
(٤)الحصري – جمع الجواهر ، ص١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا في رثاء المغنيّات فيركز الشعراء على بكاء الجمال بنوعيه: جمال الشكل والمنظر وجمال الصوت والغناء والحضور إضافة إلى رثاء أدوار الترفيه واللهو التي يوفرنها.

وتعدُّ مرثاة ابن الرومي للمغنيّة (بُستَان) نموذجاً في هذا المجال، إذ بكى الشاعر فيها نفسه وخسارتها بموت هذه المغنية، وبكى جمالها ومعاني الظرف والبراعة عندها، وآيات العفة والنبل فيها وذلك في قصيدة تُعد من أطول القصائد في ديوانه. نقطف منها رثاءه لصفاتها وفضائلها وجمالها ويقول[١]:

عَسِيْرَةُ البَذْلِ غَيْرُ خَالِيَةٍ ... مِن خُلْقٍ يَخْدَعُ الرِّضا يَسِر
لَم تُخْلُ مِن مَنْظَرٍ تُشَوِّقُهُ ... ومِن عَفَافٍ يَفِي بمُسْتَتَر
ما بَرَزَتْ للخَنَا ولا اسْتَترتْ ... مِن عَجْرٍ شانها ولا بَجَر
رَثَيْتُ فيكِ صبيٌ تكنَّفَ ... عَفَافَ سِرٍّ وحُسْنَ مُجْتَهَر

وكان بكاؤه على ما وفّرته من أسباب اللهو وأدوار المتعة حاراً يحرق أحشاءه يقول:[٢]

بُسْتَانُ يا حَسْرَتا على زَهْرٍ ... فِيكِ مِنَ اللَّهْوِ بَلْ على ثَمَر
بُسْتَانُ لهفي لحُسْنِ وَجْهِكِ والـ ... إحْسَانِ صارا معاً إلى العَفَر
بُسْتَانُ ما منكِ لامرئٍ عِوَضٌ ... من البساتين لا ولا البَشَر
وغابَ عنَّا السُّرورُ بَعْدَكُمُ ... واحتَضَرَ الهَمُّ حينَ مُحْتَضَر

ففي تكرار اسمها ومزجها في صورة غير تقليدية مع الطبيعة ما يدلُّ على مدى تعلقه بها وحزنه وندمه على ثمرٍ وزهرٍ فيها لم يقطفه. وألمه كثيراً غياب غنائها وموت صوتها الجميل يقول:[٣]

جَذْوى فِيهِ فيهِ لؤلؤٌ وجَنَى ... نَخْلٍ بماءِ السَّحَابِ في النُّقَر
غِناؤه يشتكي حَرَارَتَهُ ... وريقُهُ يَشْتَكي من الخَصَر
كأنَّ داوودَ كانَ يَوْمَئِذٍ ... يتلو زَبُوراً مُلَيِّنَ الزبر

وتتجلى جوانب الإبداع في هذه المرثاة ف كونها خرجت من إطار الرثاء التقليدي إلى إطار البكاء من اجل الحياة ، وهو بكاء ممزوج بالغزل والحب ، قائم على مفارقة بين عالمين مختلفين عالم الموت والصمت وعالم الحياة والأنوثة والغناء ، وهو ما منح القصيدة طولها ، فجاءت في مئة وسبعة وأربعين بيتاً .[٤]

---

(١) ابن الرومي - الديوان، حـ٣ ص٩١٥ الخنا: الفحش. ابن منظور - اللسان، مادة خنو، عَجْر: عظيم البطن. ابن منظور - اللسان، مادة عَجَرَ، بَجْر: خروج السّرة ونتؤها. ابن منظور - اللسان، مادة بَجَر

(٢) المصدر نفسه، جـ٣، ص٩١٨.

(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص٩٢١، الخَصَر :البرد. ابن منظور – اللسان، مادة خَصَرَ.

(٤) راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي ، ص٧٢. انظر حسن الحاج – أعلام في الشعر العباسي ، ص٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء بكاء جمال الصوت وحسن الغناء بكاء من ضيَّع أحد كنوز الجمال وذلك في رثاء الخليفة الراضي إحدى مغنّياته يقول:(١)

وقالوا اصطبِرْ، فالصَّبرُ شيءٌ عَدِمتُهُ ... لفَقْدِيَ صَفْوَ العَيْشِ من مُنْيَةِ النَّفْس
لقد كُنْتِ إن غَنَّيْتِ أغنَيْتِ لَذَّتي ... بصَوْتٍ بَعِيْدِ السَّمْعِ رِبْحَاً بلا وَكْس
أَرَقُّ من الشَّكوى وأحلَى من المُنَى ... وأروعُ من أُفُقٍ وألْطَفُ من حِسّ

ومن الشعراء من رثى المرأة وما تتعرض له من تعذيب نفسي وجسدي في أعقاب الأحداث السياسية العنيفة كالثورات والحروب والفتن.

ومن هؤلاء ابن المعتز في أرجوزته التاريخية التي عُنِيَ فيها بسيرة الخليفة المعتضد، وما ساد فيها من أمن ورفاهية وازدهار حضاري واقتصادي واستقرار سياسي مقارناً بينها وبين ما سبق خلافته من تدهور للأوضاع واختلال للموازين على يد الأتراك الذين سيطروا على مقاليد الأمور بسبب ضعف الخلفاء؛ فتعرضت البلاد على أيديهم إلى أعنف الهزات والثورات ونال المرأة منها الكثير من الظلم والتعذيب يقول:(٢)

وكم فتاة خرجَتْ من مَنْزل ... فَغَصَّبوْها نَفْسَها في المَحْفَل
وفَضَّحُوها عند من يَعْرِفُها ... وصَدَّقوا العَشِيقَ كيف يَقْرِفُها

وهذا بكاءٌ لكرامة المرأة وإنسانيتها التي هدرها الكثيرون، وعرضٌ لبعض الويلات التي تلحق بالمرأة ضحية العنف والهمجية، ويصور ابن الرومي أمثلة أخرى في رثائه مدينة البصرة وما حلَّ بها على يد الزنج سنة ٢٥٧هـ يقول:(٣)

كم فَتَاة بخَاتم اللّه بِكْر ... فَضَحُوها جَهْراً بغير اكْتِتَام
كم فتاة مَصُوْنَةٍ قد سَبُوها ... بارزاً وَجْهُها بغير لثام
من رآهنَّ في المَسَاق سَبَايا ... داميات الوُجُوه للأقدام
من رآهن في المقاسِم وسَطَ الز ... زنج يُقَسَّمْنَ بَيْنَهم بالسِّهام
من رآهنَّ يُتَّخذنَ إماءً ... بعد مُلْكِ الإمَاء والخُدَّام

وبلغت آلام الشاعر ذروتها وهو يشعر بما يحلُّ بحرائر الأمة من همجية ووحشية على يد الزِّنج الذين اقتادوهنَّ أسيرات داميات الوجوه وعَرَضوهن للبيع وسط معسكراتهم بدرهم أو درهمين(١) . بعد حياة الترف والحرّية.

---

(١) الصولي - أخبار الراضي، ص١٧٥-١٧٦.
(٢) ابن المعتز - الديوان،، ص٢٦٣، يقرفها: يَصِمُها بتهمة. ابن منظور - اللسان، مادة قرف.
(٣) ابن الرومي - الديوان،، حـ٦، ص٢٣٧٨-٢٣٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رغب الشاعر من خلال هذه الصور المحزنة للمرأة إلى استنهاض الهمم وشحن الطاقات وتعبئة النفوس لتحريرهن وتطهير الأمة من شرور هذه الفئات.

وكما شارك الشعراء برثاء للمرأة توجهّوا إلى ذويها بالتعزية بقصائد رددوا فيها كل ما يرد من مظاهر في شعر التعزية بشكل عام، إذ بكى الشعراء أمهات الخلفاء والأمراء والأشراف وحرصوا على ذكر فضائلهن وأعمالهن حتى أنهم اضطروا إلى تجهيز الشعر قبل الوفاة ، فقد أورد الأصفهاني رواية عن سلم الخاسر ذكرها له أبو المستهل قال : دخلت يوما على سلم الخاسر وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر وببعضها جارية غير مسماة وببعضها أقواما لم يموتوا وأم جعفر يومئذ باقية فقلت له : ويحك ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد فنعد لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه قديما على أنه قيل في الوقت .[٢]. ومن ذلك تعزية البحتري الخليفة المتوكل بأمه (شَجَاع) التي بكاها قائلاً:[٣]

غُروبُ دَمْع من الأجفان تَنْهَمِلُ وحُرقَةٌ بغَلِيل الحَزْن تَشْتَعِلُ

فهي تستحق البكاء لأنها السّباقة للخير دائماً يقول:[٤]

سَيّدةُ النّاس حقّاً بعد سَيّدِهم ومن لها المُأثَراتُ السُّبَّقُ الأُوَلُ

ولأنّها مربّية فاضلة استطاعت أن تغرس في نفوس أبنائها القيم والمُثل العليا التي تتمناها وتطلبها من الله، كما في تعزية يحيى بن علي المُنجِّم للموفق عن أمّه (إسْحَاق) زوجة المتوكل يقول:[٥]

وما ماتَ من أبقى الأَمْيرَ ومَنْ له من الفَضْل ما يُعْزَى إليها ويُنْسَبُ
تَقَدَّمُها إيّاك بَعْدَ بُلوغِها المُنَى فيك ما كانت من الله تَطْلُبُ
فقد أُعْطِيَتْ في ذا وذلك سُؤْلَها وباتَتْ كما باتَ الحَيَا المُتَحَلِّبُ

وهي فاضلة تقيّة تؤثر أعمال البرّ والإحسان كما في تعزية ابن الرومي الخليفة المعتضد عن أمّه يقول:[٦]

نَعَاء رَاعِيَةِ المَعْرُوف رَعيَّتَهُ لكلِّ عَان بأرض الرُّوم مأْسُور

---

(١) السيوطي - تاريخ الخلفاء، ص٤٣٠.
(٢) الأصفهاني – الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٨٣.
(٣) البحتري - الديوان، حـ٣، ص١٨٨٧. انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٧٥-٧٨.
(٤) المصدر نفسه، حـ٣، ص١٨٨٧.
(٥) السيوطي - المستظرف، ص١١.
(٦) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص١٠٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَوَاطِنُ البرِّ أمْسَتْ وهي موحِشَةٌ منها وأنكَرْنَ عَهْدَ الأُنْس والنُّور

وأمٌ بهذه الفضائل تمنّت كل بقعة في الأرض أن تضمّها لتزيدها طهراً وقدسية يقول:(١)

يا بُقْعَةً قُدِّتْ فيها حَفِيرَتُها لقد خُصِصْتِ بتَقْدِيس وتَطْهير

ودعا الشعراء لها بالرحمة والسُقيا وللمعزى بالصبر والتّعزي، ووسائلهم في هذا كانت التعزي بالدهر وتقلّباته والنبي محمد الذي مات وترك خلفه أمّةً كاملة. ويظهر هذا في دعاء وتعزية البحتري الخليفة المتوكل:(٢)

مَثُوبةُ الله مما فَارَقَتْ عِوَضٌ وجَنَّةُ الخُلْدِ مِمّا خَلَّفَتْ بَدَلُ
عَزَّيتَ نَفْسَك عنها بالنَّبي، وما في الخُلْدِ بعد النَّبيِّ المُصْطَفى أمَلُ
وكيف نَرجُو خُلُوداً لم يُخَصَّ به من قبلنا أنبياءُ اللّه والرُّسُلُ

ونجده كذلك في قول ابن الرومي يعزي عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر عن أمه (٣):

وصَلَّى عليها كلمَّا ذرَّ شَارقٌ وحان غُروبٌ، صاحبُ الصَّلَوات
عزاؤك أنَّ الدَّهرَ ذو فَجَعَات وكُلٌّ جميعٌ صائرٌ لشَتَات

ووجود الدعاء والحث على الصبرُ والتعزي في شعر التعزية يعكس مظهراً اجتماعياً تعوّده الناس في مثل هذه المواقف لأنَّ فيه تخفيفاً من مصاب المعزى وطلبا للأجر ، ورغبة في التقرب إليه وفي التعزية بالبنت والأخت ما يدل على مشاركة الشعراء للأهل أحزانهم بوفاتهنَّ لكنهم لم يحسنوا الطريقة ولا الأسلوب وجعلها بعضهم مناسبة للتهنئة لا العزاء(٤)

إذ عَدّ الشعراء البكاء على البنت أو الأخت منقصةً وعجزاً وأمراً لا يليق بالرجال لأنها غير جديرة بذلك فهي مصدر دائم للهموم والمشاكل كما يرى ابن الرومي في تعزيته عن ابنة المسيّب:(٥)

فلا تَهْلِكَنْ حُزناً على ابنةِ جنَّةٍ غدتْ وهي عند الله تُحْبَى وتُحْبَرُ
لعلَّ الذي أعطاك سِتْرَ حياتِها كَسَاها من اللَّحد الذي هو أسْتَرُ
وكم من أخي حُرِّيَّةٍ قد رأيْتُهُ بنَار ذوي الأضْغَان يُكْوى ويُصْهَرُ

---

(١) المصدر نفسه، حـ٣، ص١٠٣٥.
(٢) البحتري - الديوان، حـ٣، ص١٨٨٨.
(٣) ابن الرومي - الديوان، حـ١، ص٣٧٧.
(٤) أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص١٤٦.
(٥) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص٩٥٣، تُحْبَى: تُفضّل . ابن مظور - اللسان، مادة حَبَىَ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأنَّها لا تقوم بأعمال الرِّجال أصحاب العزائم القوية والبطولات الحربيـــة كمـــا يـــرى البحتري في تعزيته عن ابنة أبي نهشل الطوسي يقول:(١)

لَعْمـــري مـــا العجـــزُ عنـــدي إلاّ أن تبيـــتَ الرِّجـــالُ تبكـــي النِّســـاء
أتبكـــي مـــن لا يُنَـــازلُ بالسَّيـــ ـــفِ مُشِـــيْحاً ولا يَـــهُزُّ اللِّـــواءَ
لسـنَ مـن زينـةِ الحيـاة كَعَـدِّ الـ ـلَّـهِ منـها الأمـوالَ والأبنـاءَ

إذا استغل معرفته باللغة عندما فهم قوله تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا (٢)" فهماً صـوّر له أنَّ المقصود بالأبناء هم الذكور دون الإناث ممن يحملون السّلاح ويدافعون عن الأهـل ضـد الأعداء.

ولأنها نقصٌ زاد أهلها كمالاً وقدراً فهي لا تستحق الحزن كما يرى ابـن المعـتز فـي تعزيته عن أخت القاسم بن عبيد الله بن وهب يقول:(٣)

لا تَحْزَنَـنَّ وُقِيْـتَ الحَـزْنَ والألَمَـا ولا عَدِمْـتَ بقـاءً يَصْحَـبُ النِّعَمـا
يـا شَـامِتاً ببنـي وَهْـب وقـد فُجِعُـوا لا تَفْرَحَـنَّ بنقْـص زادهـم كَرَمـا

ويتجلى تماماً مدى تأثر الشعراء بالأفكار والعادات الموروثة والرواسب الجاهلية التـي لا تزال عالقة ببعض النفوس في موقفها من البنات الأمر الذي حَوّل قصيدة العزاء بهنَّ إلى هجـاء أوقع الشعراء في كثير من الأخطاء والمبالغات(٤) كما في عزاء البحتري لأبي الحسن بن الفـرات عن ابنته يقول:(٥)

ومِـن نِعَـم اللّـه لاشَـكَّ فيـه بَقَـاءُ البَنِيْـن ومَـوْتُ البَنَـات
لقَـوْل النَّبـيِّ عليـه السَّـلا م: دَفْـنُ البَنَـات مـن المَكْرُمـات

وهذا القول لم يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حمل مشعل الهداية، ودافـع عن العدل والحق والإنصاف بين البشر ذكوراً وإناثاً، وحَرَّر المرأة من براثن الوأد التي عاشـتها في الجاهلية.

---

(١) البحتري - الديوان، حـ١، ص٤٠-٤١، يَهُزُّ اللواء: يحمل اللواء في المعركة والمقصود: أنها لا تقاتل.
(٢) سورة الكهف - آية رقم (٤٦).
(٣) ابن المعتز - الديوان،، ص٦٤١.
(٤) أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص١٤٣ انظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٨٥.
(٥) البحتري - الديوان، حـ١، ص١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا التعزية بالزوجة فأخذت طابع المشاركة الوجدانية الأليمة لما حلّ بالمعزى من فقدان صعب لزوجة وفيةً ووحدة موحشة بعد غيابها؛ لذلك كثرت الدعوة إلى الصبر واحتساب الأجر والإيمان بالقضاء والقدر، وخير ما يصوّر هذه التعازي رسالة لابن المعتز في تعزية عبيد الله بن عبدالله بن طاهر عن زوجته (شاجي) حيث يقول: "فصبراً يا أخي على حكم القدر وشكراً لمفيد النعمة على تقديم الحر وحسن الأجر وإنْ كانت:

جَلِيلَةُ حظٍّ من عَفَافٍ ومن تُقًى ... وقُمْرِيَّةٌ في ذَرْوَةِ الغُصْنِ تَسْجَعُ
توَلَّتْ ولو لم تُطْعَمِ الأرضُ غيرَها ... كَفَتْهَا ولكن لا أرى الأرضَ تَشْبَعُ

وقد أطال الله إمتاعك بها منذ وهبها لك، وجعل فقدها لمثوبتك التي هي أكبرُ منها إذ ارتجعها منك[١] ".

فأجابه عبيد الله على هذه الرسالة بأخرى يقول فيها: "فأمّا المشاركة فمعهودة من تفضّله وأمّا الصّبر فهو الذي لابدَّ منه اضطراراً أو اختياراً ولو كان على أشدّ المضض وأمَرّ العضض ولوعة الأبد وأقول:

أسَرُّ أُمُورِ الدَّهْرِ صارَ أغَمَّها ... وكلُّ جديدٍ صَارَ بَعْدك بالِيَا
فأعْجَبُ من شَهْدٍ تحوّلَ عَلْقَمًا ... ومن ضَاحِكٍ لم يعد أنْ ظلَّ باكِيَا

وأمَّا السَّلوةُ فليس من فعل الأحرار المخلصين لا في محيا ولا في ممات، إنما هو اغتنام الاحتساب واتصال الاكتساب والعياذ بالله من فَقْد العَزاءِ وفَقْد أجره[٢]".

وحاول بعضهم أن يجعل التعزية بالزوجة تهنئة للمعزى بالسلامة والصحة والعافية كما فعل أبو العيناء في تعزية أبي بكر بن عُدَي عن زوجته فاطمة بنت الحسين بن عمران بن ميسرة في رسالة يقول فيها: "إذا كان سيدنا أدام الله عزّه بالبقيّة ودفعت عنه الرزية كانت التعزية تهنئة والمصيبة نعمة وأقول:

نَحْنُ ومَنْ في الأرض نفديكا ... لا زلْتَ تبقى ونُعَزِّيكا[٣]"

ولعل هذه التعزية جاءت لتخدم أغراض الشاعر فحسب لا أن تعكس تقليداً عاماً سارياً في المجتمع في هذا العصر.

---

(١) الشابشتي - الديارات، ص١١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٤-١١٥.
(٣) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، حـ٣، ص٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي التعزية ظلّت صورة الجارية مصدر السرور واللذة والمتعة في حياة المعزى الذي حزن كثيراً لفقدانه إياها، واختفت من صورتها ظاهرة البكاء والحزن وإن بقيت الدعوة إلى الصبر واحتساب الأجر كما في تعزية ابن المعتز للخليفة المعتضد عن دريرة جاريته المحبوبة:(١)

يا إمامَ الهُدَى بنا لابك الغَمُّ ... أفْنَيْتَنا وعشْتَ سَليماً
فاسْلُ عمَّا مَضَى فإنَّ التي كا ... نَتْ سُروراً صَارَتْ ثَوَاباً عَظِيمَاً

ورأى بعضهم أنَّ موت الجارية أمرٌ لا يبعث على الحزن والضيّق ولا يحتاج إلى التعزية للتخفيف من مصابه كما في تعزية عبيد الله بن عبدالله بن طاهر لابن المعتز عن داية له يقول:(٢)

إنَّ المُلُوكَ تُهَنَّى في زيادَتِها ... ولا تُعَزَّى على النُّقصَانِ والغِيَرِ
ولا يكونُ مُعَزَّىً في تَصَرُّفِهِ ... ولا مُعَزَّىً بأدنى الثَّلْمِ والضَرَرِ
ولا يُسْتَاءُ بشيء في مَسَرَّتِهِ ... حَتَّى يُبَلَّغ فيه أطولُ العُمُرِ

ومع أن الشعراء أكثروا من التعزية بالمرأة ، فإنها لم تنل من شعر التهنئة إلا جزءاً يسيراً جداً ؛ وذلك لأن بعض الرواسب الجاهلية لا تزال عالقة ببعض النفوس في موقفها من المرأة .

شعر الوصف:

تأثر هذا اللون بتطور الحياة الحضارية المادية والحياة الحضارية الطبيعية، وكان للمرأة فيه حضور متميز عكس جوانب نشاطها ومشاركتها في جوانب هذه الحياة. فقد ترك التعليم للمرأة الفرصة في ظهور القارئة والكاتبة والشاعرة، فنقل الشعراء هذه الصور نقلاً يدل على مدى الاحترام الذي نلنه في المجتمع.

ففي صورة القارئة يركز الشعراء على خاصّية الصوت وتأثيره الكبير على النفس، نلمس هذا في هذه اللوحة الوصفية لأبي علي البصير لقارئةٍ تسمى (سُكَّر) يقول:(٣)

أسْكَرتني سُكَّرٌ بغَيْرِ شَرابِ ... وأتَتْ إذا أتَتْ بأمرٍ عُجَابِ
لم تُرَجِّعْ بآيةٍ من كتابِ اللَّـ ... ـه حتى نَسِيتُ أُمَّ الكِتَابِ
أذْكَرَتني بصَوْتِها صوتَ داوُ ... دَ يُقَرِّي الزَّبُورَ في المِحْرَابِ

وتظهر علامات الإجادة في القراءة وحسن الصوت على الشاعر الذي انتشى سكراً

---

(١) ابن المعتز - الديوان، ص٦٥٤.
(٢) المصدر نفسه، (صنعة الصولي)، حـ٤، ص١٧٩.
(٣) الثعالبي - ثمار القلوب، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصوتها الذي أذكره في طمأنينته وجماله صوت داود وتراتيله التي تتردد في محرابه. ويتجلى التركيز في صورة الكاتبة على إجادة الكتابة والمهارة في استعمال أدواتها يصف عيسى بن فرخانشاه كاتبةً له تكتب خطاً حسناً يقول:(١)

سَـريعَةُ جَـري الخَـطِّ تَنْظِـمُ لؤلـؤاً ... ويَنْـثُرُ دُرّاً لَفْظُـهَا المُتَرَشِّـفُ

فالسرعة في الكتابة والإجادة في الخط والبراعة في التعبير من السمات التي تفوقت بها هذه الكاتبة .

ويتجلى اهتمام الشعراء بوصف المغنيّات القديرات ممن جمعن بين جمال الصوت والعزف وجمال الشكل والمنظر، وتعدّ قصيدة ابن الرومي في وصف المغنية (وَحِيْد) نموذجاً في وصف المغنيّات حيث جمع كل ألوان الجمال والتفوق في الشكل والغناء والعزف في أدق تفاصيلها. يصف غناءها يقول:(٢)

تتغنَّى كأنَّهَا لا تُغَنِّي ... من سُكُون الأَوْصَال وهي تُجِيْد
لا تَرَاهَا هناك تَجْحَظُ عينٌ ... لك منها ولا يَدرّ وَرِيْد
من هُدُوٍّ وليس فيه انْقِطَاعٌ ... وسُجُوٌّ وما به تَبْلِيد

فهي مغنية تملك كل المؤهلات للغناء من عمق الصوت وطول النَّفَس ومرونة الأوتار الصوتية إذ يخرج صوتها سهلاً سلساً لا تجهد نفسها في إخراجه فلا تظهر عروق الدم نافرة في عنقها ولا تجحظ عينها ولا ينقطع نفسها ؛ لذلك مزج الشاعر مدحه لإجادتها الغناء بوصفه لطريقتها في أدائه .

لذلك وصف الشعراء كثيراً لذة هذا الصوت وتأثيره وجماله يصف أبو عثمان الناجم(٣) صوت مغنية وحسن غنائها يقول:(٤)

شَذْوٌ أَلَذُّ من ابْتِدَاء العين في إغفائها
أحلى وأشهى من مُنى ... نَفْس ونَيل رَجَائها

ومثل هذه القدرة على الوصف لم تأتِ إلاّ من حسٍّ خاص للصوت، يشبه حسّ خبراء الموسيقى الذين يكادون يحيلون الأصوات والألحان إلى أشياء ملموسة تقلب موجودات الحياة

---

(١) الصولي - أدب الكتّاب حـ١، ص٧٩.
(٢) ابن الرومي – الديوان، حـ٢، ص٧٦٣.انظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٢٦.
(٣) أديب وشاعر مليح الشعر، رقيق الطبع، جيد المعاني، صحب ابن الرومي وروى أكثر شعره ت٣١٤ هـ.انظر الشابشتي - الديارات، ص٩٣-٩٤.
(٤) الحموي - معجم الأدباء حـ٣، ص١٣٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحيلها ألحاناً كما في وصف ابن الرومي لغناء دُريرة يقول:(١)

ومَتَى ما سَمِعْتَ منها فَشَدْوٌ ... يَطْرُدُ الهَمَّ عنك والأحْزَانا
قَادرٌ أن يُمِيتَ أشجانَ قَوْمٍ ... قَادرٌ أنْ يُهَيِّجَ الأشْجَانا

ونالت العازفات عناية الشعراء فوصفوا آلاتهنّ وبراعتهن في العزف والمهارات اللاتي يملكن إذ يناغين الآلات كما تفعل الأمهات مع أطفالهن، وتعدُّ لوحة العازفات عند ابن الرومي أجمل لوحات الوصف لهن يقول:(٢)

وقِيَان كأنَّها أُمَّهاتٌ ... عَاطِفَاتٌ على بَنِيها حَوَانِي
كُلُّ طِفْلٍ يُدْعَى بأسْمَاءَ شَتَّى ... بين عُوْدٍ ومِزْهَرٍ وكَرَان
أمُّهُ دَهْرَهَا تُتَرْجِمُ عنه ... وهو بَادي الغِنَى عن التُّرجُمَان
غيْرَ أن ليس يَنْطِقُ الدَّهرُ إلاّ ... بالتزام من أُمِّه واحْتِضَان

فقد حملت الصورة معاني العطف والحنان ، ورسمت العلاقة الحميمة بين العازفة وعودها وهي علاقة لا ترقى إلى الشك تماماً كعلاقة الأم بطفلها ، تحنو عليه وتناغيه ، وتترجم ما يصدر عنه من أصوات بغريزتها وأمومتها .

لذلك جاءت صورة العازفات مفعمة بالحياة والعطاء والمهارة ،وتتكرر الصورة هذه في طريقة عزف (عاتب) كما يراها أبو عثمان الناجم:(٣)

إذا احْتَضَنَتْ عُوْدَهَا عَاتِبُ ... ونَاغَتْهُ أحْسَنَ أن يُغْرِبَا
تُدَغْدِغُ في مَهَلٍ بَطْنَهُ ... فَيَحْضُرُنَا ضَحِكاً مُعْجِبَا
وتَعْرُكُ من أُذنِه إنْ هفَا ... وفي الحقِّ تَأْديبُ من أذْنَبَا

إذ جعل الشاعر كل حركة تقوم بها العازفة جزءاً من حياتها كأم ، فهي تمد عودها بالحنان إذا احتضنته فيمدها بالعطاء ، تداعبه برفق فيصدر ألحانه ، توجهه إذا تاه ، وتقوّم اعوجاجه إذا اخطأ ، وهذه أدوار مباشرة في حياة الأم .

وصوّر الشعراء الطبيعة الحية وما تحوي من عناصر الجمال وقرنوها بالمرأة بحيث غدتا متداخلتين في مخيلة الشعراء واحساساتهم :(٤). وتمثل (دار البطيخ) أو (جنّة المحبين) لابن

(١) ابن الرومي - الديوان، حـ٦، ص٢٤٠٠.
(٢) المصدر نفسه، حـ٦، ص٢٤٩٨، كران: اسم آلة موسيقية كالعود والزهر، تُعرف بالصنّج.
(٣) النويري - نهاية الأرب حـ٥، ص١٢٣.
(٤) رشدي الحسن – شعر الطبيعة في العصر العباسي ، ص ١٨٢-١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرومي قمّة الانسجام والتداخل بين الطبيعة والمرأة:[١] حيث جمع فيها الشاعر كل ألوان الفاكهة وجعلها رموزاً لجوانب الجمال عند المرأة يصف ذلك قائلاً:[٢]

أَجْنَتْ لك الوَجْدَ أَغْصَانٌ وكُثْبَانُ ... فِيهِنَّ نَوْعَانِ: تُفَّاحٌ ورمَّانُ
وفوقَ ذَيْنِك أعْنَابٌ مُهَدَّلَةٌ ... سُودٌ لَهُنَّ مِن الظَّلْمَاء أَلْوَانُ
وتحتَ هاتيك عُنَّابٌ تَلُوحُ به ... أَطْرَافُهُنَّ قُلُوبُ القَوْمِ قِنْوَانُ
غُصُونُ بانٍ عليها الدَّهْرَ فاكِهَةٌ ... ومَا الفَواكِهُ ممَّا يَحْمِلُ البَانُ
ونَرْجِسٌ باتَ سَارِي الظِّلِّ يَضْرِبُهُ ... وأُقْحُوانٌ مُنِيرُ النَّورِ رَيَّانُ
أُلِّفْنَ مِن كُلِّ شيءٍ طَيِّبٍ حَسَنٍ ... فَهُنَّ فاكِهَةٌ شَتَّى وريْحَانُ

فالشاعر إذا طالعه جمال الطبيعة رأى فيها كل مفاتن المرأة وجمالها، ولَعلَّ هذه الرؤيـة إنمـا جاءت انعكاساً لنفسيّة الشاعر التي ظلّت تبحث عن المرأة وتحاول الوصول إليها لكنها في كل مرة تواجه فشلاً ذريعاً لذلك كانت الطبيعة تعويضاً[٣] عنها لأنه وجد فيه بعض العزاء والسّلوة إذ تمنحه جمالاً وعطاءاً بلا حدود؛ فيختلط الشعور بالحب واللذة وتضطرب المشاعر وتختلط ويصل الشاعر إلى كامل نشوته لذلك كانت لوحته الفنيّة مفعمة بالحياة واللذة والنهم والحب وليس كما يرى النويهي أنّه رجلٌ اختلط عليه كرهه للطبيعة وحبّه للمرأة[٤] إنما الطبيعة عنده عالمٌ نابضٌ بالحب والحياة والحركة والانفعالات تماماً كما هي المرأة التي عشقها وبحث عنها [٥] لذلك كانت الطبيعة عزاءه عنها وتعويضه عن إخفاقه معها، وما هذا التوحيد بينهما إلا عالمه الذي أبقى على جذوه حبّه للحياة ورغبته في العيش فهو القائل[٦]:

فالأَرْضُ في رَوْضٍ كأفواف الحِبَرْ
نَيْرَةُ النُّوار زَهْرَاءُ الزَّهَرْ
تَبَرَّجَتْ بعد حَيَاء وخَفَرْ
تَبَرُّجَ الأُنْثَى تَصَدَّتْ للذَّكَرْ

وهذا التداخل منحهم جزءاً من صورهم الشعرية التي عبّرت عن دواخلهم في رؤيتهم للطبيعة كما في رؤية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر للطبيعة وخصائص الجمال عند المرأة يقول:[٧]

وكأنَّ الغُصُونَ مَيْلاً قُدودٌ ... وكأنَّ النُّوار فيها عُقُودُ
وكأنَّ الثِّمارَ والورق الخضـ ... ـرَ ثِيَابٌ من تحتهنَّ نُهُودُ

---

(١) شوقي ضيف – العصر العباسي الثاني ، ص٢٠٣.
(٢) ابن الرومي - الديوان، حـ٦، ص٢٤١٩.
(٣) حسن الحاج - أعلام في الشعر العباسي، ص٢٩٢.
(٤) النويهي - ثقافة الناقد الأدبي، ص٢٣٤، ص٢٤٨.
(٥) راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي ، ص٩٥-٩٦.
(٦) ابن الرومي - الديوان، حـ٣، ص٩٩٣/٧٢٨، أفواف: ثياب. رقاق مُوَشّاة مُخطّطة. ابن منظور - اللّسان، مادة فوف.
(٧) الشابشتي - الديارات، ص١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل حتى في أدق صور المشاعر والعواطف كانت الطبيعة وألوانها عشاقاً ووشاةً يقـــول ابن المعتز في وصفه حبّة نارنج صفراء ارتسمت عليها حمرةٌ:[1]

كـــأنَّ النَّـــــارنج لمّـــــا بَـــــدَتْ صُفْرَتُـــهُ فـــي حُمْـــرَة كاللَّـــــهيب
وجَنَـــةُ مَعْشُـــــوق رأى عَاشِـــقَاً فـــاصفَرَّ ثـــم احْمَـــرَّ خـــوفَ الرَّقيـــب

ومثل هذا المزج بين المرأة والطبيعة يؤكد قيمة المرأة عند أبناء العصر الذين رأوا فيها مصـــدراً والجمال والمتعة ، فاستقوا بعض صورهم ومعانيهم منها. مما يؤكد أنَّ المرأة أصبحـــت حالـــة كونية يجدها الشاعر في كل مكان وزمان ويستمد منها صبره وعزمه على الحياة.

(١) ابن المعتز - الديوان،، ص٦٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

شعر المرأة

الأغراض الشعرية

المـــدح

الهجـــاء

الرثـــاء

الغـــزل

الوصـــف

النصـــح والإرشـــاد

الزهـــد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

شعـــر المـــــرأة

جاءت مشاركة المرأة في الحياة الثقافية واسعة حازت إعجاب الكثيرين من أبناء المجتمـــع واحترامهم، فقد كانت القارئة والكاتبة والمحدّثة والفقيهة والشاعرة. وكان للشاعرة حضور متمـــيز في ميدان الشعر والأدب عامة، فقد قامت بجملة من الأدوار التي ساهمت في دعم حركـــة الشـــعر والأدب. ومن هذه الأدوار ما ذكره أحمد أمين "إنَّ للمرأة في كل أمّةٍ وفي كل عصر فضـــلاً علـــى الأدب من ناحيتين: الأولى ما تثيره في نفوس الرجال من عاطفة قوية تجيش في صدورهم وتخـــوج على ألسنتهم شعراً رقيقاً وأدباً ممتعاً. والثانية مشاركة المرأة الرجل في إخراج القطع الفنيـــة فـــي المواضيع التي تمسُّ شعورهن وهن عليها أقدر[١]".

كما ساهمت الشاعرة بجمالها ورقتها في تهذيب الأذواق [٢]وبذكائها وبراعتها في فتح آفـــاق جديدة أمام الشعراء للنظم والمنافسة. لا سيّما تلك الفرص والمواقف التي زخرت بها مجالس الخلفاء والأمراء، التي كانت تثير روح التنافس بين الطرفين. لذلك اهتمَّ رواة الشعر والأدب بشعر المـــرأة وسعوا إلى تدوينه خاصة أولئك الذين ترجموا لأعلام الشعر في هذا العصر مثل ابن المعتز الـــذي ضمّن كتابه (طبقات الشعراء المحدثين) تراجم لأشهر أعلام الشعر النسائي مثل عَريب وفَضل [٣].

وما اهتمام ابن المعتز بالمرأة الشاعرة إلا دليلٌ على المكانة التي استطاعت أن تحققها. فقـد كانت منافس الشاعر وندّه في العملية الشعرية، وتمثَّل ذلك في قدرتها على إجازة الشـــعر ونظمـــه، وقد عرفت فَضل الشاعرة بذلك وقيل إنها كانت تجلس على كرسي في مجلس المتوكـــل تعـــارض الشعراء وتختبرهم وتجيز أشعارهم[٤]، بل إنَّ بعض الشاعرات تمكَّنَّ من التغلب على اشهر الشعراء في النظم والوصف تماماً كما حدث مع الشاعر علي بن الجهم ومحبوبة شاعرة المتوكل التي سـبقت الشاعر إلى معانٍ لم يستطع الوصول إليها في صورة (قبيحة) زوجة المتوكل التي كانت جارية وقد كتبت على خدّها بالمسك اسم جعفر[٥].

كما كانت المرأة الشاعرة نديم الخليفة وشاعرته التي استحوذت علـــى اهتمامـــه وإعجابـــه وكانت مثار اهتمام كلّ من حضر مجلس الخليفة من كبار الشعراء والأدباء والمغنيّين الذين بثتـــهم إبداعاتها الشعرية صراحة، فساعد ذلك على نشر أشعارها مع الوافدين الذين تغصُّ بـــهم مجـــالس الخلفاء.

---

(١) أحمد أمين- ضحى الإسلام، حـ١، ص٩٨ .انظر مصطفى البشير – الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء ، ص١٥٩

(٢) واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٣٦.

(٣) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(٥) السيوطي - المستطرف، ص٦٥ ، انظر من هذا الفصل ص١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما غدت الشاعرة من الفئة التي لها تأثيرها على السياسة والمجتمع؛ لذا حرص الجميع على التقرب إليهن ؛ لتأثيرهن القوي على الخلفاء الذين تعلّقوا بهنّ فأصبحت لهنّ عليهم كلمة نافذة لا ترد[١]، وتمثّل في جملة من الشفاعات كالتي عُرفت عن فَضل الشاعرة في قضائها حوائج جماعتها بجاهها عند الملوك[٢].

وهذه المكانة جعلت كبار الأدباء والشعراء يتخذون من المرأة الشاعرة وسيلة للشهرة من خلال علاقتهم الوثيقة بإحداهن فتقترن أسماؤهم بهنّ ويعرفون لشهرتهنّ ومن هؤلاء إبراهيم بن المدبر الذي عُرف نتيجة علاقته بعَرِيب الشاعرة، وسعيد بن حميد الذي اشتهر بفَضل الشاعرة[٣]

وقد تفاوتت هذه المكانة بين الحرائر والجواري من الشاعرات؛ فقد كان نشاط الجواري الشعري أكثر من الحرائر وتبعاً لذلك كانت مكانتهنّ أكبر؛ وهذا يعكس طبيعة الشروط الشرائية لهنّ وموقف المجتمع من الحرّة.

أما أبرز شاعرات العصر من الحرائر فهنّ ثُمامَة بنت عبد الله بن سوار القاضي التي رثت أخاها سنة ٢٤٥هـ[٤]، وزهراء الكلابية التي تغزلت بمن تحب ورثت زوجها[٥]، وأُمّ الشَّريف التي عرفت بعقلها وبعد نظرها في السياسة[٦]، التي عاشت في خلافة المعتضد إضافة إلى بعض الأعرابيات اللواتي انطقتهنّ الأحداث والظروف بأعذب الشعر.

ولم يكن لنساء القصور من الحرائر أيُّ نشاط شعري يذكر، ولعلَّ هذا يعود إلى عدم اهتمامهنّ بهذه الناحية لاشتغالهنّ بالسياسة والحكم، فقد وردت بعض الآراء لهنّ في مفهوم الشعر وقيمته. ومنها "ما ذكره ابن المعتز أنّ جدته (قبيحة) كانت كلّما تعرّض للشعر أمامها أعرضت عنه وقبّحته إليه وأنشدت:

الكَلْبُ والشَّاعرُ في حالةٍ ... يا ليت أنِّي لم أكُنْ شاعراً

هل هو إلا بَاسِطٌ كفَّه ... يَسْتمطر الوارِدَ والصَّادرا[٧]"

وقد واجهتني في بحثي عن الشاعرات من الحرائر مشكلة إهمال المصادر التاريخية لأخبارهن أو اضطراب تلك الأخبار على قلتها، وأجدني هنا أتفق مع (وديعة طه النجم) في أنّ

---

(١) مي يوسف خليف – الشعر النسائي ، ص٢٧. انظر يسري سلامة – الأدب في القرن الثالث ، ص٨٣.
(٢) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠-٢٠١.
(٣) علي هاشم – الأندية الأدبية ، ص٢٧٢.
(٤) السيوطي- نزهة الجلساء في أشعار النساء، ص٣٦.
(٥) الأصفهاني - الأغاني، ج٥، ص٢١٦. انظر: البصري- حماسة البصري، ج١، ص٢٢٧.
(٦) المسعودي - مروج الذهب، حـ٤، ص٣٤١-٣٤٣.
(٧) الحموي -معجم الأدباء حـ٤، ص١٥٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر التاريخية كانت سبباً في تجاهل المرأة الحرة على حساب الجارية التي أولتها كل عناية[١]، إذ لم استطع أنْ أورد شعراً للحرائر إلا من ثبتت على وجه الدقة صلتها بالعصر لذلك آثرت الابتعاد عن الكثير من شعر الأعرابيات ممن لا يعرف على وجه الدقة الفترة الزمنية التي يمثلنها، فيكون من الصعب أن نجزم بعلاقتهن بمادة البحث.

أمَّا الشاعرات من الجواري فكثيرات أشهرهن: فَضْل ت٢٥٧هـ، ومحبوبة شاعرة المتوكل التي اختفت بعد مقتله سنة ٢٤٧هـ ولم يعرف لها ذكر، وعريب ت٢٧٧هـ، وخنساء التي عاصرت فضلاً وهاجتها، ونبت جارية الخليفة المعتضد، وخزامى جارية الضبط المغنّي التي راسلت ابن المعتز في أواخر شبابها، وبِدْعَة جارية عريب ت٣٠٢هـ.

ومن هؤلاء مَنْ كانت من جواري القصور ودور اللهو، ومن اللواتي اعتقهنَّ مواليهنّ فكان ذلك سبباً في انطلاقتهن الشعرية [٢]، ومنهن مَنْ أصبحن صاحبات منتديات أدبية في بيوتهنَّ التي يؤمها الوزراء والرؤساء والقادة والشعراء، وقد تركت مثل هذه المنتديات أثراً كبيراً في تشجيع الحركة الشعرية لما يدور فيها من مساجلات ومنافسات وأشهر هذه المنتديات ما كانت تقيمه الشاعرة فضل في بيتها، فقد ذكر ابن المعتز إنَّ لها مجلساً يجتمع فيه الأدباء والشعراء عندها[٣].

الأغراض الشعرية لشعر المرأة:

جاء شعر المرأة يتناسب مع ظروف حياتها التي عاشتها في هذا العصر ، و يكشف عما دار في خلدها من قضايا و هموم و أفكار،وتنوعت الأغراض الشعرية التي نظمت فيهامن مديح ورثاء و فخر و غزل ووصف ونصح و زهد ،و هي موضوعات ليست بالجديدة ؛ و إنما موضوعات تقليدية نالها بعض التطوير و التجديد على أيدي شاعرات العصر .

المديح:

كان للمرأة حضورها المتميز في المناسبات العامة والخاصة التي تستدعي المديح لأبناء الطبقة المترفة من خلفاء ووزراء وقادة ، وقد جاءت هذه المشاركة بحكم تطور الحياة الثقافية والاجتماعية في هذا العصر .

---

(١) وديعة طه النجم - أضواء على منزلة المرأة في العصر العباسي ، عالم الفكر ، مجلد ١٨، عدد ١ سنة ١٩٨٧، ص٢٣٥.

(٢) ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٣ ، ص١٥٢-١٥٣ انظر يسري سلامة – الأدب في القرن الثالث ، ص٨٤.

(٣) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تفاوت مقدار هذه المشاركة بين الجواري والحرائر، فقد كانت جل مدائح النساء من شعر الجواري في قصور الخلفاء ومجالسهم، أمَّا الحرائر فكانت مشاركتهنَّ محدودة جداً تكاد تنعدم أحياناً ويعود إلى وضعهن الاجتماعي ، واختلفت تبعاً لهذا التفاوت دوافع كل فئة في مديحها ، ففي حين انصرفت الحرائر إلى إصلاح الأمور و الإستعطاف ، وطلب الصفح من الخليفة عما وقع به أقوامهن ، لم يكن ذلك يعني الجواري اللواتي انحصر مديحهن في دوائر شخصية من كسب ود الخليفة أو والدته أو زوجته وبالتالي تحسين أوضاعهن الاجتماعية .

ومن أمثلة المديح عند الحرائر ما قامت به أعرابية من بني سليم في منطقة قنسرين[١] من مديح الخليفة المتوكل بغية العطف والصفح عمّا فعله قومها عندما قطعوا طرق التجارة تقول:[٢]

أميرُ المؤمنين سما إلينا ... سُمُوَّ البَدْر مال به الغَريف
فإن نَسْلَمْ فعفو الله نرجو ... وإنْ نُقْتَل فَقَاتِلنا شريف

فاستحسن المتوكل ما سمع وأمر بالعفو عن قومها والصلة لها. وحاولت الشاعرة أمُّ الشريف القيام بهذا الدَّور عندما أسرها جند الخليفة المعتضد هي ونساء قومها بعد انتصاره على ابن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى الشيخ الذي رفض إعطاء البيعة للخليفة تقول:[٣]

قُلْ للخليفةِ والإمَام المُرْتضى ... وابن الخَلائفِ من قُريش الأبْطَح
بك أصلحَ اللُّه البلادَ وأهلَها ... بَعْدَ الفَسَاد وطالما لم تُصلَح
وتزَحْزَحت بك قبّةُ العِزّ التي ... لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربُّك ما تحبُّ فلا ترى ... ما لا تحبُّ فَجُدْ بعفْوك واصفَح

وقد انطلقت الشاعرة في سعيها لنيل عفو الخليفة عنها وعن قومها من جملة من الركائز العامة في المديح أبرزها اعترافها بخلافته وسلطته السياسية التي رفضها ابن أخيها ثم حسبه ونسبه ثم أعماله الإصلاحية التي أراد بها خير البلاد والعباد ثم ناشدت قدرته التي خولته تحقيق النصر بالعفو والصفح.

وبدت الشاعرة صاحبة عقل وحكمة وبعد نظر، فقد جعلت كل تلك الفضائل هبة الله للخليفة فاستغلتها مدخلاً لطلب العفو، لذلك ذكرت المصادر التاريخية أنَّ الخليفة المعتضد استجاب

---

(١) أقليم من بلاد الشام ما بين حلب وحمص، فتحه عامر بن الجراح سنة ١٧هـ. انظر : الحموي – معجم البلدان ج٤ ، ص٤٠٣-٤٠٤.
(٢) الجاحظ - المحاسن والأضداد، ص١٣٦.
(٣) المسعودي - مروج الذهب جـ٤، ص٢٤٣.انظر ابن الجوزي - المنتظم ، ج١٢ ، ص٣٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها فعفا عنها وعن كثير من قومها[١]. لا سيما بعد أن بلغته أخبارها بعد انتصاره وتشتيته شمل قومها وأسرها مع بقية النساء وبكاؤها وقولها:[٢]

ريبُ الزَّمان وصَرْفُهُ ... وعَتَوُّهُ كشف القناعا
وأذلَّ بعد العزِّ منّا ... الصَّعب والبطل الشُّجاعا
فأبى بنا المقدور إلاَّ ... أن نُقسَّمَ أو نُباعا
يا ليت شِعري هل تَرَى ... يوماً لفُرقتنا اجتماعا

فلمّا سمع المعتضد بالأبيات عفا عنها وجمع شمل قومها.

ويتسم المديح عند الحرائر ببعده عن دائرة التكسب التي أنيطت به عادة :[٣]

أمّا الشاعرات من الجواري فيكثر المديح في أشعارهن وتتعدد أغراضه، ومن أشهر هؤلاء فَضْل التي مدحت الخليفة المتوكل في أول يوم دخلت عليه بعد شرائها تقول:[٤]

استَقْبَل المُلْكَ إمامُ الهُدى ... عامَ ثلاثٍ وثلاثينا
خِلافَةٌ افضَتْ إلى جَعْفَرٍ ... وهو ابنُ سَبْعٍ بَعد عشرينا
إنّا لَنَرْجو يا إمامَ الهُدَى ... أنْ تَمْلُكَ المُلْكَ ثمانينا
لا قدَّس اللّه امرءاً لم يقلْ ... عند دُعائي لَكَ آمينا

ونالت هذه الأبيات إعجاب أبو محمد غانم بن محمد المخزومي المالقي ، فنظم على منوالها مديحه لأحد الولاة:[٥] ويحمل مديحها تاريخاً لسنة تولي المتوكل خلافته وعمره آنذاك مع دعاء الشاعرة له بطول البقاء ودوام الخلافة. وتمدح الشاعرة عريب الخليفة المتوكل بعد شفائه من عِلَّةٍ أصابته تقول:[٦]

حَمَدْنا الذي عافى الخليفة جعفرا ... على رَغم أشياخ الضَّلالةِ والكُفْر
سَلامَتُهُ للدِّين عِزٌّ وقوَّةٌ ... وعِلَّتُهُ للدِّين قاصِمَةُ الظَّهر
مرضْتَ فأمْرَضْتَ البريَّةَ كُلَّها ... وأظْلَمْتِ الأبْصارُ من شِدَّة الذُّعْر
سَلامةُ دُنيانا سَلامةُ جَعفرٍ ... فَدامَ معافىً سالماً آخر الدَّهر
إمامٌ يَعُمُّ النَّاسَ بالعَدْل والتُّقى ... قريباً من التُّقوى بعيداً عن الوزْر

(١) المسعودي – مروج الذهب، حـ٤، ص٢٤٣.انظر ابن الجوزي – المنتظم ، ج١٢ ، ص٤٠٠.
(٢) المصدر نفسه، حـ٤، ص٢٤٢.
(٣) واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٣٨٤.
(٤) السيوطي - المستظرف، ص٥٢.
(٥) ابن الابار – الحلة السيراء ، ج٢ ،ص ٢٧ .
(٦) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعلت الشاعرة عماد مديحها فضائل المتوكل الأخلاقية والنفسية من عدلٍ وتقوى وإيمان، وبدا تركيزها واضحاً على البعد الديني لصورة الخليفة إذ جعلت عزّة الدين وقوته مرهونة بسلامة الخليفة من العلل والأمراض، وتجاوزت ذلك لتجعل الأمر يتعدى ليشمل سلامة الدنيا كلّها وشفاء البرية، فحصرت الشاعرة مديحها في جانب واحدٍ وفي فكرة محددة لم تتجاوزها للحديث عن مآثر المتوكل وأعماله الإصلاحية، ومع ذلك لم يفتها الدعاء له بالبقاء والسلامة، كما كشفت الأبيات عن فرح الشاعرة بسلامة الخليفة وهو فرح يخفي وراءه خوفها من المصير الذي ينتظرها إذا ما حلّ بالخليفة مكروه، وهذا الهاجس ألحّ عليها بصورة لا واعية ظهرت في لغتها إذ تكررت لفظة سلامة على شفتيها أربع مرات .

ونال الوزراء مديح جواريهم لفضلهم وحسن معاملتهم ، ونلتمس هذا في مديح هند الشاطبية التي أصبحت أحظى جواري الفتح بن خاقان له في مجلس الخليفة المتوكل عندما عرضت عليه لأول مرة حيث قالت :[١]

قد جاء نصرُ الله والفتحُ ... وشقَّ عنا الظّلمة الصُّبْحُ
خَديـنُ مُلْكٍ ورجاءُ دولةٍ ... وهَمُّه الإشفاق والنُّصْحُ
كالليثِ إلا أنه ماجدٌ ... والغيثُ إلا أنه سَمْحُ
وكلُّ بابٍ للندى مُغْلَقٌ ... فإنما مفتاحُهُ الفَتْحُ

وعنت الشاعرة في مديحها كل الفضائل النفسية للوزير الفتح بن خاقان بطريقة رقيقة ، فيها انعكاس لشخصيتها التي طبعت بحبه ، لذا بدا في مديحها شيء من التطوير كونه جاء ممزوجا بالغزل والشكر لذا يتسم هذا اللون من المديح بأنه ليس مديحا خالصا ؛ و إنما مديح داخلته موضوعات أخرى كالعتاب و الشكوى و الشكر و الغزل و التهنئة.[٢]

ومدحت الشاعرات كذلك نساء الخلفاء وأمهاتهم ممن تركن علامات بارزة في حياة هذا العصر مثل قبيحة زوجة المتوكل وأمّ ولده المعتز التي صوّرت الشاعرة عريب فضلها وأعمال البر والإحسان التي تقوم بها عدا عن دورها في تربية ابنها على الفضائل تقول:[٣]

سُبْحانَ من أعطَى عَريبَ الذي ... رَجَتْهُ في المولاة والمولى
أعطاكِ في المُعْتَزّ أُمْنِيّةً ... والسُّؤلَ في سَيِّدة الدُّنيا
وَرَدَّ حُسْنَ الرَّأي فيها لها ... فطَيَّبَ اللُّه لها المحْيا

---

(١) ابن شاكر الكتبي – عيون التواريخ ، ص٣٨٤.انظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٠٣
٢) مي يوسف – الشعر النسائي ، ص ١١٩-١٢١
(٣) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، ص٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتوجّه الشاعرة بشكرها إلى الله الذي منحها كل ما تريد في مولاتها ومولاها المعتز من حسن الرأي ورجاحة العقل وفضل التربية فكانت بذلك قبيحة هي المطلب والمبتغى .. ومزجت بعض الشاعرات بين صورة أم الخليفة وابنها الذي هو مرآة عنها في فضائلها وأعمالها تقول عريب في مديحها الخليفة المستعين:[١]

بوَجْهِ المُسْتعين يَزيدُ حُسْناً ... بَنَاءٌ جَلَّ عن كُنْهِ الصِّفات
وأُمِّ المستعين لها أيادٍ ... سَوَابِقَ في النَّدى متتابعات

وبدت الأمُّ مربية فاضلة صاحبةُ أيادٍ بيضاء لا تنكر، لها تأثيرها الكبير في حياة ابنها وصقل شخصيته التي غدت صرحاً عالياً لا يدرك كنه صفاته. وهذا الأثر كثيراً ما توقفت المصادر التاريخية عنده في حديثها عن مشاركة أمهات الخلفاء أبناءهن شؤون الحكم والسياسية[٢].

ونالت بعض الفئات الأخرى في المجتمع مديح الشاعرات من وزراء وقادة وأدباء كمديح الشاعرة فَضْل سعيد بن حميد الكاتب تقول:[٣]

يا مَنْ تزيَّنَتِ العُلومُ بفَضْلِه ... وعَلاَ قِبَابَ مَرَاتِبِ الأُدَبَاء
صَرَفَ الإلهُ عن المَوَدّة بيننا ... وعن الإخاء شَمَاتَةَ الأعْدَاء

وجاء مدح فضل يتناسب مع ما تكنّه من مشاعر الحب والتقدير لسعيد بن حميد الكاتب المعروف الذي جعلت له أعلى مراتب الأدب.

ويتميز شعر المديح عند المرأة ، وببعده عن آيات الفخامة والعظمة والبطولة التي يرسمها الشعراء عادة ، كما أنه لم يكن مديحا خالصا بل داخلته وامتزجت به موضوعات أخرى كالعتاب والشكر والتهنئة ، كما جاء هادئاً لا تتخلله انفعالات الشعراء ومبالغاتهم ؛ لأنها لم تقم بإعداده إعداداً خاصاً لتنال رضا الممدوح ؛ وإنما ترتجله في لحظات وقوفها أمامه ، وبالتالي تحرره من القيود والضوابط التي يلتزم بها الشعراء [٤] ربمّا لأنَّ بعضه كان على شكل رسائل والبعض الآخر يكتسب الهدوء والخفوت من طابع الشخصية العامة للشاعرة .[٥]

---

(١) المصدر نفسه، تراجم النساء، ص٢٣٧.
(٢) انظر : الطبري - تاريخه، حـ٥، ص٣٥٨ ، ابن الطقطقي - الفخري، ص٢٤٠ ، الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، حـ٢، ص١٢٢، ابن الأثير - الكامل، حـ٦، ص٢٠٠.
(٣) التوحيدي - البصائر والذخائر، حـ١، ص٣٠.
(٤) مي يوسف خليف – الشعر النسائي ، ص ١٢١-١٢٢
(٥) واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٣٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعـر الهجـاء:

برز هذا اللون في أجواء التنافس بين الشاعرات من الجواري وبيـن أنصـارهن مـن الشعراء الذين أذكوا نار التنافس اشتعالاً لا سيما أصحاب المصالح في هذا اللون ، وإن وجـدت أسباب أخرى لهذا اللون ؛ فإننا لم نظفر بشيء يشير إلى ذلك [١] .

وأبرز مَنْ مثل هذا من الشاعرات فضل وخنساء جاريـة هشام المكفوف إذ كـان لكـل منهما من الشعراء أنصار ومؤيدون، فأبو الشبل البرجمي يعاون فضـلاً على خنساء ويـهجوها والقعيدي والحفصي يعينان خنساء على فضل وأبي الشبل[٢].

وقد بلغ هجاؤهن ما بلغه الهجاء في هذا العصر من فحش وبذاءة ربمـا علـى سـبيل المداعبة و التظرف . ومن أمثلة هذا الهجاء: ما قالته فضل في هجاء خنساء:[٣]

إنَّ خنسـاء لا جُعِلْـتُ فِداهـا ... اشـتراها الكَسَّـارُ مـن مولاهـا
ولـها نكْهَـةٌ يقـولُ مُحاذيـ ... ـها أهـذا حَديثُـها أم فُسَـاها

وردّت خنساء على فضل وأبي الشبل تقول:[٤]

مـاذا مَقَـالٌ لـك يـا فضـلُ بـل ... مَقَـالُ خـنزيرين فَرْديـن
يُكْنـى أبـا الشِّـبل ولـو أبْصَـرتْ ... عينـاه شِـبْلاً راث كَرَيـن

وحاولت الشاعرات في هذه الأمثلة تجريد المهجو من الفضائل والأخلاق ودأبتا في نسبة المعايب والرذائل له بهدف الإساءة إليه والسخرية منه وتشويه صورته وتهوينه وتحقيره لذلك كان الهجاء بعيداً عن الاتزان والهدوء والقبول مجبولاً بـالفحش المـؤذي ، والألفـاظ البذيئـة والتجريح المقذع بصورة تثير السخرية والاشمئزاز دون حياء ، ويسعى نحـو تحويـل صـورة المهجو إلى صورة كاريكاتورية ساخرة [٥]

أما الحرائر فلم أعثر على شعر هجاء لهنَّ ربَّما لأنهنَّ لم يخضن فيه ترفعاً عن التشـبّه بالجواري من ناحية ولانحطاط أساليبه وصوره من ناحية أخرى.

---

(١)المصدر نفسه ، ص٣٩٣ .انظر علي هاشم – الأندية الأدبية ، ص٢٥٦.
(٢) الأصفهاني - القيان، ص١١٦.
(٣) الأصفهاني - الأغاني، حـ١٩، ص٣٠٩
(٦) المصدر نفسه ، ج١٩ ،ص ٣٠٩
(٥) علي هاشم – الأندية الأدبية ، ص٢٥٦ .انظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعـــر الرثـــاء:

يُعدُّ هذا اللون أكثر ألوان الشعر التي قالت فيها المرأة لأنَّها فيه تبكي نفسها ومصيرهـــا بعد وفاة معيلها ، ولأنّها كما يرى النقاد القدامى أشجى الناس قلوباً عند المصيبة وأشدهم جَزَعـــاً على هالك [١] لما ركبَّ الله عز وجل في طبعهن من ضعف العزيمة، ولأنـــها أدقّ حسّـاً وأرقُّ شعوراً[٢].

وقد رثت المرأة الرجل الأب والأخ والزوج والمولى؛ وذلك لتأثيرهم القوي على حياتـها. إذ أنَّ موته يعني مستقبلاً مجهولاً ومصيراً مظلماً ينتظرها لذلك بكت المرأة نفسها وحالها بعـــده ورأت أنَّ من الأصلح لها اللحاق به والموت بعده. وقد كثر هذا اللون عند الحرائـــر والجـــواري وإن كان بين الجواري أكثر.

ومن رثاء الحرائر قول ثمامة بنت عبد الله بن سَوّار القاضي في أخيها سَوّار الذي توفـي سنة ٢٤٥هـ:[٣]

جفـــا جفنـــي الكَـــــرَى بَعْـــــــــدَكَ وانْـــــــهلَّتْ مآقيـــــــــه
أمِنْـــتُ الدَّهْـــــرَ لمـــــا مِتَّـــــــــتَ فَلْتطـــــــرُق دواهيـــــــه
ســـــقى قَـــــبْرَك دان مُسْـــــــــبـــــــلٌ واه عَزَاليـــــــــه
ولا زالَ جَديـــــــــدُ الـــــــرَّوْ ضِ مُفْـــــــــتَرّاً بواديـــــــــه

فالمرأة تبكي أخاها وما كان يوفر لها من الأمن والحماية، فقد كان السند والعضد وكـــلُّ هذا زال بوفاته؛ لذلك كان بكاؤها دائماً، وقد بدا فيه الحزن والقلق على مصيرها بعده حتى أنـــها لم تعد تكترث بما تأتي به الأيام بعد وفاته.

ورثت الحرائر أزواجهن و ما كانوا يوفرونه من الأمن و الحماية لـــهن و رأيـــن مـــن الأصلح اللحاق بهم و عدم الإكتراث بما تأتي به الأيام ، كما في رثاء زهراء الكلابية ابن عمـــها زوجها و بكاء أحوالها بعده ، تقول :[٤]

تَأوَّهتُ من ذكْـــرَى ابـــن عَمِّـــي ودونـــه نَقَـــا هَـــائلٌ جَعِـــدُ الـــثَّرى وصَفيـــح
وكنـــتُ أنـــامُ اللَّيـــلَ مـــن بِتَتـــي بـــه وأعلـــمُ أن لا ضَيْـــمَ وهـــو صحيـــح
فـــأصبحتُ ســـالمتُ العـــدو ولـــم أجـــدْ مـــن السِّـــلْم بُـــدّاً والفُـــؤادُ جَريـــح

---

(١) ابن رشيق - العمدة، جـ٢، ص١٥٣.
(٢) عبدالرشيد عبدالعزيز سالم - شعر الرثاء واستنهاض العزائم، ص١٣.
(٣) السيوطي - نزهة الجلساء في أشعار النساء، ص٢٩ انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص١٦٩.
(٤) البصري – الحماسة البصرية ، ج١ ،ص ٢٢٧ – ٢٢٨ . انظر عبد البديع صقر – شاعرات العرب ،ص١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان بكاؤها على فقدانها الأمان والحماية والعزّ والسعادة التي زالت بموت ابـــن عمـــها مريراً وأصبح مصيرها الذي ينتظرها نقيض ذلك من خوف وقلق وذل، ولو تأملنا هـــذا البكـــاء لوجدنا أنّ جذوره عميقة تعود بنا إلى العصر الجاهلي أو قبله بحيث صوّر المرأة لا تقوى علـــى العيش بدون حماية الرجل مع أنها في حقيقة الأمر صلبة قادرة على العطاء والحياة. ولكن هـــذه الرواسب التي تعمقت داخلها أنطقت لسانها بهذه العلاقة وطبيعتها وهذا الأمر لم يقم الشعر بنقـــده بل رسّخه [١] .

وقد التزمت الشاعرتان بشكليات قصيدة الرثاء من البكاء والحزن على الميت وفضائله ثم الدّعاء له بالرحمة والسقيا ، ومع أن المصادر التاريخية نقلت إلينا العديد من صور التضحية عند الأمهات تجاه أبنائهن ؛ إلا أننا لم نظفر بشعر يصور تجربة فقدان الابن واللوعة عليه أو فقـــدان الأب والحزن عليه عند البنات .

وتعدُّ الجواري أكثر النساء رثاءً لمواليهنّ بسبب خوفهنّ من المجهول الذي ينتظرهن بعد وفاتهم. فقد رثت محبوبة شاعرة المتوكل مولاها عند مقتله سنة ٢٤٧هـ وظلّت تبكيه حتى ماتت تقول:[٢]

أيُّ عَيـــــش يطيـــــبُ لـــــي ... لا أرى فيـــــه جعفـــــراً
مَلِكـــاً قـــذ رأَتْـــهُ عَيْنـــي ... قتيـــلاً مُعَفَّـــراً
كـــلُّ مـــن كـــان ذا هُيَـــا ... م وحُـــزْن فقـــد بَـــرَا
غـــير مَحْبوبـــةَ الَّتـــي ... لـــو تـــرى المُـــوْتَ يُشْـــترى
لاشْـــتَرَتْهُ بمـــا حوتـــ ... ـــه يداهـــا لتُقْـــبرَا
إنّ مـــوتَ الحزيـــن أطْـــ ... ـــيب مـــن أن يُعْمَـــرا

تبكي الشاعرة مولاها المتوكل الذي كان سبباً في هنائها وسعادتها التي زالت بموته وقـــد زادت بكاءها مرارة رؤيته قتيلاً. فلما أحستْ بعجزها عن العيش بعده، رأت الخير في اللحاق به، فموتها أصلح من بقائها لما ينتظرها من مصير مجهول خاصة أنها شهدت مصرع الخليفة علـــى يد قتلته من الأتراك.

ويبرز مدى وفاء الشاعرة لمولاها وهو أمرٌ أكدته المصادر التاريخية عنها (فقد ذكر علي بن يحي المنجم أنّ جواري المتوكل تفرّقن بعد مقتله وصار بعضهنّ لأحد القادة الأتراك ومنـــهن محبوبة فأمرهن ذات يوم بالغناء فحضرن بكامل زينتهنّ ما عدا محبوبة التي رفضـــت الزينـــة والغناء حتى أجبرها على ذلك فغنّتْ هذه الأبيات وهي تبكي؛ فلّما انتهت همَّ بقتلها حتى أنقذها منه

(١) قاسم حسين صالح – صورة المرأة في الشعر العربي ، آفاق عربية ، عدد٢ ، مج١٣ ، سنة ١٩٨٨، ص٧٩.
(٢) السيوطي - المستظرف، ص٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائدٌ آخر استوهبها واعتقها وأمرها أن تقيم حيث أحبّت فخرجت إلى بغداد وأقامت فيها وأُخمل ذكرها حتى ماتت[١]".

وهذا الجانب في الشاعرات الجواري لم تهتّم به المصادر التاريخية بقدر اهتمامها بجلنب المجون والابتذال فيها. كما بكت الشاعرات في رثاء مواليهنّ شجاعتهم وإقدامهم وكأنّ الموت اختارهم بعناية، فقد رثت جارية تسمى هند الشاطبية من أحظى جواري الفتح بن خاقان مولاها عند مقتله مع المتوكل سنة ٢٤٧هـ. تقول:[٢]

قَدْ قُلْتُ للموت حين نازلهُ ... والموتُ مُقْدَامةٌ على البُهَم
ولو تبيّنتَ ما فَعَلْتَ إذن ... قَرَعْتَ سِنّاً عليه من نَدَم
فاذهبْ بمن شِئتَ إذ ذهبت به ... ما بَعْدَ فتح للموت من ألم

فقد اختار الموت الفتح وهو البطل الشجاع صاحب الفضائل والخصال العظيمة ولو أدرك الموت فعلته لقرع سنّه ندماً عليه، فقد كان ألم موت مولاها عظيماً إذ لم تعد تكترث بما تأتي به الأيام بعده وهذا جزءٌ من الوفاء له.

وفي رثاء الجواري لمواليهنّ يبدو واضحاً بكاء النفس والعيش، فالشاعرة فضل تبكي نفسها صبيحة قتل المنتصر المتوكل دون أن تذكر حرصها على الوفاء له لهول ماسيحل بها بعد موته. تقول:[٣]

إنّ الزّمان بذَحل كان يطلبنا ... ما كان أغفلنا عنه وأسهانا
ما لي وللدهر قد أصبحت هَمّتَهُ ... ما لي وللدّهر ما للدّهر لاكانا

وتركز الجواري في رثاء مواليهن على ذكر انقلاب الأحوال وتغير العيش وكدره؛ لذا يحرصن على اللحاق بهم وهذا الأمر طبيعي ؛ لأن الجارية لا تعبر عن تجربة محزنة مرت بها بل تبكي مصيرها بعد مولاها كما تبكي حياة النعيم والأنس التي كانت تعيشها في حياة مولاها؛ وذلك لأن الجارية لا تملك حريتها وبالتالي لا تستطيع تحديد ما ستفعله بعد وفاة مولاها سوى انتظار مولى جديد بعكس المرأة الحرة.[٤]

---

(١) السيوطي - المستظرف، ص٦٧. انظر فايد العمروسي – الجواري المغنيات ، ص٢٣٦، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٣٨٠-٣٨١.
(٢) الحموي - معجم الأدباء، حـ٥، ص٢١٦٣. انظر شاكر الكتبي – عيون التواريخ ، ص٣٨٤.
(٣) الأصفهاني – الأغاني، حـ١٩، ص٣١٠. انظر بشير يموت – شاعرات العرب ، ص٢٤٨. ويذكر أنها قالت هذه الأبيات صبيحة قتل المعتز.
(٤) واجدة الطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٣٨٠-٣٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ اختلافاً في رثاء الرجل للمرأة ورثاء المرأة للرجل [١]، إذ أنَّ الأول يركز على بكاء المرأة وما توفرّه من متعة واستقرار وحب له بينما المرأة تبكي في الرجل نفسها وما حلّ بها من خسارة بزوال العضد والسند والأمان والحماية التي يوفرها الرجل لها. فهي تبكي مصيرها المجهول بعده.

كما يبكي الرجل جمالها الذي زال واندثر بينما هي المسألة عندها أكبر من الجمال إنها تبكي حياتها بعده، وهذا جزء من وفائها له وهو أمرٌ لم يرد عند الرجل؛ لذلك تحدوها الرغبة في اللحاق بالرجل ولا ترى من الصالح البقاء بعده.

ومن استعراض نماذج شعر الرثاء عند المرأة نلاحظ مدى تميز تجربة الرثاء عندها ، حيث تبكي بصدق كل الأحداث المحزنة التي مرت بها عندما تسترجع شريط ذكرياتها ؛ لذا يزداد بكاؤها مرارة كلما قالت أكثر .

شعر الغزل:

عبرت المرأة في هذا اللون عن تجربة الحب عندها ، و ما دار في فلكها من شكوى و عتاب و هجر و حنين ، و كان للجواري فيه نصيب طيب ، ولعل الحياة الاجتماعية والثقافية التي عشنها ساهمت في ذلك. بينما لم نجد ذلك في شعر الحرائر إلا بعض المقطوعات التي قالتها الأعرابيات يصفن فيها حبّهن وما يعترضه من مشاكل وعقبات.

ومن هذه ما رواه أبو بكر بن دريد عن امرأة من لخم يقال لها سُعْدى تحب ابن عم لها يقال له عيسى. فلما خشي أهلها الفضيحة قالوا لها: إنْ نطقتِ فيه بشعر قطعنا لسانك فقالت:[٢]

خليليَّ إن أُصنعِدتما أو هَبَطْتُما ... بلاداً هوى نفسي بها فاذْكُرانيا
ولا تَدَعاني إنْ لأمني ثمَّ لائمٌ ... على سَخَطِ الواشين أن تعذرانيا
فقد شفَّ جسْمي بعد طول تَجَلُّدي ... أحَاديثُ عن عيسى تُشيبُ النَّواصيا
سأَرْعى لعيْسى الودَّ ما هَبّتْ الصَّبا ... وإنْ قَطَعُوا في ذاك عَمْداً لسانيا

ويظهر مدى معاناة الأعرابية في حبّها وغزلها بمن تحب؛ لذلك لجأت بعضهنَّ إلى التكنية خوفاً على نفسها وعلى من تحب كما فعلت زهراء الكلابية التي أحبت إسحاق الموصلي الذي توفى في عهد المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) بعد وفاة زوجها تقول:[٣]

---

(١)أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص١٩.
(٢) ابن الجوزي - أخبار النساء، ص٧٢.
(٣) الأصفهاني - الأغاني، حـ٥، ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَجْـــدِي بجُمْـــل إنّـــي أُجمْجِمُـــه ... وَجْـدُ السَّـقيم بـــبُرْء بعـــد ادْنَـــاف
أو وَجْدُ ثَكلـى أصَـابَ المـوتُ واحِدَهـا ... أو وَجْـدُ مُغْـتَرب مـن بيـن الإلـــف

وقد عبّرت الشاعرة عن أحوالها بحب إسحاق الموصلي الذي كـنّت عنه بلفظة (جُمْـل). لخشيتها على نفسها لو صرّحت باسمه وقد أجابها الموصلي بأبيات يقول فيها [1]:

إقْرِ السَّلامَ علـــى الزَّهـراء إذ شَـحطتْ ... وقـل لـها قـد أذقـتِ القلـبَ ماخافـا
أمـا رثيـتِ لمـــن خلَّفـــتِ مكْتَئبـاً ... يُـــذْري مدامعـــهُ سَـحّاً وتوكافـا
فمـا وَجَـدْتُ علـــى إلْـــفٍ أُفارقُـــهُ ... وجْـدي عليـكِ وقـد فـــارقتُ أُلاّفـا

أما شعر الجواري الغزلي فقد دار في دوائر الحب من وصلٍ وعتاب وغيره واستعطاف وجفاء وحنين.

وغلب على شعر الغزل ظهوره على شكل مراسلات شعرية تبادلتـها الشـاعرات مـع محبيهنّ من الشعراء والأدباء ورواد مجالس الخلفاء، وعلى شكل مساجلات ومطارحات شـعرية بينهنّ وبين رواد مجالس الأدب والمنتديات الخاصة التي تقعد في منازل بعضهن. وتتميـز هـذه المراسلات والمساجلات بكثرتها وتنوّعها ودورها في إثراء القرائح وشـحذ القـدرات وتشـجيع الحركة الأدبية. ومن أمثلة هذه:

رسالة الشاعرة فضل التي تبث فيها شوقها وحبّها وحنينها لأحد عُشّاقها وربما سعيد بـن حُمَيد الذي قالت فيه أكثر شعرها تقول:[2]

نَعَـمْ وإلـــهي إنّنـــي بـــك صَبَّـــةٌ ... فـهل أنـتَ يـا مـن لا عَدِمـتُ مُثِيْـب
لمِـن أنـتَ منـه فـي الفُـؤاد مُصَـوَّرٌ ... وفي العَيْنِ نَصْـبَ العيـن حيـن تَغِيْـب
فَثِـقْ بـوداد أنـــتَ مُظْـــهر مِثْلِـــهِ ... علـى أنّ بـي سُـقْماً وأنـــت طبيـــب

وبدت الشاعرة في رسالتها أكثر حبّاً وشوقاً من حبيبها، فما أظهر شيئاً مـــن الحـب إلا زادت عليه، حتى كان سقمها وطبيبها معاً، وفي تعبيرها عن حبها كانت سهلة العبـارة، بسـيطة اللغة، ظاهرة الشكوى والتذلل.

واستغلت الشاعرات كل فرصة للتعبير عما بقلوبهن من حب وإعجاب، فـــهذه محبوبـة الشاعرة التي أحبت الخليفة المتوكل تستغل تقديمه تفاحةً لها، فتناجيها في رسالة غرامية تبعث بها إلى الخليفة تقول:[3]

---

(١) المصدر نفسه ، ج٥، ص٢١٦. أنظر واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٤١٩ .
(٢) المصدر نفسه، حـ١٩، ص٣٠٣.
(٣) السيوطي - المستظرف، ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـا طيـــب تفاحـــة خلـــوت بـــها تشـــعل نـــار الـــهوى علىكبـــدي
أبكـــي إليـــها وأشـــتكي دنفـــي ومـــا ألاقـــي مـــن شـــدة الكمـــد
لـــو أن تفاحـــة بكـــت لبكـــت مـــن رحمتـــي هـــذه التـــي بيـــدي
إن كنـت لا ترحميـــن مـــا لقيـــت نفســـي مـــن الجـــهد فـــارحمي جســـدي

وفي هذه الرسالة عبرت الشاعرة في شكوى قلبها لحبة التفاح عطية الخليفة عـــن حـــب أخفته عن العيون ولاقت في سبيله الكثير من الآلام التي أجهدت نفسها وأهلكت جســـدها. وقـــد تستغل الشاعرة تلك المطارحات الشعرية والمساجلات التي تحدث فـــي المجـــالس والمنتديـــات لتعرض هواها وتكشف عمن يحبها. "كما في طلب المتوكل من الشاعرتين بنان وفضـــل إجـــازة قول الشاعر:

تعلمت أســـباب الرضـــا خـــوف هجرهـــا وعلمـــها حبـــي لـــها كيـــف تغضـــب

فأجازته فضل:

يصـــد وأدنـــو بـــالمروءة جـــاهدا ويبعـــد عنـــي بالوصـــال وأقـــرب

وأجازته بنان:

وعندي لـــها العتبـــى علـــى كـــل حالـــة فما منـــه لـــي بـــد ولا عنـــه مذهـــب[1]"

وفي قول الشاعرتين ما يكشف عن مشاعرهما في حبهما للخليفة.
"وفي مساجلات نبت جارية المعتضد وابن طيفور ما يدل على جرأة الشاعرة في الكشـــف عمـــا يخفيه الشاعر من إعجاب وحب لها وذلك عندما طلب منها أن تجيز قوله:

يا نبت حسنك يعشي بهجة القمر

فقالت:

قد كاد حسنك أن يبتزني بصري

يقول ابن طيفور فوقفت أفكر فسبقتني:

وطيب نشرك مثـــل المســـك قـــد نســـمت ريا الريـــاض عليـــه فـــي دجـــى الســـحر

(١) المصدر نفسه، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزادت فكرتي فبادرتني:

فـــهل لنـــا فيـــك حـــظٌّ مـــن مُوَاصلَـــةٍ أولا فـــإنّي راض منـــك بـــالنَظَر

يقول ابن طيفور وقمت خجلاً من جرأتها وبراعتها في النظم[١]".

وفي هذه المساجلة ما يجعل الشاعرة تقترب من الغزل بنفسها ووصف محاسنها ، وإن كان هـذا الأمر لم يبد واضحاً في غزل الجواري في هذا العصر .

وتصبح الشاعرة في كثير من الأحيان وسيلة لبث مشاعر الحبّ والسعادة بيـن مولاهـا ومولاتها، وهذا دور كبير لعبته الشاعرات وإن لم يكن جديداً في عالم الشعر.

إذ سعت عَريب الشاعرة بذلك عندما طلب منها المتوكل بـثّ قبيحـة مشـاعر الفـرح والسعادة بشفائها من المرض فقالت:[٢]

بثّـتْ قبيحـةُ فـي قلبـي لـها حُرَقـاً وبَدّلـتْ مُقْلَتـي مـن نَومِـها أرَقـا
مـا ذاك إلاّ لشـكواها فقـد عَطَفَـتْ قلبـي علـى كُـلِّ شـاك بعدهـا شَـفقا
كأنّـها زهـرةٌ بيضـاءُ قـد ذَبُلَـتْ أو نَرْجِـسٌ مَـسَّ مِسْـكاً طيّبـاً عَبَقـا
إنّي لأَرْحَـم مـن حُبـيٍّ لـها – سَـلمتْ من كُلِّ حادثـةٍ – يـا قـوم مَـنْ عَشِـقا

ويظهر تماماً مدى الحبّ والقلق الذي عاشه المتوكل على قبيحة في مرضها الذي تـرك علامات مُؤثرة في جمالها، فهي كالزهرة البيضاء الذابلة أو النرجسة التي خلـت مـن الرائحـة الزكية لولا أن مسّها طيب فعبق وانتشر. ولمّا سمعتْ قبيحة الأبيات طلبتْ من الشاعرة عَريب أن تجيب الخليفة على لسانها فقالت:[٣]

يـا سَـيّدي أنـتَ حقّـاً سُـمْتَني الأرَقـا وأنـتَ علّمْـتَ قلبـي الوَجْـدَ والحَرَقـا
لـــولاك لـــم أتـــألّمْ عِلّـــةً أبـــداً لكـن علـى كَبِـدي أسْـرَفْتَ فاحْتَرَقـا
إذا شَـكَوتُ إليـــه الوَجْـــدَ كَذّبنـــي وإنْ شـكا قـال قلبـي خِفْيَـةً صَدَقـا

وفيها بدت المرأة لا تقل حباً وقلقاً عن الخليفة، وما علّتها إلا حبّها له، هذا الحب الذي إنْ أظهرته بدا كذباً لعفته وإن أخفته لا يحتمل لصدقه وألمه ، ولعل ما قامت به عريب هو من قبيـل التخاطب بالشعر ، وهو يشبه إلى حدٍ ما المعارضات لأنه ينظم في الموضوع نفسه وعلى البحـر والقافية نفسها ، ربما كان هذا جديدها في هذا العصر . وهذا يعني أنّ الخلفاء ساهموا في توجيه

(١) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٠٣.
(٢) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، ص٢٣٦.
(٣) المصدر نفسه، تراجم النساء، ص٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالة الأدب وجهةً معيّنة، تمَّ خلالها فتح أبواب جديدة للنظم فيها حسبما تقتضي الظروف والأحوال التي يمرّ بها الخلفاء [١]. فقد ذكرت المصادر أن الخليفة المعتمد طلب من فضل الشاعرة أن تصف جارية أحبَّها وهو لا يزال حديث السِّنّ ولم يستطع شراءها لأنَّ مولاها اشتطَّ في السعر لكنه ظلَّ راغباً فيها حتى بعد أن أصبح خليفة فقالت:[٢]

عَلَمُ الجَمَالِ تركتني ... في الحُبِّ أشهرَ من عَلَم
ونَصَبْتَني يا مُنْيَتي ... غَرَضَ المَظَنَّةِ والتُّهم
فارقتني بعد الدُّنوّ ... فَصِرْتَ عندي كالحُلُم
فلو أنَّ نفسي فارقتْ ... جسمي لفَقْدِك لم تُلَم
ما كان ضَرَّك لو وَصَلْـ ... ـت فَخَفَّ عن قلبي الأَلَم
برسالةٍ تُهْدِيْنَها ... أو زورة تحت الظُّلَم
أولا فطيفي في المنا ... م فلا أقلَّ من اللَّمَم
صِلَةُ المُحِبِّ حَبِيبَه ... الله يَعْلَمُ كَرَم

فنطقت الشاعرة بكل ما يدور في خلد الخليفة من حبٍّ وشوق وعتاب وأمنيات بالوصال بل كانت وسيلته في التعبير عن أحواله النفسية التي يمر بها في حبه لإحدى الجواري ، كما كشفت عن خبرة في وسائل التعبير عن الحب وطرق الوصال التي تخفف لوعة البعد وآلام المكابدة، لكنها لم تنجح في رسم صورة حقيقية للمعاناة التي يعيشها المحب.

وقد تخشى الشاعرة على من تحب تعرضه للخطر بسبب حبها فتخفي مشاعرها ولا تصرّح باسمه بل تتظاهر بكرهه والبعد عنه، وقد سلكت فضل هذا السبيل في حبها سعيد بن حميد وهو الرجل صاحب المكانة المرموقة في الدولة، فقد خشيت عليه من الحاسدين والوشاة فأخفت حبها عن الجميع حتى ظنَّ هو أنَّها لا تحبه ولما عاتبها على ذلك قالت:[٣]

وعَيْشِك لو صَرَّحْتُ باسمك في الهوى ... لأَقْصَرْتُ عن أشياءَ في الهَزْل والجِدّ
ولكنَّني أُبدي لهذا مَوَدَّتي ... وذاك وأُخلو فيك بالبثِّ والوَجْدِ
مَخَافَةَ أن يُغرى بنا قَولُ كاشِحٍ ... عَدُوّاً فيسعى بالوصَال إلى الصَّدّ

فجلُّ ما تخشاه هم الحسّاد والوشاة الذين يعملون على هدم جسور المحبة بين المحبين والإساءة إلى كبار رجال الدولة إذا ما عَرفوا بعلاقاتهم مع شاعرات العصر بالوشاية بهم عند الخلفاء، وتشويه سمعتهم وصورتهم أمامهم حتى يدفعوهم إلى معاقبتهم بطريقة ما، ومثل هذا ما

(١) مصطفى البشير – الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء ، ص٢٤١.
(٢) الأصفهاني- الأغاني، حـ١٩، ص٣٠٢-٣٠٣.
(٣) المصدر نفسه، حـ١٩، ص٣٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حَلَّ بصالح المنذري أحد رجال القصر المعروفين عند المتوكل عندما أُكتُشِفَتْ علاقته بعريب الشاعرة التي تزوجها سِرّاً فأبعده المتوكل إلى منطقة أخرى وحال بينه وبين عَريب التي قالت في الحنين إليه:(١)

أمَّا الحبيب فقد مضى ... بالرَّغم مني لا الرِّضى
أخطأتَ في تركي لمن ... لم أَلقَ فيه عِوَضا

ويظهر مدى معاناة الشاعرة وأنَّ مثل هذا الأمر قد تمَّ دون رضاها، لذلك كأنَّها تعاتب الخليفة على ما حدث إذ أصبحت غرضاً للمظنَّة والتهم مما جعلها تضجر من كل شيء حولها تقول:

لبعده عن ناظري ... صِرْتُ بعيشي غَرَضا(٢)

وقد تغضب الشاعرة لانصراف من تحب عنها فتعاتبه وتؤكد حبها وتصوّر حالها بدونه كما في رسالة فضل إلى سعيد بن حميد:(٣)

يا أيُّها الظَّالمُ مالي ولك؟ ... أهكذا تَهْجُرُ من واصلك
لا تَصْرف الرَّحمةَ عن أهْلِهَا ... قد يَعْطِفُ المولى على من مَلَك
ظَلمتَ نفساً فيك عُلِّقْتُها ... فَدَار بالظُّلم عليَّ الفَلَك

وكتب سعيد بن حميد رسالة يعتذر إليها عن تغيُّر ظنِّها به يقول:(٤)

تظنُّون أنِّي قد تَبَدَّلتُ بَعْدَكم ... بَديْلاً وبَعْضُ الظَّنِّ إثْمٌ ومُنْكَر
إذا كان قلبي في يديكِ رَهِينَةً ... فكيفَ بلا قَلْب أُصَافي وأَهْجُر؟

وقد عبّرت الشاعرة عن غيرتها في عتابها لمن تحب، وكانت أشعار العتاب كثيرة نظراً لعلاقة الرجال المتشابكة مع الجواري. ومن أمثلة هذا: عتاب جارية عبيدالله بن يحيى بن خاقان

---

(١) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، ص٢٣٥.
(٢) المصدر نفسه، تراجم النساء، ص٢٣٥، غرضاً: ضجر وملّ. ابن منظور - اللسان، مادة غرض.
(٣) الأصفهاني - الأغاني، حـ١٨، ص٣٦٥.
(٤) المصدر نفسه، حـ١٨، ص٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزير المتوكل [١] له لانشغاله بأخرى عندما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقريطش[٢] وبينما هو في سرور وحبور مع الأقريطشية جاءه كتاب من جاريته في العراق تعاتبه على نسيانها تقول:[٣]

كيف بَعْدي لاذُقتمُ النَّومَ أنتم ... خبِّروني مُذ بنْتُ عنكم وبنْتُم
بمراض الجفون من خُرَّد العي ... ن وورد الخدود بعدي فتُنْتُم
يا أخلاَّيَ إنَّ قلبي وإنْ با ... نَ من الشَّوق عندكم حيث كُنْتُم
فإذا ما أبَى الإلَهُ اجتماعاً ... فالمنايا عليَّ وحدي وعِشْتُم

فالمرأة استشعرت بغريزتها ما حلَّ بمن تحب من فتنة الجواري أمثالها؛ فأثار ذلك غيرتها وعاتبته عتاباً هادئاً فيه ظهر شوقها وحبّها ووفاؤها، وقد جعلت آخر العتاب دعاء له بالسلامة من الموت وجعلت نفسها فداءه من ذلك.

وقد تخرج المرأة عن هدوئها في العتاب بعد أن تأخذها الغيرة كلَّ مأخذ كما حدث لفَضْل الشاعرة التي بلغها عشق سعيد بن حميد وهو من تحب لجارية من القيان فقالت تعاتبه:[٤]

يا حَسَنَ الوَجْهِ سيئ الأدَب ... شِبْتَ وأنْت الغلاَمُ في الطَّرب
ويحك إنَّ القيانَ كالشر ك الـ ... ـمَنْصوب بين الغرور والكَذب
لا يتصَدَّين للفقير ولا ... يتبعْنَ إلاَّ مواضعَ الذَّهب
بينا تَشَكَّى إليك إذ خرجَتْ ... عن لحظات الشَّكوى إلى الطَّلب
تلحظُ هذا وذا وذاك وذا ... لحظَ مُحِبٍّ بعين مُكْتَئِب

فقد بلغت الشاعرة ذروة انفعالها فأخذت تكيل القدح الجارح لسعيد بن حميد وللقيان وأساليبهن، ولشدة انفعالها نسيت أنَّها إحداهن، كما جعلت عتابها يتحول إلى مايشبه الشكوى الصريحة والهجاء المُرّ. فسعيد بن حميد الرجل الذي كانت تخشى عليه لمكانته وعلمه بدا غلاماً عابثاً جاهلاً يسقط في شباك القيان الحاذقات اللواتي لا يفهمن لغةً إلا لغة المال.

وقد دفعتها غيرتها وعتابها إلى سلوك سبيل آخر تجعل من خلاله سعيد بن حميد يشعر بمرارة الغيرة عندما انصرفت عنه في مجلس الخليفة إلى مغنٍ بارع يسمى (بَنان) فأغضبه ذلك وعاتبها فأرادت أن ترد على عتابه لتزيده غيرةً وشوقاً لها تقول:[٥]

---

(١) أبو الحسين عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل ثم المعتمد كان حسن الحظ ذا معرفة بالحساب، كريما حسن الأخلاق ت٢٦٣هـ. انظر: ابن العماد – شذرات الذهب، جـ٢، ص١٤٧.

(٢) اسم جزيرة في بحر المتوسط تعرف الآن باسم كريت لا يفصل بينها وبين جزيرة قبرص سوى مسافة قصيرة وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى. انظر: الحموي - معجم البلدان، جـ١، ص٢٣٦.

(٣) أحمد بن عبد ربه - طبائع النساء، ص١٣٦.

(٤) السيوطي - المستطرف، ص٥٥.

(٥) السيوطي - المستطرف، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــا مَـــــنْ أطَلْـــتُ تفرُّســـي ... فـــــي وجهـــــهِ وتنفُّسِـــــي
أفديـــــك مـــــن متَدلـــــلٍ ... يَزْهـــــى بقتـــــل الأنْفُـــــس
هِيْنـــي أسَـــأْتُ ومـــا أسَـــأْ ... تُ بلـــى أقَـــرْتُ أنـــا المُسِـــي
أحلفتـــــي ألاَّ أُســـــا ... رقَ نظـــرةً فـــي مَجْلِـــس
ونظـــرتُ نظـــرةَ مُخْطِـــئٍ ... أتْبَعْتُـــــها بتفرُّسِـــي
ونســـيتُ أنِّـــي قـــد حلَفْـــتُ ... فمـــا عقوبـــةُ مـــن نَســـي؟

وتجلّت في الأبيات براعة الشاعرة في هدوئها ودلالها وحججها في إزالة غضب معاتبها ونيل رضاه. فهي بكل بساطة نسيت وعدها له بعدم النظر إلى بنان المغني، وهذا أمر خارج عن إرادتها لا يستدعي عقابه الشديد.

ويروقني تعليق طريف لإحدى الباحثات حول هذه الأبيات تقول :"وهذه فضل الشاعرة تحيل الموقف الغزلي إلى صور ضاحكة ، تدخل من خلالها في باب خفة الظل والظرف الاجتماعي حين تتغزل بغلام ، وكأنها أزالت مسحة الحياء من عالمها ؛ فيغار من غزلها سعيد بن حميد" [١]

وكأني بالباحثة تفترض وجود معيار أخلاقي ثابت عند شاعرات اللهو في هذا العصر ، ولا أعتقد أنه فاتها طبيعة الحياة التي عشنها ، والتي لا مجال فيها للقيم والأخلاق .

وهذا التصرف صدىً لما وصفتها به المصادر التاريخية من أنَّـــها شـــاعرة ماجنـــة[٢].
وتظهر هذه الناحية تماماً في حوارها مع أبي دلف العجلي حول امرأة المتعة إذ يرى الشاعر أنها:

قـــالوا عَشِـــقْتَ صغـــيرةً فأجَبْتُـــهم ... أشْـــهَى المَطِـــيِّ إلـــيَّ مـــا لـــم يُرْكَـــب
كـــم بيـــــن حبَّـــةِ لؤلـــؤٍ مَثْقُوبـــةٍ ... لُبِسَـــتْ وحبَّـــةُ لؤلـــؤٍ لـــم تُـــثْـــقَـــــب

فأجابته فضل إنها:

إنَّ المطيَّـــــةَ لا يَلـــــذُّ رُكوبُـــــها ... حتـــــى تُذَلَّـــــلَّ بالزِّمـــــام وتُرْكَـــــب
والـــدُّرُّ ليـــس بنـــافع أربابَـــه ... حتـــى تُؤلَّـــفَ بالنِّظـــام ويُـــثْـــقَـــب[٣]

ومن الطبيعي أن لا تبتعد فضل في شعرها عن الحب والغرام ، وما يتصل بمجالس الأنس واللهو والمجون ؛ لأنها تصف صفحة من حياتها العابثة ، وتنطق بما تحويه بيئتها اللاهية [٤] .

---

(١) مي يوسف خليف – الشعر النسائي ، ص١٨٩
(٢) السيوطي – المستظرف ، ص٥٠.
(٣) السيوطي – المستظرف ، ص٥١.
(٤) محمد نوفل – المختار من الشعر والشعراء ، ص٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل هذا الشعر ساهمت الجواري بنشره في المجتمع، وهو أمر نابع من واقع الحياة الاجتماعية التي يعشنها ، ويكاد يكون شعر الغزل عند المرأة مرآة صافية لحياته ، وإن لم تكن صادقة احياناً خاصة في شعر الجواري ، الذي يلاحظ فيه خروج عن القيم المرعية ، واختلال في الموازين الأخلاقية ؛ لأنه استجابة طبيعية لحياة اللهو والمجون التي عشنها في قصور المترفين ودور المتقينين [١]

شعر الوصف:

جاء هذا اللون ملبياً حاجات المرأة في نقل وتصوير بعض معالم الحياة المادية والجوانب الحضارية وما يتصل منها بالمرأة، وما يعرض لها في مجالس الخلفاء من حوادث ومواقف تشحذ القدرة على الوصف والتصوير.

ولم أجد فيما حصلت من أشعار ومصادر على شعر وصف للحرائر في حياتهن بينما كان كثيراً عند الجواري، ولعل ظروف الحياة المختلفة بين الطرفين السبب في هذا.

وجاء معظم شعر الوصف في حوادث أو مواقف دارت في فلك مجالس اللهو والأدب وبطلب من الخلفاء أنفسهم كالمتوكل الذي طلب تصوير زوجته قبيحة وقد رسمت اسمه بالمسك على خدها فأعجبه جمال الخد الأسيل والغالية السوداء عليه، وطلب من الشاعر علي بن الجهم وصف ذلك؛ فأخذ يفكر وطلب أدوات للكتابة فانطلقت محبوبة الشاعرة تصف ذلك على البديهة قائلة:[٢]

وكاتبةٍ بالمسك على الخدّ جعفراً ... بنفسي مَخَطُّ المِسْك من حيثُ أثرّا
لئن كتبتْ في الخدّ سطراً بِكَفِّها ... لقد أوْدَعَتْ قلبي من الحُبِّ أسْطُرا
فيا مَنْ لِمملوكٍ لِمُلْكِ يمينه ... مُطِيْعٍ له فيما أسَرَّ وأظْهَرَا
ويا مَنْ مُنَاها في السَّريرة جَعْفَرٌ ... سَقَى اللهُ من سُقْيا ثنايا كِ جعفرا

وتبرز قدرة الشاعرة على النظم بطريقة نالت استحسان الخليفة وتشجيعه، وفيها مزج للوصف والغزل والجمال ، والطريف أن يجمع الواصفة والموصوفة جنس واحد ، مما يعني تشابه في الأطر الجمالية بينهما ، خاصة أن الأبيات تشي بوجود منافسة خفية على قلب الخليفة بينهما . لذلك تظهر في الأبيات الأعمال التي تقوم بها المرأة في مجالس الخلفاء، وفيها تبرز قيمة جمالية تتمثل في إحدى طرق التجميل والزينة وهي الكتابة على الأشياء وأعضاء الجسم كالوجه، فالجارية جعلت الخليفة يتأثر بجمال سواد المسك على بياض الخدّ فيطلب تصويره ووصفه مما

---

(١)الجاحظ-ثلاث رسائل (رسالة القيان)، ص ٧٣ . انظر مي يوسف خليف – الشعر النسائي ، ص١٤٠.
(٢) السيوطي - المستظرف، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعكس رغبة الخلفاء في استغلال كل حادثة لقول الشعر إضافة إلى دورهم في توجيه الشعر إلى موضوعات معينة.

وتعكس الأبيات براعة في الوصف والتصوير الخارجي والداخلي بحيث جعلت الوصف يتحول إلى مديح وغزل، و في هذا شيء من التجديد ، ولا ندري هل ستكون الصورة على هذه الشاكلة لو أن الشاعر نطق أولاً ؟ وفي هذا الوصف تفوّقت الشاعرة على أحد كبار شعراء العصر ممن ضمَّ مجلس الخليفة وهذا يعني وجود أجواء تنافسية لصالح العملية الشعرية.

فقد ذكر علي بن الجهم عجزه أمامها يقول: وتبلّدت خواطري حتى كأني ما أُحسنُ حرفاً من الشعر. قال: فقال لي المتوكل: ويلك يا علي!! ما أمرتك به. فقلت: يا سيدي أقِلْني فوالله لقد عَزَب عن ذهني فلم يزل يضرب به على رأسي ويعيرني به إلى أن مات[١].

وقد لا تصف الشاعرة حادثة معينة وإنما تقوم بوصف المجلس عامة كما فعلت فضل الشاعرة التي وصفت الخليفة المتوكل ومجلس شرابه وما ضمَّ من ساقيات ومغنيّات تقول[٢]:

سُلافَةٌ كالقمر البساهرِ ... في قَدَحٍ كالكوكبِ الزّاهرِ
يُديرُها خَشَفٌ كبدر الدُّجى ... فوق قضيبٍ أهيفٍ ناضرِ
على فتىً أروعَ من هاشمٍ ... مِثْل الحُسَامِ المُرْهفِ البَاتِرِ

وقد جاءت صورة المجلس تقليدية تدور فيه خمرة صافية كالقمر في أقداحٍ لامعة مشعة سقتها غادة كالبدر جمالاً وكالظبي سحراً لها قامة هيفاء مثل القضيب رشاقة. وكان أفضل موجودات المجلس صورة الخليفة الذي بدا قوياً كالحسام الباتر صلباً لا يقاوم.

وقد تصف الحواري الشاعرات أحياناً ما يحلُّ بهنَّ من غضب مواليهنَّ حتى في أحلامهنَّ، كما في حلم محبوبة الشاعرة التي غضب عليها المتوكل فعاقبها بأن منع الجميع من الحديث معها؛ فآلمها ذلك حتى رأت في منامها ما رأب الصدّع بينهما فقالت تصف رؤياها:[٣]

أدورُ في القَصْرِ لا أرى أحَداً ... أشكوُ إليه ولا يُكلِّمني
حتى كأنّي ركِبْتُ معصيَةً ... ليست لها توبةٌ تخلِّصُني
فهل لنا شافعٌ إلى مَلِكٍ ... قد زارني في الكَرَى فَصَالَحَني
حتى إذا ما الصَّباحُ لاحَ لنا ... عادَ إلى هَجْرِ فَصَارمني

فلمَّا سمع الخليفة هذه الأبيات جاءها وصالحها، وقد نجحت الشاعرة في تحويل وصفها إلى شكوى صريحة وعتاب استردت به ما فقدت من علاقتها بالخليفة.

---

(١) المسعودي - مروج الذهب، حـ٤، ص١٣٨.
(٢) الأصفهاني - الأغاني، حـ١٩، ص٣١١.
(٣) السيوطي - المستظرف، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعر النصح والإرشاد:

وهذا اللون ذو علاقة وثيقة بالمرأة في كل زمان ومكان، وهو يكشف عن غريزة المرأة ورغبتها بالأمان و السلامة لها و لمن حولها .. وتبرز فيه خلاصة تجارب المرأة وخبراتها المتراكمة في الحياة، لذلك كان يصدر هذا اللون عن النساء اللواتي تقدّم بهن العمر وعشن حوادث كثيرة.

وبرز هذا اللون في شعر الحرائر لما فيه من عقل وحكمة واتزان، ولاهتمامهنَّ بضرورة الحفاظ على أسرهن لذلك قلَّ كثيراً عند الشاعرات الجواري لقلة اهتمامهنَّ بالأسرة وعيشهنَّ في كنف مواليهن بسعادة وترف.

ومن المضامين التي يحملها هذا الشعر الدعوة إلى الإخلاص والتفاني في العمل للخليفة وحسن اختيار الأصدقاء وسعة الصدر وضبط النفس عند الغضب والصبر على الظلم ودفعه. وهذه أم الشريف أجزلت الموعظة ، وأخلصت النصيحة ، ودعت إلى تحكيم العقل والفكر ، والابتعاد عن أقران السوء لابن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى الشيخ له بعد رفضه إعطاء البيعة للخليفة المعتضد إذ نصحته قائلة:[١]

أقبلْ نَصيحَةَ أمٍّ قَلْبُها وَجِعٌ ... عليك خوفاً وإشفاقاً وقلْ سَدَدَا
واستعمل الفكرَ في قولي فإنك إنْ ... فكّرتَ ألْفيتَ في قولي لك الرَّشَدَا
ولا تَثِقْ برجال في قلوبهم ... ضغائنٌ تَبْعَثُ الشَّنآن والحَسَدا
مثل النِّعاج خمولٌ في بيوتِهِمُ ... حتى إذا أمِنوا ألْفَيتَهم أُسُدَا
ودَاوِ ذلك والأدْوَاءُ ممكنةٌ ... وإذا طبيبك قد ألقى إليك بُدَا
واعطِ الخليفةَ ما يُرضيه منك ولا ... تَمْنَعْهُ مالاً ولا أهلاً ولا ولَدا
وارْدُدْ أخا يَشْكر[٢] رداً يكون له ... ردْءاً عن السُّوء لم تُشْمِتْ به أحدا

وكشفت هذه النصائح عن رؤية عميقة للأمور، وبُعْد نظرٍ في تحليل الأحداث، وفراسةٍ في الرجال، وسعي صادقٍ للخروج من المأزق مع الخليفة لكنَّ ابن أخيها رفض الأخذ بهذه النصائح قائلاً: "ما بآراء النساء تساس الدول ولا بعقولهنَّ يُساس الملك "[٣] بينما أعجبت النصائح الخليفة المعتضد واستحسن عقلها وبعد نظرها. ولمّا فشلت في مهمتها وحلَّ بها وبقومها ما توقعت بكت حزناً وأسفاً فقالت:[٤]

ولقد نَصَحتُ فما أُطِعْتُ ... وكم حُرمتُ بأن أُطاعا

---

(١) المسعودي - مروج الذهب، حـ٤، ص٢٤١. انظر ابن الجوزي - المنتظم ، ج١٢ ، ص٣٩٩-٤٠٠.
(٢) هو شعبة بن شهاب البكري أو (شعلة بن شهاب) رسول المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى الشيخ لنيل البيعة. انظر : المسعودي- مروج الذهب، حـ٤، ص٢٤١.
(٣) المسعودي - مروج الذهب، حـ٤، ص٢٤١.
(٤) المصدر نفسه، حـ٤، ص٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعـــر الزهـــد:

وهذا اللون ردة فعل للحياة الاجتماعية الماجنة التي عاشتها الكثير من الجواري. ولم يصدر هـذا اللون عن زاهدات معروفات؛ وإنما صدر عن شاعرات اللهو والمجون بعد تجربة اجتماعيـة وصحـوة وجدانية تنتاب الشاعرة بعد بلوغها مرحلة عمرية متقدمة فيزجرها الشيب والهرم وتزهد بحيـاة اللـهو والمجون وتحاول التوبة والرجوع إلى الله، ومن العوامل التي تسهم في إقبال المرأة على هـذه الخطـوة افتقارها للجمال والشباب وهما عماد حياة اللهو والمجون.

وإلى ذلك أشار كتاب ابن المعتز إلى خزامى جارية الضبط المغنّى الذي حاول أن يذكرّها بمـا كان بينهما من تواصل:(١)

رأيتـك قـد أظـهرت زُهـداً وَتوبَـةً ... فقـد سَـمُجَتْ مـن بَعْـدِ توبتـكِ الخَمْـرْ
فـأهَدَيْتُ ورداً كـي يُذَكِّـرَ عِيْشَـةً ... لمـن لـم يُمَتِّعْنـا ببهجتـها الدَّهـرُ

وجاءت توبتها ومحاولة زهدها عن قناعة بعدم جدوى حياة اللهو وقد بلغت من الكبر ما يوجـب عليها التوقير تقول في رسالتها التي اعتذرت بها إلى ابن المعتز:(٢)

أتـاني قَرِيـضٌ يـا أمـيري مُحَـبَّرٌ ... حكـى لـي نَظْـمَ الـدُّرِّ فُصِّـلَ بالشَّـذْر
أأنكـرتَ يـا ابـن الأكرميـن إنـابتي ... وقد أفْصَحَـتْ لـي ألسُـنُ الدَّهـر بـالزَّجر
وأدّبنـي شَـرْخُ الشَّـباب بِبَينـه ... فيـا ليـت شِـعْري بعـد ذلـك مـا عُـذري

ومن الواضح اقتناع الشاعرة بأسباب توبتها وزهدها.

وأنطقت مثل هذه التجربة غيرها من الشاعرات المغنيات ، كما فعلت عريب التي عُمِّرت طويـلاً ورأت الحوادث الجسام فعمدت إلى تصوير صروف الزمان وتغيّر الأيام تقول:(٣)

مـن صَـاحَبَ الدَّهـرَ لـم يـأمنْ تَصَرُّفـه ... غبـا وللدهـر احـلاء وامـرار
وكـلُّ شـيء وإن طـالت إقامتُـهُ ... إذا انتـهى فلـه لابـدَّ اقصـار

وروت بعض النساء أشعار غيرها في التوبه والزهد كتلك التي روتها قبيحة زوجـة المتوكـل والتي تظهر مدى نظرتها للحياة تقول:(٤)

---

(١) السيوطي – المستظرف، ص٢١. انظر الأصفهاني – الأغاني ، ج١٠ ، ص ، واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٣٠.
(٢) السيوطي – المستظرف ، ص٢٢.
(٣) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠.
(٤) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص١٢٧، الأبيات لأبي بكر بن العَلاّف البغدادي واسمه الحسن بن علي بن أحمد بن بشار، من أشهر أعلام العصر من النحويين، ت٣١٩هـ. انظر: الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، حـ٧، ص٣٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ســـــتترك بيتـــــاً وثيـــــقَ البنـــــاء إلـــــى بيتـــــك المظلـــــم الواهـــــن
فـــــلا يَغْبِنَـــــنَّ امـــــرؤٌ نَفْسَـــــه فويـــــلٌ مـــــن الغَبْـــــن للغـــــابن

ومع كثرة الزاهدات والعابدات في هذا العصر إلا أننا لم نعثر على أشعار لهنَّ تصور نظرتـــهنَّ للحياة والموت والإنسان.

ومن الواضح أنَّ شعر المرأة جاء تعبيراً عن حياتها حيث نظمت بحريـــة وصـــوّرت ظـــروف حياتها وموقف المجتمع منها إلاَّ أنَّ الكثير من هذه الأشعار لم تصلنا وكل ما وصل لا يتجاوز أغراضـــاً معينة وفي ظروف خاصة لها صلة بروايات تاريخية معيّنة.

ويظهر مما وصلنا من شعر المرأة أنها حاولت النظم في معظم الأغرض الشعرية ، و أجـــادت في بعضها فتفوقت على غيرها من الشعراء ، و أجازت أشعار بعضهم ، و كان لها مجلسها الأدبي ، بل شاركت في مجالس الخلفاء الأدبية تعارض الشعراء و تختبرهم و تجيز أشعارهم ؛ مما يعني قدرتها على نقده ولكن مع ذلك نظر الكثيرون إلى شعرها نظرة سلبية دلت على أنَّ مستوى شعرها غير مُـرْضٍ[١] لا يسمو إلى شعر الرجال ولا يدانيه مستوىً ومكانة وهو في الغالب ومضات أكثرهـــا ســـاذجة وقـــاصرة وضعيفة.

ووردت مثل هذه النظرات فيما تناقلته المصادر التاريخية من أخبار وروايات صدرت عن كبـار الأدباء والمؤرخين في حديثهم عن شاعرات العصر. فأبو الفرج الأصفهاني في حديثه عن شـــعر بدعـــة جارية عريب يقول: "وكانت تقول شعراً ليّناً يستحسن من مثلها [٢]". وهذا يعني أنَّ شعرها يتناسب مـــع قدراتها و لا يسمو إلى أعلى من ذلك ، وكذلك في حديثه عن فضل يقول: "أنهَّا أشعر امـــرأة فـــي هـــذا العصر [٣]". ومثل هذه الأحكام المطلقة تفتقر إلى الدّقة العلمية ولا تعكس قبولاً لمستوى المرأة الشـــعري. وهناك عاملٌ آخر ساهم في تكوين نظرة عدم الرّضا عنه، وهو أنَّ جلَّ الشعر في هذا العصر جاء مـــن الجواري اللواتي حرصن على تعلّمه وروايته ونقده لتعلو أثمانهنَّ؛ فكان تجارةً لم تـــرق للكثـــيرين مـــن المحافظين في المجتمع؛ فلم يشجعوا بناتهم ونساءهم على قوله أو التعامل به فبقي يعكس فئة واحدة مـــن فئات النساء وهي الجواري، وحتى لو ورد على لسان غيرهن من الحرائر؛ فإنَّ المصادر التاريخية لـــم تُعْنَ بتدوينه بقدر عنايتها بتدوين شعر الجواري لاتصاله بالخلفاء والقادة وكبار الشعراء الذيـــن حـــاولوا الاستفادة من الشاعرات وبلاغتهنَّ، فقد ذكرت المصادر أنَّ سعيد بن حميد وهـــو أحـــد كبـــار الأدبـــاء والكتّاب، كان يستفيد من أشعار فضل وقد سُئل لما ماتت إذا كانت فضل تأخذ مـــن أشـــعاره وكتاباتـــه لتقارب الأسلوب بينهما فأجاب أنَّ الأمر على غير ذلك فهو من يأخذ من أشعارها وبلاغتها يقول: "ليتـــها

---

(١) واجدة الأطرقجي - المرأة في الأدب العباسي، ص٢٨٦. انظر يونـس السامرائي – شـعراء عباسيون ، ج٣ ، ص١٦٥، رسائل سعيد بن حميد و أشعاره ، ص ٧٢

(٢) ابن الساعي - نساء الخلفاء، ص٦٣.

(٣) ابن الساعي – نساء الخلفاء ، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسلمُ مني إنّني لآخذ من كلامها ورسائلها"[١]، وفي هذا اعتراف بقدراتها الشعرية التي يستفيد منها الكثيرون لا سيَّما من خلال منتداها الأدبي[٢] ولكن مثل هذه الروايات وغيرها لا تعامل بأكثر من الاستخفاف والتجاهل [٣] ولا تذكرها المصادر إلاَّ على سبيل التنّدر والظرف ، وكذلك المراسلات بين الشعراء والشاعرات ، التي تمثل ظاهرة حضارية [٤] نتجت عن المجالس الأدبية والمنتديات فإنها لم تعامل بطريقة صحيحة ، واقتصرت على أشعار الغزل ؛ فحرمتنا بالتالي من فرصة التعرف إلى طبيعة تلك المراسلات .

كما ساهمت عملية تدوين أشعار النساء في توجيه نظرة استخفاف وعدم رضا عن مستواها الشعري إذ اقتصرت على تصوير ما اتصل من شعرهن بالخلفاء أو الوزراء وذلك في مواقف خاصة لا توفر فرصاً مناسبةً للقول؛ لذلك كان مجمل ما تقوله فيها لا يتعدى بضعة أبيات

تعكس قصر نَفَسِها الشعري .

وهذا يعني أنَّ جلَّ شعرها كما صوّرته المصادر مقطوعات قصيرة تقال في مناسبات طارئة مع تركيز على لحظات اللهو والمجون والابتذال ، والأصل في التجربة الشعرية النسائية أن تكون متميزة عن التجربة الشعرية عند الرجل بحكم الطبيعة النوعية لهما ، وبحكم تعامل

المرأة مع ظروف حياتها ، التي لها ظلالها المنعكسة على إبداعها [٥]، لذلك لا يجب الحكم عليها ضمن منظار رؤية خاص بشعر الرجال فقط ، بحيث لا يصور إبداعها على شكل نتف ومقطوعات فقيرة ، لا تحوي غير أفكار مستهلكة مكررة . مع أن هذه المقطوعات لوعوملت بطريقة جيدة لظهرت فيها التجربة في شكلها الكامل .

كذلك ظلَّ وجود المرأة الشاعرة مرهوناً بالاختبار والامتحان من قبل الشعراء الرجال مما يعكس عدم الثقة بقدراتها الشعرية.

و لعل تركيز الرواة على جوانب أخرى من صورة الشاعرة كإتقانها الغناء خاصة المغنيات الشواعر ساهم في الحد من اهتمامهم بجانبها الشعري . فمثلاً عَريب الشاعرة جاء اهتمام الرواة والخلفاء بها كمغنيّة أكثر من كونها شاعرة؛ لذلك نجد الخليفة المعتمد قد جمع غناءها في ديوان خاص[٦] ولم يهتم بشعرها ، في حين ترى إحدى الباحثات أن اهتمام الخلفاء بها قد شمل ما نظمته من شعر ؛ فجمع لها

---

(١) الأصفهاني - الأغاني، حـ17، ص٣٦٦.
(٢) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص٢٠٠-٢٠١.
(٣) واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ، ص٢٨٧.
(٤) مي يوسف خليف – الشعر النسائي ، ص١٩.
(٥) مي يوسف خليف – الشعر النسائي ، ص٩٣.
(٦) الأصفهاني - الأغاني، حـ٢١، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعتمد ديوان شعرها [١] ، بينما تجمع المصادر أن هذا الديوان ليس شعرها ؛ إنما ديوان أصواتها التي قامت بغنائها شواء أكان الشعر لها أم لغيرها[٢]

أما تقويم المرأة لشعرها بنفسها فلم نحظ بما يثبت ذلك إلا روايات بعيدة عن خنساء الشاعرة في هجائها لفضل و أبي الشبل البرجمي [٣].

ومع هذا جاء شعر المرأة يعبّر عن جوانب حياتها اليومية ويعكس همومها وأدوار حياتها، وإن لم يسهم في رفع قدرها بشكل عام عند أبناء المجتمع الذين ظلّوا يرون أنها أقلّ قدراً من الشعراء الرجال في هذا الميدان.

كما جاء شعر المرأة يتناسب مع شخصيتها إذ سادته الرقّة واللطف والذّوق والجمال مما ساهم في تهذيب الأذواق وإرهاف الحس في إدراك مواطن الجمال والأناقة [٤] .

---

(١) مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، ص١٢٦ .
(٢) الأصفهاني – الأغاني ، ج٢١ ، ص٤١ . انظر ابن الساعي – نساء الخلفاء ، ص٥٧.
(٥) الأصفهاني – الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٣٠٩ .
(٤) واجدة الأطرقجي – المرأة في الأدب العباسي ،ص ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الدراســـــة الفنيـــــة

اللغة والأسلوب

الصور والخيال

الموسيقى

المقدمات والمقطوعات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

جاءت صورة المرأة في شعر الرجل وفي شعرها متباينة لتباين التجربة الشعرية التي عاشها كل منهما سواء كانت تجربة حقيقية أو غير ذلك ؛ وتبعاً لهذا تعددت الصور واختلفت المضامين وإن شدّها جميعاً خيط واحد وهو المرأة . ففي الغزل كانت على قدر كبير من الجمال المادي والمعنوي ، حيث تعامل الشعراء مع قيم الجمال المختلفة في الجسد والروح ومع ما ملكته من وسائل الزينة والتجميل بطريقة تناسبت مع الرؤى الجمالية التي يبحثون عنها ، والتي ساهمت الحضارة بتشكيل جزء منها ، بينما جاءت المضامين في الموضوعات الأخرى أقل تميزاً إذ أنها تقليدية في كثير من الأحيان حيث جعلها الشعراء جزءاً من القصيدة تارة وهدفاً لها تارة أخرى ، نهجهم في ذلك ما سار عليه العرب في هذا المجال ؛ فأكثروا من ذكرها في الرثاء والهجاء وجعلوها جزءاً يسيراً في المديح والفخر والوصف والتهنئة . وبدا في شعر المرأة صاحبة هموم وأحزان وقضايا وأفكار ، تضع أمام عينيها هدفاً واحداً هو حياتها في كل ما نظمت وعبّرت به من شعر في كافة الأغراض الشعرية .

اللغة والأسلوب

اللغة معين الشعراء الذي لا ينضب في تعبيرهم عن مشاعرهم وأفكارهم، ووسيلتهم لإيصال الإيحاءات والرموز التي يريدونها.

ففي عالم الشعر تنتقل اللفظة من دلالتها المعجمية المجرّدة إلى دلالات جديدة تستوحيها من المضامين العامة للسياقات التي ترد فيها، فلغة الشعر تختلف عن غيرها لأنها لغة فنية ينبغي لها أن تصل إلى معانٍ خاصة بشيء من الرمز أو الإيماء أو الإشارة.[١] فالظبي والأقحوان والشمس والقمر وغيرها من الألفاظ التي استخدمت في التعبير عن صورة المرأة خرجت عن اطارها المعجمي لتصبح ألفاظاً ذات دلالة فنية جديدة كلها رموز وإيحاءات.

وتتباين اللغة ودلالاتها الفنية حسب الأغراض الشعرية المختلفة، فهي ترق في موضع الرقة وتقسو في موضع القسوة وتعظم في موضع العظمة والفخر، لذلك فإنّ ألفاظ الغزل والرثاء رقيقة عذبة تحمل زفرات حارة أو عَبَرات محرقة بينما ألفاظ الفخر والمديح تبدو جزلة قوية

---

(١) إبراهيم السامرائي – لغة الشعر، ص٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فخمة تحمل معاني الرفعة والسمو وتكون عكسها ألفاظ الهجاء قاسية تسعى إلى تحطيم المهجو وتشويه صورته.

وعرف النقاد العرب هذا التباين ونبهّوا له وفسرّوا مفهوم الرقة والجزالة في الألفاظ يقول ابن الأثير: "يعتقد البعض أنّ الكلام الوَحْشي الغامض هو الفصيح، وهذا ليس صحيحاً لأنّ الفصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء؛ لذلك فالألفاظ تقسم إلى قسمين: جزيلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه، فالجزيلة تستعمل في وصف مواقف الحروب وفي التهديد والوعيد وأشباه ذلك، أمّا الرقيقة فإنها تستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف. والجزيل هو ما كان عذباً في الفم، لذيذاً في السمع، رقيقاً ليس ركيكاً ضعيفاً، والرقيق هو اللطيف وما كان رقيق الحاشية ناعم الملمس[١]" وترتبّ على هذا التباين أن تأثرت الأساليب بذلك، فأصبح لكل أسلوب ألفاظه ولغته الخاصة التي تتناسب مع مضامينه وتبرزها.

ونبّه النقاد العرب إلى هذا التباين وأهميته يقول القاضي الجرجاني في حديثه عن أفضل الأساليب : "ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرىً واحداً ولا تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك أن تُقَسّم الألفاظ على رُتَبِ المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاءك كاستبطائك ولا هزلك بمنزل جدّك، بل ترتّب كلاً مرتبته وتوفيه حقّه؛ فتلطف إذ تغزّلت، وتفخّم إذا افتخرت وتتصرّف للمديح تصرّف مواقعه، فإنّ المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المديح باللباقة والظرف، فلكل واحد من الأمرين نهجٌ هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه.[٢]"

أما الأسلوب المثالي عنده فهو "ما مال إلى التطبّع وحَسُن له التسهيل، وليس بالسّمح السهْل الضعيف، ولا الركيك، ولا اللّطيف الرشيق الخنث بل النمط الأوسط وهو ما ارتفع عن الساقط السوقي وانحطّ من البدوي الوحشي الغريب.[٣]"

ويمكن أن نقول إنّ الشعر الذي وردت فيه صورة المرأة وشعر المرأة نفسها قد مال إلى هذه الأساليب، واتّسم بالطبع والتناسق والبعد عن الغرابة والتعقيد في الألفاظ والصور والأساليب، فمال الشعراء إلى العناية بانتقاء ألفاظهم من معجمهم الشعري الواسع الذي ورثوه عن العصور السابقة، وكان بعضهم يتتبعها بالنقد الشديد كما كان يفعل البحتري في شعره كله

---

(١) ابن الأثير – المثل السائر، ج١، ص١٦٨.

(٢) القاضي الجرجاني – الوساطة ، ص٢٣.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سواء كان في المرأة أو في غيرها أو في أشعار من اختارهم في حماسته كما يقول الباقلاني "فقد كان يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافي الواقعة [١]" أما ألفاظه فكانت عند ابن الأثير "كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات قد تحلين بأصناف الحلي [٢]"، ولا غرابة فهو شاعر القصور والملوك الحريص على انتقاء ألفاظه وأساليبه لتتناسب مع ذوق بعض ممدوحيه[٣] كما يتضح من خلال نصيحة الفتح بن خاقان له التي أوردها الصولي في أخباره "كنت أمدح المتوكل مقوما لفظي غير مرسل نفسي فقال لي الفتح: ليس بك حاجة في مدح أمير المؤمنين إلى مثل هذا لين كلامك حتى يفهم فإنه يلذ ما يفهم؛ فعلمت أنه نصحني وفعلت ذلك فحظيت عند المتوكل وقربت من قلبه وتوفرت علي صلاته. [٤]"

ولا يعني هذا إنقاصا من فهم الخلفاء للشعر وتذوقهم له بقدر ما يعكس روح المجتمع التي تميل إلى الوضوح والطبع والاتزان والاعتدال؛ لذلك امتدح النقاد هذا الأسلوب فقال الجرجاني "وإنك لا تجد شاعرا يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب، ويرد البعيد الغريب إلى المألوف القريب ما يعطي البحتري، ويبلغ في هذا مبلغه فإنه ليروض لك المهر الأرن رياضه الماهر" [٥]، وغدا هذا الأسلوب مذهبا عاما نجده عند شعراء العصر مثل ابن المعتز الذي غلب على شعره ولغته ذوقه وبيئته فجاء سلسا عذبا بعيدا عن التقعر والوحشية والغرابة. يصفه أبو الفرج وقد أدرك تأثير البيئة المترفة على شعره يقول "فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين" [٦]، وهذا ما نجده في شعر ابن الرومي الذي كان مرآة صادقة لحياته ومجتمعه وبيئته الشعبية، فكانت الشعبية سمة واضحة في شعره[٧]، وهذا ما أخذه عليه النقاد العرب لأن عنايته بنقل دقائق بيئته ومجتمعه دفعته إلى نقل ألفاظها دون المبالاة بما فيها من هجنة اللفظ وخشونته. [٨] ، كما نجده عند الشاعرات : فضل ، عريب ، خنساء ، هند ، محبوبة .

وإجمالا يمكن أن نقول أن لغة الشعر كانت رقيقة عذبة بعيدة عن التقعر والغرابة إلا في بعض شعر الهجاء ، فإننا الشعراء قد تفاوتوا بين الغرابة في استخدام المفردات ، وبين

---

(١)الباقلاني – إعجاز القرآن ، ج١، ص١٥٥.

(٢) ابن الأثير – المثل السائر ، ج١، ص١٧٨.

(٣) شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص٢٠٤.

(٤) الصولي – أخبار البحتري ، ص٨٦-٨٧.

(٥) الجرجاني – أسرار البلاغة، ص١٦٨.

(٦) الأصفهاني – الأغاني، ج١٠ ، ص٣٤٣. انظر مصطفى الشكعة – الشعر والشعراء ، ص٧٧٠.

(٧) شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٢٠٤.

(٨) ابن رشيق – العمدة ، ج١، ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السهولة المتناهية التي تكاد تصل حد الابتذال [١] فالعذوبة والرقة في خطاب المرأة قد تتحول إلى قسوة وعنف حال غدرها وهجرها فتكثر أساليب السخرية والتهكم وتبدو معتدلة في بعضها كما في قول عبيد الله بن طاهر:[٢]

اميطي الهوى إنْ شِئتِ عنّي فانقضي	عُهُودَ الهوى واسترزقي الله في سِتْرِ
فلو كُنتِ لي كفّاً إذاً لقطعتها	ولو كنت لي قلباً نزَعْتُك من صَدْري
ولو كنتِ لي عيناً إذاً لفَقَأْتُها	ولو كنتِ لي أُذناً رَمَيْتُكِ بالوَقْرِ
سألتُك هل للناقضِ العَهْدَ والذي	يَخُونُ سوى الإعراضِ والصَّدِّ والهجر
فإن شئتِ فاقلني وإن شئتِ فاعرضي	فوالله ما أمسيْتِ مني على أمرِ

وتزداد حدة السخرية والتهكم لتتحول إلى هجاءٍ مقذعٍ يصل مرحلة متدنية من الانحطاط لدرجة تخرجه عن أصالته الفنية التي حرص عليها العرب في هجائهم كما يقول أبو عمرو بن العلاء "خيرُ الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها.[٣]"

ولكن شعر الهجاء في هذا العصر خرج على هذه الأصالة وشاعت فيه معاني الفحش والقبح وتكررت على ألسنة الشعراء عادة قذف المرأة التي "ارتبطت بظاهرة اجتماعية قديمة لها قيمتها في النفوس، وهي حرص الناس على سلامة أنسابهم وأصالة محتدهم، فقد كان العربي يعتزُّ أشدَّ ما يعتزّ بهذه القيمة الاجتماعية الخطيرة؛ لأنها ترفعه وتعزُّ مكانه فإذا أراد الشاعر النيل من المهجو بأقصر الطرق وأقوى السبل سعى إلى تحطيمه وإسقاطه من هذه الناحية.[٤]"

وساهم سلوك القيان والجواري وطبيعة الحياة الاجتماعية التي عشنها، والتي اصطبغت بطابع التحرر من قيود الأخلاق في ذلك حتى صارت لفظة القينة تطلق على المرأة الفاجرة[٥]، وهذه المعاني استوقفت النقاد القدامى الذين نظروا إلى هذا الشعر على أنّه سباب محض وليس للشاعر منه إلاّ إقامة الوزن.[٦] ومثال ذلك ما نجده في شعر كبار الهجائين كدعبل الخزاعي وابن الرومي وفي شعر النساء كفضل الشاعرة وخنساء..

---

(١) قحطان التميمي – اتجاهات الهجاء في القرن الثالث ، ص٢٤١.

(٢) الوشاء – الموشى، ص١٤٥.

(٣) ابن رشيق – العمدة، ج٢، ص١٧٠.

(٤) قحطان التميمي – اتجاهات الهجاء في القرن الثالث، ص٢٨٠-٢٨١.

(٥) روفون حست – ابن الرومي ، ص٦٩.

(٦) ابن رشيق – العمدة ، ج٢، ص١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وساهمت هذه المعاني في رسم صور كاريكاتورية غاية في السخرية والإضحاك، وهي صور تدل على براعة في تحويل الصفات الجسدية والمعنوية إلى أجزاء متلائمة تُكَوِّن لوحة ساخرة ومن تلك الصور صورة مغنية عند ابن الرومي:[١]

تَضْغَطُ الصَّوتَ الذي تَشْدو به ... غُصَّةٌ في حلقها مُعْتَرِضَة
فإذا غَنَّتْ بدا في جيدها ... كُلُّ عِرْق مِثْلُ بيتِ الأرضه

فظهرت المغنية مجهدة تشتد في إبراز صوتها الذي لا يكاد يخرج بعد أن اعترضته غصّة لذلك برزت عروق عنقها نافرة مثل بيت الأرضة وهي دودة صغيرة تأكل الخشب .

ونجد ذلك في شعر ابن المعتز في هجائه للجواري والمغنيات وبعض الشخصيات مثل النميري الذي يقول فيه [٢]" :

عجوزٌ كأنَّ الشيب تحت قناعها ... على الرأس والأكتاف قطنٌ مُنَفَّشُ
وقد نصحوا من قبل ذلك زوجها ... فقال لهم وجه المُحرِّش أحْرَشُ

ويلاحظ ذلك في لغة الهجاء عند ابن الرومي أشهر هجائي العصر ، ومثال ذلك هجاء دُرَيْرَة يقول [٣] :

ويلكِ يا قَدَّ الفرستوجة ... ما أنت والله بمَغْنُوجَه
وأنتِ إن غنّيت مثلوجةٌ ... وأنتِ إن حَدَّثْتِ مَفْلوجَه
فبالقناني أنتِ محذوفة ... وبالصواني أنت مشجوجه

يمكننا القول أن لغة الشعر اتسمت برقتها وسهولتها وبعدها عن التقعر والابتذال في معظم الأغراض الشعرية الأخرى غير الهجاء ؛ وذلك نظراً لقدرات الشعراء الأفذاذ من أبناء العصر، ولطبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه الشعراء وهو المرأة، وهذا موضوع قريب من النفس يحتاج إلى الرقة واللّطف واللّين في الأساليب واللغة، كما أنَّ ظهور هذا الجانب كان سمة مميزة في شعر المرأة لأنه من مكملات الجمال ومقومات الحسن في مجالس اللهو والغناء .

كما استغلَّ الشعراء بعض المعاني الدينية والمصطلحات والألفاظ ذات الدلالات الدينية في أشعارهم، ويكثر هذا في شعر الغزل والهجاء، ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي:[٤]

---

(١) ابن الرومي- الديوان ، ج٤، ص١٤٠٨.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص ٤٢٧ .
(٣) ابن الرومي – الديوان ، ج ٢، ص ٤٨١ .
(٤)المصدر نفسه ، ج١، ص٢٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــا قـــاتل اللـــهُ نِســـواناً لـــه مُجنَـــاً يَعْدُون في السَّبْتِ عَدْوَ النَّاشِطِ الشَّبب

ويبدو تأثره بقوله تعالى: "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت. [١]"واستخدم بعضهم ألفاظاً ذات دلالة دينية خاصة مثل ليلة القدر كقول الراضي:[٢]

فَدَيْـتُ مـن بعْـتُ فـي مَحَاسِـنِه دينـــي بـــالإثْم مِنـــه والـــوزْر
.وليلـــةٍ يُنْتَـــجُ السُّـــؤَالُ بهـــا يَصْغُـــرُ قَـــدْراً مـــن لَيْلَـــةِ القَـــدْر

لأنَّ ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر لقوله تعالى" إنَّا أنزلناه في ليلة القدر،وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر.[٣]"

وجعل الفتح بن خاقان مفهومي الغزو والحج خاصين بالحب والهوى وثوابهما به أعظم يقول :[٤]

زَفْـرةٌ فـي الهـوى أحَـطُّ لِذَنْـبٍ مـــن غُـــزَاةٍ وحَجَّـــةٍ مـــبرورةٍ

واستغلَّ الشعراء بعض المناسك الدينية كالحج وشعائره مثل رمي الحجارة في التعبير عن علاقته بالمرأة يقول ابن المعتز :[٥]

أقبلـــنَ يرميـــن الجمَـــارَ تنسُّـــكاً فجعلـــنَ قلبـــك مَوْضِـــعَ الجَمَـــراتِ

وإذا كانت هذه الألفاظ والمصطلحات الدينية ذات قدسية خاصة، فإنَّ الشعراء استغلوا ذلك من باب التظرف والمداعبة واللهو ليضفوا على علاقاتهم شيئا من التميز ، وشاع استخدام ألفاظ مستوحاة من النصرانية كالراهبة والصليب والإنجيل خاصة في الغزل وفي حديثهم عن الساقية والأديرة، وهذا طبيعي لما قامت به الأديرة من نشاط في نشر اللهو، يصف ابن المعتز مجلس شراب زانه ساقٍ نصراني يقول:[٦]

وزانـــه مـــن بيـــن العِبَـــاد رَشَـــأ بـــالجِيْد والمقلتيـــن سَـــحَّارُ
ابـــن نصـــارى يَديـــنُ دينهَـــم حَـــدَّث عنـــه بـــذاك زُنَّـــارُ

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم (١٦٣).
(٢) الصولي – أخبار الراضي، ص١٧٠.
(٣) سورة القدر ، آية رقم (١-٣).
(٤) الحموي – معجم الأدباء ، ج٥، ص٢١٦٢.
(٥) النويري – نهاية الأرب، ج٢، ص٥٦٣.
(٦) ابن المعتز – الديوان، ص٣٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والزُّنار من الملابس المميزة للنصارى خاصة بعد أن ألزمهم الخليفة المتوكل بلبسها وغيرها تمييزاً لهم عن المسلمين [١]، ويصف جحظه البرمكي بعض الرُّاهبات وقد أقمن صلاتهن فيذكر الإنجيل يقول :[٢]

وظباء يتلون سِفْراً من الإنـ ... جيل باكرنَ سَحْرَةً قُرْبانا
لابساتٍ من المُسوح ثِيابا ... جعل اللهُ تحتها أغصانا
خَفِرات حتى إذا دارت الكأ ... سُ كشفن النحور والصُّلْبانا

واستغلوا صورة أنبيائهم مثل يوسف الذي كان رمزاً للجمال كما في قول ابن الرومي:[٣]

لم يُعَادِلْهُ في كَمَال المعاني ... تَوْأَمُ الحُسْن من بني يعقوب

فأضحى على يديه رمزاً للقبح كما في هجائه شنطف وهي مغنّية رديئة عاصرته يقول :[٤]

نأى القُبْحُ عن يُوسِفَ ... وأنتِ له يوسفُ

واستغلوا أيضاً صورة بعض الشخصيات التاريخية المتميزة كالحجاج وذلك في معرض حديثهم عن قسوة المرأة وصدها ، يصور ذلك ابن الرومي في حديثه عن شاجي[٥] :

مَن مُجيري من أضعفِ الناس رُكْناً ... ولعينيه سَطْوَةُ الحَجَّاج

وانعكست ألفاظ بعض الحرف مثل حرفة الكتابة على لغة الشعر خاصة أنَّ الكثير من الكُتّاب كانوا ينظمون الشعر ويتذوقونه ويتضح هذا في قول الناشئ الأكبر :[٦]

يتناقلان اللحظَ من جفنيهما ... فكأنما يتدارسان كتابا
بأنامِلَ منه يلوحُ مِدَادُها ... وأنامِلَ منها كُسِين خضابا

---

(١) الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد، ج٧، ص٢٣٩.
(٢) الشابشتي – الديارات، ص٩٧-٩٨.
(٣) ابن الرومي – الديوان، ج١، ص١٧٣.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦١٨.
(٥) ابن الرومي – الديوان ، ج٢، ص٤٨٩.
(٦) العسكري – ديوان المعاني، ج١، ص٢٥٤. انظر علي أبو زيد – بناء القصيدة في شعر الناشئ الأكبر ، ص ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدم الشعراء ألفاظ المذكر في خطابهم للمرأة [١] ، ويظهر ذلك فيما عرضت من شعر ، ولعل طغيان حركة المجون سبب في ذلك خاصة بوجود الغلمان الذين نافسوا المرأة سلطانها في هذا المجال ، إضافة إلى اتخاذ هذه الألفاظ على شكل رموز خاصة أن اللغة تميل إلى التذكير كثيراً في لغة الخطاب .

وكان للتأثيرات الحضارية والمادية في بيئة العصر تأثيرها على لغة الشعر خاصة عند المترفين أمثال ابن المعتز الذي "عُرف برقة ألفاظه ودماثتها وترفها وبروز عنصر الحضارة والبيئة المترفة فيها مما حوّل فنّ الشعرعلى يديه إلى فن أرستقراطي متميز [٢] " فجاءت المرأة في شعره أرستقراطية ترفل في أثواب النعيم والترف، تحسن أساليب الغنى والجمال والفن حتى في أدق تفصيلاتها؛ فكانت الصور والمغامرات والرؤية الخاصة للجمال من وحي بيئته التي تختلف عن بيئته غيره من الشعراء، فعلى سبيل المثال تغنّى الشعراء جميعاً بصورة المرأة الحسيّة وجمال جسدها الفاتن سواء أكانت المرأة البيضاء أم السوداء وجعلوا لكل منهما صفات فالفجر والشمس والقمر للأولى والمسك والتبر والطيب للثانية، هذه التي رأى فيها ابن المعتز أكثر من ذلك مما يوجد في بيئته ولا يعرفه غيره من الشعراء؛ فكانت جميلة اجتمع فيها الكثير من آيات الحسن يصفها :[٣]

كتب الجمالُ بعَنْبر من لؤلؤ سَطْراً على سَبَج على تُفّاح

فعلى صفحة الوجه اجتمع الجمال والعنبر واللؤلؤ والتفاح والخرز الأسود اللامع بينما لم يجتمع مثل هذا عند غيره. وكذلك صورة الصّدر عند المرأة فالجميع وصفوه بحقاق الطيب المصنوعة من العاج أمّا هو فوجدهما حقين من لُبّ كافورة اعتاد رؤيتها في بيئته بينما لم يعتدها الآخرون يقول :[٤]

أقاتلتي بفُتُور الجفون ورُمّانتين على منبر
كحُقّين من لُبّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عَنْبَر

ولعل الصورة الفنية والتشبيه قد ساعدا كثيراً في إبراز موجودات هذه البيئة المترفة

---

(١) السري الرفاء – المحبوب ، ص١٧٢. انظر عبد الحميد جيدة – مقدمة لقصيدة الغزل ، ص١٧٦-١٨٠، عز الدين إسماعيل – الشعر العباسي ، ص٣٩٧.

(٢) توفيق الفيل – القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي، ص٢٣٣.

(٣) ابن المعتز – الديوان، ص٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه (صنعة الصولي) ، ج٣، ص٢٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحضارية فنالت استحسان النّقاد وإعجابهم .

وتأثر الشعراء بازدهار الحياة العقلية والفلسفية وبنشاط المعتزلة والفرق الكلامية وظهر ذلك من خلال النزعة العقلية التي سادت في شعرهم وفي عرض أفكارهم ومعانيهم وفي بناء صورهم وتشبيهاتهم، ولم يسلم من ذلك حتى المتعصبين لفنيّة الشعر [١] كالبحتري الذي لم يستطع

التخلص من جوانب هذا الفكر في شعره ونجد ذلك في قوله :[٢]

إذا مـا الكَـرَى أهْـدَى إلـيَّ خيالَـهُ شَـفَى قُرْبُـهُ التَّـبريحَ أو نَقَـعَ الصَّـدا
ولـم أرَ مِثْلَيْنـا ولا مِثْـلَ شـأنِنا نُعَـذِّبُ أيقاظـاً ونَنْعَـمُ هُجَّـدا

ويظهر هذا الأثر العقلي في فصله بين الواقع والخيال والحقيقة والوهم وذلك في صورة المرأة في الواقع وصورة طيفها في الحلم أو الخيال . .

وتعمقّ غيره من الشعراء في هذا الأثر خاصة أولئك الذين كان لهم نشاط واضح لاتصالهم بالفرق الكلامية أو لاطلاعهم على المؤلفات الفلسفية مثل العطوي [٣] أحد متكلمي المعتزلة الذي جاء شعره شاهداً على ذلك. ففي صورة المرأة عنده نجده يسبغ عليها آيات من التجريد والفلسفة، فالحب لها يسري في جسده وروحه سريان الأصالة في الفكر وهذا معنىً تناقله الفلاسفة والمناطقة. يقول :[٤]

هي تجري مَجرْى الأصالة في الرّأ ي ومجرى الأرواح في الأجسام

وعبرّ بعضهم عن أبرز مضامين الفلاسفة كفكرة اتحاد الأرواح وامتزاج الأنفس والضمائر كما في قول الحسين بن الضحاك يصف علاقته بمن يحب:[٥]

بأبي مَنْ ضميره وضَميري أبداً بالمغيب ينتجيان
نحن شخصان إن نظرتَ وروحا ن إذا ما اختبرت يمتزجان

---

(١) شوقي ضيف – العصر العباسي الثاني ، ص١٩٠.

(٢) البحتري – الديوان، ج٢، ص٦٧٠.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطيّة، بصري شاعر وهو أحد المتكلمين الحُذّاق في العصر. انظر : المرزباني– معجم الشعراء، ص٤٣٢. انظر شوقي ضيف – العصر العباسي الثاني ، ص١٩٢-١٩٧.

(٤) المرزباني – معجم الشعراء ، ص٤٣٢.

(٥) الحسين بن الضحاك– أشعار الخليج، ص١١٢. انظر شوقي ضيف – الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبرّ ابن الرومي عن هذه المعاني بحكم ثقافته الواسعة في هذا المجال إذ سادت النزعة العقلية كثيراً من قصائده، ويظهر ذلك في مراثيه وغزلياته فعلى سبيل المثال في رثاء زوجته لم يقم ببكائها كما عهد الشعراء وإنما امتنع عن ذلك وسوغ هذا تسويغاً عقلياً يقول :(١)

عينـــيَّ شُـــحًّا ولا تَسِـــحًّا ... جَـــلَّ مُصَـــابي عـــن البكـــاء
أنَّ الأســـى والبكـــاء قِدْمـــاً ... أمْـــرَان كـــالدَّاء والـــدَّواء
ومـــا ابتغـــاءُ الـــدَّواء إلاَّ ... بُغْيَـــا ســـبيل إلـــى البقـــاء
ومبتغـــي العيـــشَ بعـــد خِـــلٍّ ... كاذِبُـــهُ خُلَّـــةُ الصَّفـــاء

فهو لا يريد البكاء عليها لا لأنها لا تستحق ذلك؛ وإنمّا الدموع دواء لمن يشكو علّة الفراق وعلته لا دواء لها ولا يريد لها دواءً لأنه لا يسعى للبقاء حيّاً وإنما يريد اللحاق بها فما حاجته للدموع عندئذٍ.

كما تبرز هذه الناحية في تعامله مع الجمال الحسيِّ إذ يراه ظاهرة جمالية مجرّدة يصفها ويحدد معالمها ويفسّرها ويعلل أسبابها ، كما ظهر هذا في فهم الشعراء للغاية من الحلي ، إذ أن الجمال الحقيقي عندهم لا يحتاج إلى الحلي والزينة ؛ لأنه يطغى عليها فيبطل قيمتها ، بينما القبح هو ما يتدارى وراءها ؛ فتظهر عندئذٍ قيمتها الجمالية ، وبهذا الفهم رأى ابن الرومي ذلك في دريرة التي أهملت الحلي والزينة يقول (٢):

ومـــا الحُلْـــيُ ألا حِيلَـــةٌ لِتَقِيْصَـــةٍ ... تُتَمِّـــمُ مـــن حُسْـــن إذا الحُسْـــنُ قَصَّـــرا
وليـــس لحلـــي فـــي الجميلـــةِ منظـــراً ... جمـــالٌ ولكـــن فـــي القبيحـــةِ منظـــرا

ولأنَّ فهمه للجمال ينزع نحو هذه العقلية ، فإنه يدرك مدى صعوبة تحديد مصدره وهذه من أدق خصائص الجمال ويظهر هذا التسويغ في رده على من طلب منه وصف المغنية (وحيد) فقال:(٣)

وغريـــر بحُسْـــنِها قـــال صِفْهـــا ... قلـــتُ أمـــران هيّـــنٌ وشـــديدُ
يَسْـــهُلُ القـــولُ أنهَّـــا أحْسَـــنُ الأشْـــ ... ـــياء طُـــرّاً ويَصْعُـــبُ التحديـــدُ
أهـــي شـــيءٌ لا تســـأم العيـــنُ منـــه ... أم لهـــا كـــلَّ ســـاعةٍ تجديـــدُ

فالجمال يصعب تحديد مصدره وخصائصه لأنه في تجدّد مستمر ، بينما نجد شعر

---

(١) ابن الرومي – الديوان، ج١، ص٨٠. انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص١٤.

(٢)المصدر نفسه ، ج٢، ص١٠٠٨ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة بعيدا عن هذه الناحية وعلى درجة من البساطة والسهولة والعفوية والبعد عن التأثر بالناحية العقلية .

ومن التأثيرات العقلية التي ظهرت في لغة الشعر ومضامينه ظاهرة قلب المعاني والحقائق، فقد اعتاد الشعراء شكوى الليل والحسّاد والرقباء إلا أنّ بعضهم في هذا العصر قد قلب هذه المعاني فلم يعد الليل بآلامه طويلاً ولم يعد الرحيل مؤلماً والوشاة والرقباء ظالمين، وهذه أفكار فيها شيء من التجديد الذي جاء به الشعراء ومنهم الناشئ الذي لم يعد يشكو من الرقيب على عادة الشعراء وإنما قلب الشكوى المنتظرة شكراً بوجود الرقيب الجميلة التي تحتاج هي نفسها إلى رقيب يقول :(١)

فَدَيْتُك لو أنّهم أنْصَفُوك ... لَرَدّوا النَّواظر عن ناظريك
وهم جَعَلوك رقيباً علينا ... فمن ذا يكون رقيباً عليك
ألم يقرأوا ويحهم ما يرون ... من وحي حُسْنِك في وجنتيك

بل إنّ رؤية الرقيب أضحت تعني رؤية الحبيب ووجوده أضحى محبباً عند الشعراء، وفي العادة هو مكروه لأنه يحول دون المرأة يقول ابن المعتز:(٢)

لا أحبُّ الرَّقيبَ إلا لأني ... لا أرى من أحبُّ حتى أراه

ولم يعد الرحيل كذلك مزعجاً يؤرق الشعراء لأنه لم يمنعهم من التمتّع بالحب والجمال بل رآهبعضهم أسعد اللحظات وأجمل مراحل الحب والجمال كما يقول عبيد الله بن طاهر :(٣)

جَزَى اللهُ يومَ البينِ خيراً فإنّه ... أرَانا علي عِلاّتِه أمّ ثابت
أرَانا رَبيْبَاتِ الخدور ولم نكنْ ... نرَاهُنّ إلا بانْبعَاث البَواعِثَ

وكان كذلك عند الراضي :(٤)

أهوى الفِراقَ وإنْ رأيْتُ المَوتَ في شَخْص الفِراق
لِتَقَارُبٍ عند الوداع وقُبْلَةٍ عند العناق

ومال بعضَ الشعراء إلى ظاهرة التفصيل في الصور والمعاني واستيفائها خاصة ابن

---

(١) الحموي – معجم الأدباء، ج٤، ص١٥٤٩ .انظر شوقي ضيف – العصر العباسي الثاني ، ص ٤٤٩ .
(٢) ابن المعتز – الديوان، ص٧٢٠.
(٣) ابن خلكان – وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٠٤.
(٤) الصولي – أخبار الراضي، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرومي الذي عُرف بإلحاحه على المعنى الواحد استقصاءً واستيعاباً وتفصيلاً حتى دقائق الأشياء. كما يقول ابن رشيق "وكان ابن الرومي ضنينا بالمعاني حريصاً عليها، يأخذ المعنى الواحد ويولّده، فلا يزال يقلّبه ظهراً لبطن ويعرفه في كل وجه حتى يستكمله. [١]"وهذا يعكس مدى تأثره بالحياة العقلية من ناحية وقدراته الشعرية من ناحية أخرى، لعل هذا ما يفسّر طول قصائده مقارنة مع غيره من شعراء العصر. ويظهر ذلك في مراثيه خاصة في رثاء والدته والمغنية (بستان) إذا استقصى فكرة الموت كثيراً [٢] وشمل جزئيات كثيرة كصورة الحياة والموت، وصفات الميت، وموقف الندب والنواح[٣] وهي أمور لم يقف الشعراء عندها طويلاً. وفصّل كذلك في حديثه عن أصوات المغنيات اللواتي استمع لهنّ في حياته حيث بدا كأنّه خبير بالأصوات صاحب قدرة ذوقية خاصة ظهرت من خلال تفصيله في الحديث عن الصوت شكله ونوعه وكيفية خروجه وعلّة ذلك، ويظهر هذا في وصفه صوت وغناء بدعة جارية عريب يقول ابن الرومي :[٤]

لهـا مَسِـيْرٌ فـي أغانيهـا ... تَوَسُّـطَ الإبطـاءَ والسُّـرعه
كـأنَّ رقَّـةَ مَسْـمُوعِها ... رقَّـةُ شـكوى سَـبَقَتْ دَمْعَـه
تُحْسِـنُ فـي البَـدْأةِ لكنّهـا ... أَحْسَـنُ مـن بَدْأَتِهـا الرَّجعـه
غَنَّـتْ فلـم تُخْـوَجْ إلـى زامـر ... وهـل يُخْـوجُ الصُّبْـحُ إلـى شَـمْعَه

فقد تتبع الشاعر خروج الصوت من مصدره عبر أوتارها الصوتية ومسيره في مجرى الهواء إلى إعادته وترديده ليصدر حكمه بالإجادة عليها. وهذه الناحية من الرغبة في التفصيل واستيفاء المعاني نالت اهتمام الشعراء ورغبتهم في حديثهم عن مفاتن المرأة الحسّية ومدى التعلّق بها، فهذا ابن بَسام يُفصّل في تمثاله الجمالي يقول:[٥]

يـا مَـنْ تَسَـرْبَل بالملاحـة وارتـدى ... فعليـه تعتكـفُ العيـونُ إذا بـدا
فـيرى هـلالاً زاهـراً، ويـرى قضيـ ... ـباً نـاضراً، ويـرى كثيبـاً أملـدا
فـإذا نَهَضْـتِ تَرَجْرَجْـاً، وإذا سَـفَر ... ـتِ تبلَّجـاً، وإذا مَشَـيتِ تـأوُّدا
فـترى الجبيـن كتـاج مُلْـكٍ زانـه ... دُرٌّ تـراه مُفَرَّقـاً ومُنَضَّـدا
والوجـهُ فضـيٌّ أحـاطَ بوَجْنَتـي ... ذَهَـبٍ فـأنبت عـارضين زَبَرْجَـدا
وفـمٌ عقيقـي تَضمَّـن لؤلـؤاً ... رَطْبـاً ونُظِّـمَ فـوق ذاك زُمُـرُّدا

---

(١) ابن رشيق – العمدة ، ج٢، ص٢٣٨.

(٢) أحمد علي محمد – أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية، ص١١٧.

(٣) انظر من الفصل الثاني، ص٨٠-٨٢.

(٤) ابن الرومي – الديوان، ج٤، ص١٤٩٩.

(٥) الشريشي – شرح مقامات الحريري، ج١، ص١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشاع الحوار في شعر هذا العصر، وهو أسلوب ليس بالجديد إذ أنَّ القصيدة العربية لم تفقده في العصور التي سبقت لكنَّ شيوعه وكثرة وروده جعله سمة مميزة خاصة في شعر الغزل [١] حيث جَسّد الشعراء معاناتهم مع من يحبون، وردّوا على لائميهم ودافعوا عن حبهم وهذا لا يعني أنَّ تتحول قصيدة الغزل إلى معرض للحجج والبراهين على صدق الحب وكره الوشاة ومواقف العتاب، بل جاءت حوارات الشعراء عن وعي وفهم وإدراك بأبعادها ورغبتهم في إضفاء طابع الواقعية والحيوية على قصائدهم عدا عن رغبتهم في تحقيق بناء قصصي لبعضها، إضافة إلى محاولة الشعراء تحقيق ابعادٍ نفسية تكشف عن أعماقهم ونفسياتهم وأفكارهم، كما جاءت بغرض الكشف عن قدراتهم الخاصة في الجدل والنقّاش، وهذا انعكاس واضح للحياة العقلية.

وبنى الشعراء حواراتهم ومشاهدهم الحوارية على طرفين: ذاتي وموضوعي فيجمعون بين الحديث عن الموضوع وتفصيلاته وعن شخصياتهم[٢]، وكأنهم روائيون أداتهم في ذلك ما يمنحه الحوار من حيوية في الوصف وإشراق في الصورة وواقعية في المشهد، وما يعرضه من أبعاد نفسية واجتماعية.

وتتجلى هذه الأركان في حوار علي بن الجهم مع إحداهن :[٣]

مَـرَّتْ فقلـتُ لهـا مقالـة مُغْـرم ... مـاذا عليـك مـن السَّـلام ؟ فَسَـلِّمي
قـالت : لمـن تَعْنـي ؟ فَطَرْفُـكِ شـاهدٌ ... بِنُحُـول جسـمك قلـت : للمتكلِّـم
فتبسَّـمتْ منـي وقـالت لا تـرى ... فلعـلَّ مثـل هـواك بالمتبسِّـم
قلـتُ اتفقنـا فـي الهـوى فزيـارةٌ ... أو قُبْلـةٌ قبـل الزِّيـارةِ قَدِّمـي
فتضـاحكتْ منـي وقـالت هكـذا ... لـو لـم أَدَعْـك تنـامُ ، بـي لـم تَحْلُـم

وحاول الشعراء في حواراتهم أن يجعلوا محاورهم أو شريكهم في الحوار وهي المرأة عادة أول من يبدأ الحوار ليتسنى لهم عرض موضوعاتهم وبناء حججهم كما في حوار ابن الرومي مع زائرته يقول:[٤]

زارتْ علـى غفلـةٍ مـن الحَـرَس ... تُهْـدي إلـيَّ السَّـلامَ فـي الغَلَـس
قـالتْ تَرَامـى بنـا إليـك مـن الشَّـ ... ـوق مُغِـصٌّ بالبـاردِ السَّـلس

---

(١) حسين العلاق – الشعراء الكتّاب ، ص٢٥٠.

(٢) راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي، ص١٦٨.

(٣) علي بن الجهم – الديوان ، ص٢١١.

(٤) ابن الرومي – الديوان، ج٣، ص١٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنـــــتَ لاهٍ بغيرنـــــا ولنـــــا ... فيـــك هـــوىً مُمْسِـــكٌ علـــى النَّفـــس
عَجِبْـتُ مـن ذِلَّتـي ومـن قَلْبـكَ الـ ... ـقاســي علينـــا وخُلْقِـــكَ الشَّـــكِس
لا تَـــأمننَّ الهـــوى وســـطوتَه ... واخْـــشَ رَدَاهُ ومنـــه فـــاحْتَرس
فقلـــتُ : إنّـــي عليـــكِ مُنْعَطِـــفٌ ... وعنـــكِ مـــا عِشْـــتُ غـــيرُ مُحْتَبِـــس
يَـــأْمَنُ غـــدري أخـــو الصفـــاء ولا ... أعـــرفُ إلاَّ الوفـــاءَ مـــن أُنُـــس

فالشاعر جعل زائرته تبدو متلهفة جداً لرؤيته إلى الحد الذي أخرجها عن طورها فقامت بزيارتها المفاجئة، وعرضت شكواها، وبررّت الأسباب التي حملتها على القيام بهذه الزيارة ليتسنى للشاعر عرض ردّه تأكيده على جميل أخلاقه وحُسْنِ وفائه، واكتسب هذا الحوار شيئاً من الروائية والقصصية، إضافة إلى الحيوية التي سرت في أوصاله فكانت توسلات المرأة وبكاؤها خيرَ مُعِين له على ذلك، كما أكسبها حرف الروي السين المكسور امتداداً أطول في النَفَس لتعرض شكواها ومتنفساً لغيظها وحرقتها وكشف الروي المكسور كذلك عن انكسار نفسية المرأة وقلبها لتصرّف الشاعر حيالها. وقد يشرك الشاعر أكثر من طرف في الحوار ليعطي مشهده الحواري صبغة واقعية وحيوية أكثر كما فعل علي بن الجهم الذي مَهَّد لحواره مع المرأة بحوار آخر بين المرأة وصاحبتها التي سهّلت مهمة الشاعر عندما دعتها إلى وصله والرفق به يقول:[1]

ومـا أنَـسَ م الأشـياء لا أنْـسَ قولَهـا ... لجارتهـا مـا أوْلَـعَ الحـبَّ بـالحُرِّ!
فقـالت لهـا الأُخـرى فمـا لَصَديقنـا ... مُعَنّـىً وهـل فـي قَتْلِـهِ لـك مـن عُـذر
صِليـه لعـلَّ الوَصْـلَ يُحيِيـه واعلمـي ... بـأنَّ أسِـيْرَ الحُـبِّ فـي أعْظَـم الأسْـر
فقـالت أذُودُ النَّـاسَ عنـه وقلّمـا ... يطيـفُ الهـوى إلاَّ لِمُنْهَتِـك السِّـتْرَ
وأيْقَنَتَـا أنْ قـد سَـمِعْتُ فقالتـا ... من الطَّارقُ المُصْغِي إلينا ومـا نـدري
فقلـتُ فتـىً إنْ شِـئتما كتَـمَ الهـوى ... وإلاَّ فخـلاّعُ الأعِنَّـةِ والعُـذْر
علـى أنَّـه يشـكو ظُلْومـاً وبُخْلَهـا ... عليـه بتسـليم البشاشـة والبِشْـر
فقـالت كـأنّي بـالقوافي سـوائر ... يَـردْنَ بنـا مِصْـراً وتَصْـدُرْنَ عـن مِصْـر
فقلـت أسَـأْتِ الظَّـنَّ بـي لسـت شـاعراً ... وأنْ كـان أحينـاً يجِيـشُ بـه صـدري
صِلِـي واسـألي مـن شِـئتِ يخـبرك أنّنـي ... علـى كـل حـال نِعْـمَ مسـتَوْدَعُ السِّـرّ

لم يتدخل الشاعر في الحوار الذي أقامه بين المرأتين إلا عندما وجد ضرورة ملحّة ليظهر على مسرح الأحداث؛ فيعلن حبَّه وشكواه رغبة في نيل الرِّضا والوصال بعد أن كشف عن نفسية المرأة. ويظهر من خلال الحوار خوف المرأة وخشيتها من أن يذكر ما دار في

---

(١) علي بن الجهم – الديوان، ص١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حديثها مع صاحبتها من تعلق بالحب وسعي لتعذيب المحب خاصة أنَّ من يحاورها شاعر له باع طويل في عالم الشعر .

وأكسبت الحوارات القصائد روحاً قصصية تبدأ متسلسلة من سبب الحوار وعلة حصوله وصولا إلى النتيجة مما يضفي طابعاً حيوياً على القصائد ويشدها بخيط نفسي وقصصي من البداية حتى آخر كلمة فيها كما في أبيات عبيد الله بن طاهر:(١)

أشَارَتْ بأَطْرَافِ البنان المُخَضَّبِ وضنَّتْ بما تحت النقابِ المُكَتَّب
وعضّت على تفاحةٍ في يمينها بذي أشُر عَذْبِ المذاقةِ أشْنَب
وأومتْ بها نحوي فقمتُ مبادراً إليها فقالتْ هل سَمِعْتَ بأشْعَب

وتبرز هذه الروح القصصية بإحكام في قصة ابن الرومي مع صاحبته التي أرسلت إليه تدعوه لزيارتها يقول :(٢)

كتبتْ ربَّةُ الثَّنَايا العِذَابِ تَتَشَكَّى إليَّ طُولَ اجتنابي

حيث بدت عناصر القصة فيها واضحة من الزمان والمكان والشخوص والحوار إذ بدأت بدعوة الشاعر إلى زيارتها بعد أن وفّرت له كل سبل الأمان لنجاح الزيارة، ولمّا وصلها وجدها ساهرة مع وصيفاتها وجواريها ولا حديث لهنَّ سواه فاستمع إلى ذلك ليشبع غروره حتى إذا ما أحَسّ بوجوده التفتت إليه؛ فشهقت خوفاً ودهشةً لينقلنا إلى صورة حوارية في عتاب حارٍ وصلا في نهايته إلى قمة السعادة الحقيقية ووعدٍ بتكرار مثل هذه الزيارة. وما ساد الأبيات من روح قصصية وأجواء روائية يذكرنا بقصص عمر بن أبي ربيعة مع صاحباته .

وكثر التكرار في الألفاظ والمعاني والصور والمشاهد في شعر أبناء العصر ويعود السبب إلى أنَّ الشعراء ينهلون من نبعٍ واحدٍ ويعيشون الظروف نفسها وقد تزودوا بالكثير من الموروث الشعري؛ لذلك كان كل ما نظم في المرأة من شعر وما قالته المرأة نفسها يحمل صوراً وألفاظاً مكررة وذلك في كافة الأغراض الشعرية، ولا يعني تكرار الألفاظ والمعاني جمودها وشيوع روح الملل لأنها وظفت توظيفاً جديداً. ففي الغزل تكررت ألفاظ الشكوى والشوق والحب في قصائد الشعراء ومقطوعاتهم يقول ابن داود الأصفهاني أحد شعراء الغزل في هذا العصر:(٣)

---

(١) العسكري – الصناعتين ، ص١٤١.

(٢) ابن الرومي – الديوان، ج١، ص٣٣٠.

(٣) ابن داود الأصفهاني – الزهرة ، ج١، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنـي لا أدري أنَّ فـي الصَّـبر راحـةً ولكنَّ إنفاقي على الصَّبر من عُمْري
فلا تطْفِ نارَ الشَّوق بالشَّوق طالباً سُلُوّاً فإنَّ الجَمْرَ يُسْعَرُ بالجَمْر

وحفلت رسائل المحبين بهذه الألفاظ والمعاني كما في رسالة سعيد بن حميدَ لفضل الشاعرة يعاتبها ويسترضيها:[١]

تعالي نجدِّدْ عَهْدَ الرِّضا ونَصْفَح في الحُبِّ عمَّا مضى
ونجري على سُنَّة العاشقين ونضمن عني وعنكِ الرِّضا
ويبذل هذا لهذا هواه ويَصْبرُ في حُبِّه للقضا
ونَخْضَعُ ذُلاً خضوعَ العبيد لمولىً عزيز إذا أعرضا
فإني مُذْ لجَّ هذا العتاب كأنيّ أبْطنتُ جَمْرَ الغضى

الصور والخيال :

يعدُّ الخيال مستودع القدرات الحقيقية للشعراء، وهو من ينقلك إلى عالم الإبداع والفن فيجعل الألفاظ تتحول إلى صور والتراكيب إلى مناظر تنبض بالحياة، وقد أدرك النقّاد العرب أهميةالخيال للعمل الشعري يقول حازم القرطاجني "هو أنّ يتمثّل للسّامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصوّرها أو تصوّر شيء آخر انفعالاً من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض.[٢]"

وهذا ما حققه الخيال الخصب عند كبار شعراء هذا العصر خاصة الذين عرفوا بقدراتهم الكبيرة على الخلق والإبداع كابن المعتز وابن الرومي والبحتري وعلي بن الجهم وغيرهم .

ويعتمد نجاح الخيال على مدى تحقيق اللذة الفنية للقارئ وإشراكه في تشكيل الصور ورسمها؛ لأنَّ امتلاك الأفكار والمشاعر وحده ليس كافياً لكي يجعل المرء قادراً على التعبير الفني والتصوير الشعري [٣] ؛ لأن مسؤولية الشاعر لم تعد التلقين فقط بل المشاركة في خلق عمل جماعي يعبر عن هموم وقضايا فردية أو جمعية يدرك كل فرد أنه جزء منها .

وسعى الشعراء في صورهم الشعرية إلى تحقيق الكثير من الأهداف الجمالية والانفعالية والإيحائية؛ لأنَّ الصور من أرقى أشكال التعبير التي نبّه لها النقاد القدامى كما في قول

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ج١٨، ص٣٦٣.

(٢) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء، ص٨٩.

(٣) مجيد عبد الحميد ناجي – الصورة الشعرية، مجلة أقلام، عدد٤، سنة ١٩٨٤، ص٥-٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجرجاني "واملأ بكل ما يملأ صدراً ويمتع عقلاً، ويؤنس نفساً، وأهدى إلى أن تُهْدى إليك أبداً عذارى قد تَخيَّر لها الجمال، وعُنِيَ بها الكمال، وإنْ تُخْرج لك من بحرها جواهر إن باهَتْها الجواهر مدّت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصر، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تُنْكر، وردّت تلك بصفرة الخجل ووكلتها إلى نسبتها من الحجر، وأن تثير من معدنها تبراً لم تر مثله.[١]"

أما مفهوم الصورة الشعرية عند شعراء العصر ، فلم يخرج عن مفهومها عند الشعراء في العصور السابقة مع شيء من التطوير ، فهي قد تدل على الشكل حيناً وعلى الصياغة حيناً آخر وعلى النظم مرة وعلى المعنى الحسي مرة أخرى ، لكنها لم تكتسب دلالة اصطلاحية واحدة [٢] وهي أنها رسم قوامه الكلمات التي تخلق شيئاً أكثر من مجرد انعكاس متقن للحقيقة الخارجية [٣] ؛ لأنها رؤية خاصة وعالم مستقل تترجم فيه كل الأحاسيس والأفكار والرؤى والتجارب الإنسانية.

وربما جاءت بشيء من هذا المفهوم عند بعض الشعراء كابن المعتز وابن الرومي في كونها تعبر عن كل متكامل من أفكار وعواطف وتجارب لكنها لم تكن بهذا المفهوم عند الجميع .

ومن مصادر الصور الشعرية التي استقى منها الشعراء إبداعاتهم أولاً الصور المستوحاة من الواقع والموروثة التي شكلتها العقلية العربية في العصور السابقة، وهي كما يقول ابن طباطبا "واعلم أنّ العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به خبراتها وأدركته حياتها وقرّبت به تجاربها.[٤]"

وقد تعامل الشعراء بوعي مع هذه الصور التراثية فخضعت الكثير منها للتغيير والتطوير والتحوير لتغيُّر الذوق الجمالي وتطور الحياة الاجتماعية والعقلية وازدهار الحياة الأدبية[٥] ، وساهم هذا أيضاً في خلق صور جديدة، ونجد صدى هذه التغييرات في قول علي بن يحيى المنجم الذي فشل في إرضاء المرأة باعتماده على صور جمالية تراثية لم تعد كافية لإشباع حاجتها من الخيال والتصوير لأنها تبحث عن الجديد والطريف الذي يقترب من حسّها وذوقها ومجتمعها يقول :[٦]

---

(١) الجرجاني – أسرار البلاغة ، ص٤٠.

(٢) ناصر حلاوة – مفهوم الصورة في الموروث العربي القديم ، الأقلام ، عدد٧ ، سنة ١٩٩٠،ص٣٢.

(٣) سي دي لويس – الصورة الشعرية ، ص٢١.

(٤) ابن طباطبا – عيار الشعر، ص١٠.

(٥) عامر نايف اليبتي – بغداد في شعر العصر العباسي الأول ، ص١٠٢.

(٦) النويري – نهاية الأرب ، ج٢، ص٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شَبَّهْتُها بالبدر فاستضحكتْ ... وقابلتْ قولي بالنُّكر
سَفَّهتْ قولي وقالت متى ... سَمُجْتُ حتى صِرْتُ كالبَدْر
البَدْرُ لا يرنو بعين كما ... أرنو ولا يَبْسُمُ عن ثغر
ومن قاس بالبدر صفاتي فلا ... زال أسيراً في يَدي هجري

ويعكس هذا تغييرا في أفكار ومتطلبات المرأة مما يعني تغييرا في نوعية المرأة نفسها؛ وهذا الأمر هو ما جعل ابن المعتز يعدل في صورته للمرأة الجميلة عن البدر لأنه يريد الجديد يقول :[١]

كِدْتُ أقولُ البَدْرُ شبهٌ لها ... أجعلها كالبدر؟ حاشاها

وسرُّ ذلك التغيير هو تغيير طبيعة الذوق وظروف الحياة والبيئة التي جعلتهم يأتون بالجديد الذي يتلاءم مع بيئتهم، وهذا لا يعني أنَّ مثل هذه الصور لم تعد مقبولة وإلاَّ لما استخدمها الشعراء؛ وإنما رغبوا في البحث عن الجديد ورغبوا في الكشف عن قدراتهم الشعرية كما يقول الجاحظ "وقد علم الشاعر وعرف الواصف أنَّ الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية، وأحسن من البقرة، وأحسن من كل شيء تُشَبَّه به، ولكنهم أرادوا القول فشبهوها بأحسن ما يجدون، ويقول بعضهم كأنها الشمس وكأنها القمر، وفي وجه الجارية الحسناء وخَلْقِها ضروب من الحُسْن الغريب والتركيب العجيب ومن يشك أنَّ عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة وأنَّ جيدها أحسن من جيد الظبية والأمر بينهما متفاوت ولكنهم لو لم يفعلوا هذا لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم .[٢]"فحاولوا لذلك تطوير بعض الصور والمشاهد التقليدية لتتأقلم مع واقع مجتمعهم وبيئتهم كصورة النساء اللواتي يضعن البراقع وتظهر أعينهنَّ من وراء الوصاوص [٣] وهو ما أثار إعجاب ابن الرومي فتوَجَ به مدحة له في عبيد الله بن طاهر يقول:[٤]

يَصُنَّ وجوهاً كالبدور وَضَّاءَةً ... لَهُنَّ ضِيَاءٌ من وراء الوصاوص
قرى ماءه فيهنَّ عشرين حِجَّةً ... نَعِيْمٌ مُقِيْمٌ ظِلُّهُ غير قالص
كأنَّ عيون النَّاظرين توسَّمَتْ ... بهنَّ شموساً من وراء نشانص

---

(١) ابن المعتز – الديوان، ص٣٨.

(٢) الجاحظ – رسائل الجاحظ، رسالة النساء، ص١٠٢.

(٣) راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي ، ص١٤٢.

(٤) ابن الرومي – الديوان، ج٤، ص١٣٦٦ . الوصاوص: مضايق مخارج عيني البرقع. ابن منظور – اللسان، مادة وصص ، نشانص: سحاب مرتفع . ابن منظور – اللسان ، مادة نشص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاول الشاعر أن يجعل هذا المشهد التقليدي قريباً من روح العصر وطابعه فالوجوه البيضاء المضيئة تراءت له من القرب بدوراً ، ومن البعد شموساً ، وكلاهما وصف من التراث، ثم جاء بسر هذا التحول الذي جعل ضوء القمر يشتد ويسطع ليصبح شمساً من الحضارة ونعيمها الذي منح ماؤه هذه الوجوه مثل هذا التحول ، وهو نعيم يدركه ويبصره في جواري قصور الخلفاء .

أمّا المصدر الثاني فكان المجتمع العباسي في هذا العصر والحياة الاجتماعية والثقافية والبيئة والطبيعة التي عاشت كل هذا والذوق الجمالي الجديد الذي اعتمد على فكرة التناسق والاتزان والاعتدال .

إذ استغل الشعراء كل رموز الجمال ومعالمه، وكل ما يقع تحت أبصارهم لتشكيل صورهم الفنية حتى أنهمّ استغلوا صورة الخليفة المكتفي الموسوم بالجمال كما يظهر في قول ابن السّراج النحوي يصف جارية أحبها ففارقته :[١]

فايســـتُ بيـــن جمالهـــا وفعالهـــا ... فـــإذا الملاحـــة بالخيانـــة لا تفـــي
واللـــهِ لا كلّمتُهـــا ولـــو أنهـــا ... كـــالبدر أو كالشـــمس أو كـــالمكتفي

كما وظّفه ابن المعتز رمزاً لجمال المرأة يقول:[٢]

وأراه مـــن وَجْـــدِي بـــه ... كـــالبدر أو كـــالمكتفي

وهذه الصور تشير إلى مدى الارتباط بالواقع وبصور الجمال فيه. وكان للحضارة المادية التي شهدها المجتمع تأثيرها في بناء الصور وإثراء الخيال لذلك جاءت لوحاتهم الفنية المستوحاة من الحضارة المادية في إطارين من الجمال: جمال المرأة والجمال المادي المتمثل في جمال القصور والبرك والحدائق والبساتين خاصة الجوانب المعمارية التي نالت عناية الخلفاء والمترفين .

ومن هذه الصور التي كانت الحضارة المادية عمادها صورة الفسيفساء في قصر المتوكل المعروف بالهاروني التي وصفها علي بن الجهم:[٣]

وقُبّـــةُ مُلْـــكٍ كـــأنَّ النُّجـــو ... مَ تُفْضِـــي إليهـــا بأســـرارها
لهـــا شُـــرُفاتٌ كأنّهـــا الرَّبيـــعُ ... كســـاها الرّيـــاضُ بأنوارهـــا

(١) الشابشتي – الديارات ، ص١١٨.
(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٤٨٨.
(٣) علي بن الجهم – الديوان، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظمـــنَ الفســـيفس نَظْـــمَ الحُلِـــيِّ لِعُـــون النِّســـاء وأبْكَارهـــا
فمنهـــن كمصطبحـــات بـــرزنَ بفِصْـــح النَّصـــارى وإفطارهـــا
فمنهـــن عاقصـــةٌ شـــعرها ومُصْلِحَـــةٌ عَقْـــدَ زنارهـــا

وكان فن العمارة في هذا العصر متميزاً مما ساهم في خلق لوحات تصويرية متميزة، اقترن فيها جمال البناء بجمال المرأة، وكان نظم الفسيفساء كنظم الحلي في الشكل وفي إبراز الجمال .

وغدت الطبيعة مصدراً مهماً وخصباً استلهم الشعراء منها الكثير من الصور وحفلت مخيلة الشعراء بآلاف اللمحات والصور الفنية والمشاهد التصويرية الزاخرة بالحياة النابضة بالحركة واللون والصوت، والمتأمل للشعر يدرك ضخامة معجم التشبيهات والصور المنتزعة من الطبيعة، ومن هذه الصور صورة ساقية عند هارون بن علي المنجم يقول:(١)

غصـــنٌ علـــى دَعْـــص نقـــاً مُنْهـــال ســـعى بكـــأس مثـــل لمـــع الآل

فالغصن والرمل والسراب كلها مظاهر طبيعية عاشها الشاعر سواء أكانت ضمن تجاربه أم تجارب غيره ويستغل الشعراء هذه الصور المستوحاة من الطبيعة لتقديم دلالات أعمق من خلال تفسير جملة من العلاقات التي تسود في الحياة مثل علاقة الرجل بالمرأة كما يراها ابن الرومي يقول :(٢)

فهـــي فـــي زِيْنَـــةِ البَغِـــيِّ ولكـــن هـــي فـــي عِفَّـــةِ الحَصَـــان الـــرَّزان

فتبدو الطبيعة كالبغي التي تطمع الرجال ، لكنهم ما إن يقتربوا منها حتى تصد وتبتعد عفةً ورزانة كالحصان الحرة .

كذلك تظهر مثل هذه العلاقات في لوحة علي بن الجهم التي توّج بها مرثاته للمتوكل سنة ٢٤٧ هـ:(٣)

وســـاريةٍ ترتـــادُ أرْضـــاً تَجُودُهـــا شَـــغَلْتُ بهـــا عَيْنـــاً قليـــلاً هُجُودُهـــا
أتتنـــا بهـــا ريـــحُ الصَّبـــا وكأنّهـــا فتـــاةٌ تُزَجِّيهـــا عجـــوز تَقُودُهـــا

---

(١) النويري – نهاية الأرب، ج٥، ص١٢٢. دَعْص: قَوْزٌ من الرمل مجتمعٌ يُشَبّه به عجز المرأة . ابن منظور – اللسان، مادة دعص. نقى: من النقاوة والنقاء والنظافة. ابن منظور – اللسان، مادة نقا .

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤٩٣.

(٣) علي بن الجهم – الديوان، ص١١٣. انظر أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي ، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَميسُ بها مَيْساً فلا هي إن وَنَتْ نهتها ولا إن أسرعت تستعيدها
إذا فارقتها ساعةً ولَهت بها كأم وليدٍ غاب عنها وليدها

أراد الشاعر هنا أن يأتي بصورة حميمة من واقع العلاقات الإنسانية يصف فيها إحدى صور الطبيعة المتمثلة في صورة هذه السحابة وعلاقتها المرتبطة بالريح ؛ فجاء بصورة من واقع الحياة شبيه بهذا الارتباط وهي صورة الأم العجوز التي تخشى على ابنتها الصبيّة اليافعة فتسايرها في مشيتها وإذا فارقتها ولهت عليها، فاختيار هذه الصورة من الطبيعة ومزجها بصورة الأم يدل على مدى تعلّق الشعراء بها لأنها صفة قائمة في علاقاتهم المباشرة في الحياة . ويبقى المصدر الثالث وهو ما يمتلكه الشعراء من قدرات خلاّقة قادرة على صهر الصور التراثية وقادرة على الخلق والابتكار والتجديد تمثل رؤى فنية خاصة بهم .

واعتمد الشعراء في بناء صورهم على كافة ضروب علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية إضافة إلى التشخيص والتجسيم اللذين أضفيا حيوية على الصور وجعلاها ناطقة بالحياة. وتنوعت أشكال الصور الشعرية التي أبدعها خيالهم، ومنها الصورة الحسية التي تتعلق بمعاني الجمال أو القبح الحسية وفيها يقيم الشعراء تراسلاً بين شيئين محسوسين [١] كالمرأة والظبية والأسنان والأقحوان وهكذا وربما كان هذا التراسل المحسوس "قشرة خارجية في حقيقتها علاقة معنوية لبست لباساً حسياً [٢]" لأن الوقوف أمام شيئين محسوسين لم يمنحنا جمالاً ورؤية فنية جديدة إذ لا بد من علاقة معنوية تتجاوز وجه الشبه ، تكون وسيلة للترابط بينهما . فالإحساس هو المعوّل عليه في الصور الحسية ، وما التشابه الشكلي الذي يبدو بين حدي الصورة إلا مظهر خارجي في الشعور والإحساس [٣] فقط مما يمنح الصورة حياة تدوم طويلاً [٤] ومثال ذلك قول ابن الرومي :[٥]

وقبّلتُ أفواهاً عِذاباً كأنّها ينابيعُ خمْر حُصِّبَتْ لؤلؤَ البحر

إذ جعل الشاعر الأفواه العذاب ينابيع خمر لتوحي بالصفاء والبرودة والاستمرار وأمعن في زيادة ذلك كلّه بأن جعله محصبة بلؤلؤ البحر وهي تلك الأسنان البيضاء اللامعة ليزيد في إغراء شاربها وقد انعكست عليها أضواء الشمس . فإحساس الشاعر بعظم النشوة التي شعر بها

---

(١) راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي ، ص١٥٧.
(٢) نصرت عبد الرحمن – الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص١٥.
(٣) عبد القادر الرباعي – الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٥٥.
(٤) سي دي لويس – الصورة الشعرية ، ص١١٤.
(٥) ابن الرومي – الديوان، ج٣، ص٩١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعله لا يذكر إلا إحساس الخمر . ولكي يدوم جعل الخمرة على شكل ينابيع ، ثم كان لرغبته بالبرودة أثرها في إطفاء حرّ مشاعره فأسعفه خياله بحبات اللؤلؤ التي لا تتكون إلا في قعر البحر البارد والمستقر الذي لا تحركه أمواجه العاتية .

كما جعل ابن المعتز الخال على صفحة الخد الأسيل مميزاً في روضة من جلّنار يقول :(١)

عـــــايَنتُ حَبَّـــــةَ خَالِـــــه فـــي روضـــةٍ مـــن جُلَّنـــار

جاءت الضدية اللونية سبيلاً له في رسم صورته ، فقد أعجب الشاعر هذا الخال الذي زين صفحة الخد المورد فأحضر لنا كل صفات الاتساع والراحة التي توفر إحساس المتعة عنده ، فكان الخد روضة من نوع واحد من الأشجار هو الرمان ؛ ليضمن بذلك كثافة لونية متمثلة فيما يمنحه الجلنار من لون ملتهب حار ، ربما اجتمع فيه التورد الطبيعي للخد والتورد الذي سببه الخجل والحياء الذي ارتسم على وجه هذه الفتاة بعد هذه المعاينة التي قام بها الشاعر .

وعندما رسمت عريب صورة مولاتها قبيحة لمّا تماثلت للشفاء استغلت الطبيعة لتؤثر على قلب الخليفة المتوكل فقالت :(٢)

كأنَّهـــا زهـــرةٌ بيضـــاء قـــد ذبلـــتْ او نَرجـسٌ مَـسَّ مِسْـكاً طيّبـاً عَبَقَـا

فجعلتها الشاعرة تبدو كالزهرة البيضاء الذابلة أو كالنرجسة التي يكاد يعبق طيبها لتوحي بمدى تأثير المرض عليها فتؤثر على قلب الخليفة ، إذ يتلاشى الحضور ليحل محله الذبول ، ويحل الشحوب محل النضارة والصحة ، فالزهرة البيضاء والنرجس من الزهور الحساسة جداً للظروف المحيطة بها ، لكن لونها يدفع عنها مثل هذه الحساسية بما يحمله من تفاؤل وأمل وتجدد، ولعل العطر الذي يختبئ داخل كأسيهما هو ما يمنحهما هذا الجانب ، لذلك كان الشفاء الذي دب في أوصال قبيحة وحبها للخليفة هو ما أملى على الشاعرة هذه العلاقة اللونية .

ومنح بعضهم الصور أبعاداً جمالية أكثر عمقاً من خلال التجسيم والتشخيص وبث الروح الإنسانية في موجودات هذه الصور إذ شاركتهم لوحاتهم التصويرية مشاعرهم فخففت عنهم الكثير، كما في مشاركة الطبيعة لابن الرومي أحزانه وآلامه على والدته بعد وفاتها

---

(١)ابن المعتز – الديوان ، ص٣٣٢.

(٢) ابن عساكر – تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، ص٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول:[١]

وأصبـــح يبكيـــكِ السَّـــحابُ مُجـــاوداً ... فـــأرزم إرزام العَجْـــول ومـــا رذم
وقـامت عليـــكِ الجـــنُّ والإنـــسُ كأنمـــاً ... تُبكّـي صـــلاةَ الليـل والخمْـصَ والهَضْـم
ونـاحت عليك الرِّيـحُ عـبرى وأصبحـت ... لَـدُنْ عَدمـتْ رَيّـاك تجـري فـلا تُشـم
وأضحـت عليـك الوَحْـشُ والطـيرُ وُلّهـاً ... تُبكـيِّ الـرَّوَاءَ النَّضـر والمَخْـبَرَ العَمَـم

وأمعن الشاعر في إكساب كل شيء قيمة حياتية معنوية فالسحاب تبكي لكـن بـلا دمـوع والريح تنوح وتصفر دون أن تحمل رائحة المطر والجن والإنس أقامتـا مأتمـاً عليهـا والوحـوش والطير والهة حزينة لفراقها تبكي خضرة الحقول وماءها التي فارقت بموتها .

لقد جعل الشاعر كل صور المشاركة الوجدانية السابقة للطبيعة صوراً للحرمـان بكافـة أشكاله ، حرمان لخيرات المطر المتمثلة في كل صور البكاء (السحاب ، الريح ، الجن والإنس ، الوحـش والطير) لأن المطر سر الحياة والتجدد والأمل والتفـاؤل ، هو بحكم نفسيته التـي لوعهـا فـراق والدته وحرمانه من حبها وحنانها جعل الجميع يبكون الحرمان ليبدو الهدف واضحـاً ؛ فيضمـن بذلك صدق المشاركة .

وتتنوع الصور الحسية عند الشعراء فبعضها بصرية وسمعية وذوقية وشمية ولمسـية[٢] تعتمد كل منها على امتزاج الحواس بالأشياء ، قوامها أشكال التشبيه والاستعارة التـي التصقت بالشعر العربي[٣] .

وجاءت اكثر صورهم الحسية بصرية عمادها حاسة البصر وما تنقل من دقائق الأشـياء وأسرارها باستغلال اللون أو الصوت أو الحركة أو المزج بينها جميعاً، وفي كثرة هذه النوعيـة من الصور دليلٌ على قدرة بارعة في اختيار المناظر البصرية التي لا يدرك سرّ جمالهـا سوى الفنان. ويُعدُّ ابن المعتز أشهر شاعر اعتمد على حاسة البصر في تشبيهاته وصوره التـي راقـت الدّارسين كمـا يقـول حسـين عطـوان "وكـأني بـه اكتشـف منجـم التشـبيه، وتوصّـل إلـى أعماقـه وأغواره وعرف كل ما فيه من الجزئيـات والـذرات التـي راح يستمد منهـا ويشـكلها تشـكيلات مختلفة مضيفاً عليها من رهافة حسّـه ورقـة ذوقـه ومقدرتـه الفائقـة علـى التشـبيه.[٤]" وذلـك لأن الحواس عنده تخلق فيما بينها وشائج قوية متينة لإمداد التشكيل الصوري بقوة وغنى .[٥]

---

(١) ابن الرومي – الديوان، ج٦، ص٢٣١١.

(٢) عبد القادر الرباعي – الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٤٦-١٤٧.

(٣) نصرت عبد الرحمن – الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص١٤.

(٤) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٥) أحمد جاسم حسين – شعر ابن المعتز السياسي ، ص١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الصور البصرية عنده قوله :[١]

وقد هوى النَّجمُ والجوزاءُ تتبعه كَذَاتِ قرطٍ أرادته وقد سقطا

ومثل هذا المنظر قوامه قدرة بصرية على استخلاص الجمال والحركة فيه، وهذا التلهف الذي ربط بين النجم والجوزاء رآه ابن المعتز في أحوال المرأة ولهفتها على أغراضها ووسائل زينتها. ونجده في إحدى مقدماته قد استعان بحاسة بصره وحدّتها على تصوير سحابة ماطرة يقول:[٢]

وباكيةٌ يضحكُ منها بَرْقُها موصولةٌ بالأرض مرماةُ الطُّنب
جاءت بجفن أكحل وانصرفت مرهاء من إسبال دمع مُنْسَكب

وهذه الصورة جاءت مما يبصره ويلتقيه في الجواري اللواتي يتزيّنّ ويعتنين بجمالهن عناية خاصة . وتتميز صوره البصرية بالحركة ، فهو لا يأخذها في طور الكمون والثبات ؛ إنما يقتنص اللحظة الحاسمة وهي في حالة تشكل ونمو فيرصدها حية نابضة بالشعور[٣] واعتمدوا في نقل صورهم البصرية على الألوان كثيراً لما تضفيه على اللوحات من إثارة وأضواء وحركة ومن هذه الصور صورة الجارية بأثوابها الملونة التي رآها ابن المعتز:[٤]

بيضاءُ إنْ لَبِسَتْ بياضاً خلتها كالياسمين مُنَضَّداً في مَجْلِس
وإذا بدتْ في حُمْرةٍ فكأنها وَرْدٌ من الداريِّ حُسْناً مُكْتَسي
وإذا بدت في صُفْرةٍ فكأنها نسرينُ بستان كريم المَغْرَس
وإذا بدت في خُضْرةٍ في صُفرةٍ فكأنَّها للحُسن باقةُ نَرْجس

ويبدو حضور الألوان في هذه الصورة قوياً ؛ مما يعكس تباين الحالة النفسية والشعورية التي يمثلها كل لون بدت عليه الجارية ، إذ اقترن اللون في كل موقف لها بنوع من أنواع الزهور التي يعشقها الشاعر ، وفي تكثيفه لاستخدام أداة التشبيه كأنها خير وسيلة في بناء عالم الصورة التي يبحث عنها . ويبدو حرص الشاعر واضحاً عندما جعل الجمال خاصية ملازمة لكل نوع من أنواع زهوره المفضلة التي كانت أثواب الجارية انعكاساً لها ، وهي أثواب تبدو غالية الثمن،

---

(١) ابن المعتز – الديوان، ص٤٤٩.

(٢) ابن المعتز – الديوان، ص٥٤. مرهاء: مرهت عينها: ابيضت بواطن أجفانها لترك الكحل. ابن منظور – اللسان، مادة مره.

(٣) أحمد جاسم حسين – شعر ابن المعتز السياسي ، ص١٦٤.

(٤) ابن المعتز – الديوان ، ص٤١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الزهور من بيئة المترفين .

وتمتزج الصورة اللونية بالحركية مما يمنح الصورة ألقاً وجمالاً يقول الراضي:[١]

قـــالوا الرَّحيـــلَ فأنشـــبتْ أظفارهـــا فـــي خَدِّهـــا وقـــد اعتلفـــن خضابـــا
فـــاخضرَّ تحـــت بنانهـــا فكأنهـــا غرســـتْ بـــأرض بنفســـج عُنَّابـــا

وفيها بدا خدُّ هذه المرأة التي آلمها الفراق محفلاً اجتمعت فيه كل الألوان التي امتزجت معاً لتعطي هذه اللوحة الجميلة وقد جاءت الألوان فيها في حالة متحركة منحت الصورة عمقاً وحيوية .

كان لنفسية المرأة وانفعالها لحظة سماعها نبأ رحيل الشاعر الأثر الأكبر في تكوينها إذ انطلقت يدها تلقائياً لتلطم خدها بل لتنشب به أظافرها ، وكم في الفعل تنشب من إثارة وكأنها تنتقم من نفسها كانتقام المفترس من فريسته ؛ لذلك جعل الشاعر أظافرها مخضبة ، ليوجد رابطاً نفسياً بين هذا الوحش وبين ما فعلته أظافرها من تأثير قاتل بخدها أدى إلى خروج دمائه الحمراء ، بل أعطى هذا الخضاب صفة النهم بطريقة حيوانية لأن العلف من خصائص الحيوان لتمنحه الحياة ؛ فكانت نتيجة هذا العمل أن أخضر ما تحت أصابعها وكأن الشاعر يحيلنا إلى عملية حراثة من شق الأرض وبيان أديمها الأحمر إلى ظهور الزرع واخضراره حتى تكتمل الصورة بظهور البنفسج وهي نقاط الدم الداكنة أو الزرقاء المائلة إلى السواد ، والتي نتجت بفعل هذا الضغط الذي واجهه الخد من أصابعها المخضبة الحمراء .

كما جاءت بعض هذه الصور على شكل صور جزئية تجتمع لتكون صورة كلية ، يتراءى ذلك من خلال دارة البطيخ مثلاً لابن الرومي التي يمزج فيها الأصباغ والألوان ويركب الصور فيزجيها مجتمعة في لوحة امرأة .

وتأتي بعض الصور عقلية تجريدية تعبِّر عن شيء محسوس بكلمات مجرّدة لا تربطهما علاقة محسوسة [٢]؛ فتعطي بذلك دلالات أعمق ، وتضع الإنسان المتلقي أمام صورتين مختلفتين أو مرآتين تعكسان جانبين مختلفين يقرأهما بالطريقة التي يريد ويتجاوب معهما بالطريقة نفسها .

ونرى ذلك عند ابن المعتز الذي يحيل نظرات المرأة البخيلة إلى نميمة يقول:[٣]

---

(١) النويري – نهاية الأرب ، ج٢، ص٩٥.

(٢) راكان الصفدي – التطور والتجديد في شعر ابن الرومي ، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) ابن المعتز – الديوان، ص٤٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتـــأبى العيـــونُ البُخْـــلُ إلا نميمـــةً بمـــا كتَبـــتْ مـــن خَدِّهـــنَّ الـــبَرَاقِعُ

أراد الشاعر هنا أن يدل على طريقة لباس هذه المرأة ، ووضعها البرقع الذي حرمه متعة الإحساس بجمال العيون فجاء بكلمة النميمة ليظهر المعاناة التي يُحسّها بسبب بخل المرأة، فالعيون التي أسرته وبخلت عليه بنظراتها لا لأنها لا تريد ولكن لأنَّ البرقع الذي وضعته على وجهها قد أخفى كل معالم جمالها، ففرض وجوه رقابة صارمة على عيونها لذا استخدم كلمة نميمة لتوحي بوجود ضغوط خاصة بعد أن استمدها من معجم العلاقات الغرامية التي تسودها النميمة والوشاية والحسد .

ونجد البحتري في وصفه لعلاقته بالمرأة – التي غدت حالة كونية – جعلها رمزاً للشقاء والنعيم فكانت كالدنيا في شقائها وكالجنة في نعيمها يقول:(١)

غِضَـــارةُ دنيـــا شَـــاكَلَتْ بفنُونهـــا مُعَاقَبَـــةَ الدُّنيـــا التـــى تَتَقلَّـــبُ
وجَنَّـــةُ خُلْـــدٍ عَذَّبتنـــا بذلِّهـــا ومـــا خِلْـــتُ أنَّـــا بالجنـــان نُعَـــذَّبُ

فأراد الشاعر أن يوصلنا عن العلاقة التي تربطه بالمرأة في حالتين مختلفتين من شقاء ونعيم فجاء بلفظتي الدنيا والجنة كطرفي لمعادلة الحياة مع المرأة .

وتأتي هذه الصورة متأثرة بالقرآن الكريم ، الذي يعد من أبرز مصادر هذه الصور لأنه يمس أصفى المشاعر وأرقها وأطهرها (٢) فأراد الشاعر منها أن المرأة كجسد تكون في حالة تقلبها وإعراضها فهي في أحوالها كالدنيا بعذاباتها ، وهذا سر نعيمها ، أما المرأة كروح فهي الجنة بكل ما يحيط بالكلمة من هالات التقديس والخضوع ، وهذه يستلزم المرور بمرحلة من العذابات النفسية والروحية للوصول إليها .

ومن أنواع الصور العقلية الصور الافتراضية التي تسعى إلى تحقيق شيء مستحيل أو الوهمية أو الإيحائية .

وقد صدرت هذه الأشكال المتعددة للصور عن طبع فطري خاص بالصور، وعن صنعة خاصة لا تكلف فيها عند البعض .

فالشعراء الذين أنتجوا صورهم عن ذوق فطري خاص لا إغراق فيه ولا تكلف ولا صياغة عقلية يُعَدُّون من الشعراء المطبوعين كالبحتري لأنه كان يصدر عن طبع وسجية

---

(١) البحتري – الديوان، ج١، ص١٣٥.

(٢) عبد القادر الرباعي – الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالصة، لأنَّ صوره تقليدية بسيطة لا تعقيد فيها [١] وكذلك ابن الرومي الذي لم يعقد في صوره على الرغم من ثقافته الفلسفية والعقلية، وبالرغم من حرصه على المعاني دون الألفاظ.[٢]

وكان ابن المعتز صاحب صنعة لطيفة مميزة في صوره التي يصفها ابن رشيق بأنها "وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من ابن المعتز فإن صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع إلاَّ للبصير بدقائق الشعر، وهو عند ألطف أصحابه شعراً، وأكثرهم بديعاً وافتناناً وأقربهم قوافٍ."[٣]"

وأوضح أبو الفرج سَرَّ هذه الصَّناعة في شعره "فيه رقه الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين فإنَّ فيه أشياء كثيرة تجري في سبيل المجيدين ولا تقتصر عن مدى السابقين وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله."[٤]"

وهذا يعني أنَّ صوره فيها صنعة خاصة ومن طابع خاص ليس فيها تعقيد وفلسفة أبي تمام وإنما نوع من الإحكام والاقتدار ولعل ابن الرومي يشبهه في هذه الناحية ويؤكد هذا ابن رشيق في قوله "وفي شعره من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تُبَلَّغ وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز [٥]"، فالصنعة عند ابن المعتز هي التشبيه كما يقول ابن رشيق[٦]، وهو تشبيه بعيد عن الإغراق في العقل والفلسفة، شديد اللصوق ببيئته وحياته المترفة مما جعله يتفوق على معاصريه من الشعراء كابن الرومي الذي عُرف بقدراته التصويرية باستخدام التشبيه وغيره من فنون البيان فيما تناقلته كتب الأدب والنقد من صور فنية وتشبيهات بيانية.

ولعل الاختلاف في طريقة التصوير وغايته ظاهر بينهما[٧]، فابن المعتز يعتمد على التشبيه كثيراً في بناء صوره الفنية لأنَّ غاية التصوير عنده التعبير عن ذوق فني مترف [٨] بينما ابن

---

(١) ابن رشيق – العمدة ، ج١، ص١٠٩ . انظر شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٩٠، ص١٩٣، حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية ، ص٧١.

(٢) ابن رشيق – العمدة، ج١، ص١٠٦. انظر محمد عبد المنعم خفاجي – التشبيه ، ص٣٦، شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص٢١٢.

(٣) ابن رشيق – العمدة، ج١، ص١٠٩.

(٤) الأصفهاني – الأغاني ، ج١، ص٤٣٤.

(٥) ابن رشيق – العمدة، ج٢، ص٢٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٤. انظر أحمد جاسم حسين – شعر ابن المعتز السياسي ، ص١٠٤-١٠٥.

(٧) محمد عبد المنعم خفاجي – التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي، ص٤٧-٥٣.

(٨) نجيب البهبيتي – تاريخ الشعر العربي ، ص٥١٠ . انظر محمد عبد المنعم خفاجي – ابن المعتز وتراثه ، ص٢١٤-٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرومي جعل إلى جانب التشبيه وسائل أخرى كالتجسيم والتشخيص في رسم صوره [١] لأنّ الغاية عنده هي الابتداع والخلق والتجديد والتعبير عن أحواله النفسيّة المضطربة والاجتماعية القلقة [٢]. إضافة إلى الاختلاف في نوعية الصورة وسعة الخيال إذ جاءت معظم تشبيهات ابن المعتز حسيّة وبصرية مترفة [٣]. ونجد هذا في كثير من تشبيهاته وصوره كقوله يصف بعض الجواري عندما زارهن:[٤]

أَشْرَفَ على خَوْفٍ بأغصَانٍ فِضَّةٍ مُقَوَّمَةٍ أَثْمَارُهُنَّ عقيق

بينما كانت عند ابن الرومي مزيجاً من الحسّية والبصرية والتجريدية والعقلية الأمر الذي ساعده على تحقيق غايته من الصور بالابتداع والخلق والتجديد كما نجد في قوله [٥]يصف ريق إحداهن بالخلود والكمال :

وما تعتريها آفةُ بشريةٌ من النَّوم إلا أنها تتخثّر
وغيرُ عجيبٍ طيبُ أنفاس روضةٍ مُنَوَّرةٍ باتت تُراحُ وتُمطر
كذلك أنفاسُ الرِّياض بسُحْرةٍ تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيَّرُ

ويبدو التجديد واضحاً في خلود الريق وطيبه عبر صورة جديدة ، فقد دأب الشعراء على وصف أنفاس المرأة وريقها بالطيب ، لكنه جعل الطيب خاصية من خصائص هذا الريق ملازمة له لا تنفصل عنه ، كما منحها شيئاً من الاستمرار والدوام ، فاجتمعت في هذه الصورة سبل ذلك ، فالنوم أساسها الأول للطيب والبقاء ثم جعل الطيب كالروضة التي أزهرت نباتاتها العطرة ، فانتشر أريجها ؛ ولكي يستمر هذا الشذا بالانتشار منحها المطر حياة أطول واستمراراً دائماً تماماً كما فعل الريق الذي منح الأنفاس طيباً دائماً .

وأثرت البيئة الاجتماعية التي عاشها كلٌّ من الشاعرين في اختلاف صوره الفنية ومجالات الخيال عنده، ومثل هذا لم يغب عن عيون النقّاد والشعراء أنفسهم، فابن الرومي يرد على أحدهم عندما سأله لماذا لا تصوّر كما يصّور ابن المعتز قال "إنّ الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ذلك إنمّا يصف ماعون بيته لأنه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصّرف في الشعر وطلب

---

(١) شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص٢٠٧.

(٢)محمد عبد المنعم خفاجي – ابن المعتز وتراثه ، ص٢١٤-٢١٥.

(٣) توفيق الفيل – القيم المستحدثة في الشعر العباسي ، ص٢٤٤. إنظر أحمد جاسم حسين – شعر ابن المعتز ، ص١٦٣.

(٤) ابن المعتز – الديوان، ص٥٢٩.

(٥) ابن الرومي – الديوان ، ج٣، ص٩٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرزق به أمدح هذا وأهجو هذا كرّة وأعاتب هذا تارة واستعطف هذا طوراً."[١]

وهذا يعني أنّ لكل منهما مذهبه الخاص في التصوير ورؤياه الشعرية الذاتية، وهو أمر ترك علامات واضحة في القصيدة العربية وفي بنائها الفني.[٢]

الموسيقى :

الموسيقى في الشعر نبض الحياة له، وهو ما يحمل الألفاظ والتراكيب والصور عالياً لتحلّق في أجواء ساحرة من الألحان والنغمات بعيداً عن عالم المحسوس، وهي ما يمنح الشعر هذا الألق والتميّز عن الكلام المنثور.

والموسيقى في الشعر نوعان داخلية وخارجية ، ومن المعروف أنه لا يجوز الفصل بينهما إلا أنه أمر اقتضته الدراسة والتحليل فقط ،فالموسيقى خارجية تتمثل في الأوزان العروضية المعروفة التي تمنح الشعر إيقاعات خاصة تختلف باختلاف البحر العروضي ،فقد تنبه النقاد العرب القدماء إلى أهمية الموسيقى العروضية مع ما يقصده الشاعر من أغراض ومعان ؛ فأوجب حازم القرطاجني ذلك بقوله :"لما كانت أغراض الشعر شتى وجب على الشاعر ان يحاكي بلك المقاصد ، بما يناسبها من الأوزان ، فإذا قصد قصداً هزلياً ، أو استخفافياً جاء بما يناسبه من الأوزان الطارئة قليلة البهاء" [٣] والعكس صحيح إلا أن الأمر ليس دائماً ولا أمراً ثابتاً لأن عناصر الشكل كله تسهم في ذلك ، فلا يمكننا القول أن البحر العروضي الطويل مثلاً لا يناسب إلا المديح ، وإن كان يناسبه حقاً إلا أنه أمر غير معوّل عليه ؛ لذلك لم أجد شعراء هذا العصر في تعاملهم مع الغزل قد التزموا بحراً عروضياً واحداً لأنه يتناسب معه مثلاً. وتأثرت هذه الموسيقى بالتطور الكبير الذي حصل في مجال الغناء والعزف والموسيقى في هذا العصر، إذ اصبح الشعراء يميلون إلى النظم على البحور والأوزان الخفيفة والمجزوءة لتتناسب مع هذا التطور خاصة الشعراء الذين كانوا ينظمون أشعارهم للمغنين كما أُثر عن الحسين بن الضحاك الذي "أكثر من إنشاء الشعر للمغنين حتى أصبح أكثر شعره موسيقياً."[٤]

وكذلك نظمت الشاعرات قصائدهن على الأوزان ذات الوقع الجميل والنغم الرائق لأنّها أشعار نظمت لتغنى وذلك في معظم الأغراض الشعرية حتى المديح الذي غلب عليه التفخيم

---

(١) ابن رشيق – العمدة ، ج٢ ، ص٢٣٦-٢٣٧ . انظر ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٩٦.

(٢) محمد عبد المنعم خفاجي – البناء الفني للقصيدة العربية، ص٩٨ .

(٣) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء ، ص٢٦٦.

(٤) الحسين بن الضحاك- أشعار الخليج، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاتزان لمخاطبته الخلفاء والأمراء والقادة، ومثال هذا ما نجده في الحديث عن بدعة الكبرى التي مدحت الخليفة المعتضد بعد عودته منتصراً من إحدى معاركه وقد اعتلاه الشيب فغنّت مديحها الذي تقول فيه :[١]

ما ضرّك الشّيبُ شيئاً ... بل زدت فيه جمالا
قد هذّبتك الليالي ... وزدت فيه كمالا
فعِشْ لنا في سرور ... وانعم بعيشك بالا

ولأن هذه الأوزان الرقيقة تعكس رقة المرأة وتعد من مكملات الحسن والجمال.

أما النوع الثاني فهو الموسيقى الداخلية التي تنبعث من فواصل الكلمات وأجزاء العبارات ومن تجاور الحروف وتلاحمها ومن جرس الألفاظ وأصوات الحروف، وهي تكشف عن عمق المعاني وقوة الأحاسيس والدفقات الشعورية التي تخرجها زفرات الشاعر، وتسهم هذه الموسيقى في إثراء الموسيقى الخارجية وإكسابها إيقاعات مميزة.

ومن المصادر التي تسهم في تكون هذه الموسيقى أصوات الحروف والتآلف بينها وجرس الألفاظ من خلال اتحادها في علاقات تركيبية متتابعة، وهذا المصدر كان محور اهتمام النقاد العرب الذين أكدوا أهميته كما يقول الجاحظ "الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف.[٢]"كما جعلوا لهذا المصدر تأثيره في الإيقاع العام الذي يتناسب مع الموضوع العام الذي يتحدثون عنه كما في قول ابن جني "وذلك إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعُبّرً عنها لترتيبها وتقديم ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحرف على سِمْتِ المعنى المقصود والغرض المطلوب [٣]" كما عدّوا جرس الألفاظ وما يمنحه من موسيقى تلائم الموضوع أساساً للتفاضل بين الألفاظ والحكم على تناسقها [٤] كما يقول ابن الأثير: "لأنّ الألفاظ داخلة في حيّز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح.[٥]"

وهذا يعني أن بناء إيقاع موسيقي داخلي يتناسب مع المعنى العام إنما ينبع من أصغر الوحدات الصوتية ومن التلاؤم بينها في المفردات التي يتكون منها المعنى ومن الدلالات والإيحاءات النفسية التي تعلو أو تهبط، وتقسو أو ترق، وتنفصل أو تتحد تبعاً للعلاقات بين

---

(١) السيوطي – المستظرف ، ج١٤.

(٢) الجاحظ – البيان والتبين، ج١، ص٧٩.

(٣) ابن جني – الخصائص، ج٢، ص١٦٢-١٦٣.

(٤) ماهر هلال – جرس الألفاظ ، ص١٤.

(٥) ابن الأثير – المثل السائر، ج١٤، ص١١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفردات والتراكيب فيمتزج كل ذلك ليعطي لحناً عاماً للنص الشعري، ففي قصيدة ابن الرومي التي يتغنى بها بمحبوبته (وحيد) يأتلف حرف الدال مع غيره من الحروف ضمن كثافة صوتية في استخدامه بحيث يمنح الشاعر أينما جاء موقعه راحة تخرج كل معاني التنهيد من صدره [١] ومثال ذلك ما نجده في قوله :[٢]

أوقدَ الحُسْنُ ناره من وحيد ... فوق خَدٍّ ما شانه تخديد
فهي بَرْدٌ بخدِّها وسَلامٌ ... وهي للعاشقين جُهْدٌ جهيد

وتظهر هذه الكثافة الصوتية لهذا الحرف في تكراره ثماني مرات جاء في أكثرها مجاوراً لحرفي الخاء والجيم لتوحي بمعاني الألم والتوجع والتعب والجهد، وكأنَّ الشاعر اختزل اسم وحيد كله في هذا الحرف؛ فظلَّ يردده ويخاطب به كل لفظة استدعاها في قصيدته لتلازمه هذه الراحة التي يشعر بها وهو يخرج تنهيداته الحارة.

ونجد الأمر يتكرر في حديث ابن المعتز عن رحيل شرة محبوبته إذ أوحت حروف اللين التي اندغمت في مفرداته بمعاني الحزن والألم يقول :[٣]

قراك الهَوى في دار شِرة دَمْعَة ... كَذَينك منها والدِّيارُ تشوقُ
أقامت بها حتّى دَعَتْها لفُرْقَةٍ ... نَوىً كلما مل المَطِيُّ تتوق

فالكثافة الصوتيةلحروف اللين ساهمت في منح الأبيات موسيقى تمتد كامتداد نفس العاشق وهو يخرج زفرات الألم والحزن على فراق محبوبته ..

ويساعد تكرار الألفاظ على بعث موسيقى داخلية تنبعث من هذا التناوب والتلاحق الحاصل في السياق اللغوي، إذ تظل اللفظة المكررة باعثاً نفسياً يهيئه الشاعر بنغمة موسيقية لها حضورها المتميز؛ لأنَّ الغاية التي يتقصّدها الشاعر بتكراره لفظة ما في قصيدته إنما تعكس ما تثيره هذه اللفظة في ذاته من شوق أو استعذاب أو تفجّع .[٤]

لذلك اختلفت الموسيقى الداخلية المنبعثة من اللفظة المكررة باختلاف الغاية التي يقصدها الشاعر، فكان تكرار ألفاظ الغزل والنسيب في معرض الاستعذاب والتشوق والتأسي

---

(١) توفيق الفيل – القيم المستحدثة في الشعر العباسي ، ص٣١٩

(٢) ابن الرومي – الديوان، ج٢، ص٧٦٢.

(٣) ابن المعتز - أشعار الأمير أبي العباس، ج٢، ص٩٠.

(٤) ماهر هلال – جرس الألفاظ، ص٢٣٩-٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمنح القصيدة موسيقى عذبة تنبعث منها آهات المحبين وزفراتهم، نجد هذا في قول البحتري:[١]

بكـــت أعيـــنُ النّـــاس لـــي رحمـــةً ... وتقســـو علـــيَّ وأنـــتَ الحبيـــبُ
حبيـــبٌ أتـــاني علـــى بُخْلـــهِ ... فَتَصْغُـــرُ عنـــدي فيـــه الخطـــوبُ
أُصـــانعُ مـــن أجْلـــهِ أهْلَـــهُ ... فكـــلٌّ لـــديَّ حبيـــبٌ قريـــب

فقد عكست كلمة حبيب التي كررها الشاعر عمق علاقته مع من يحب، كما منحت الأبيات موسيقى خاصة بالحب تسترق وتستعطف قلوب لائميه وقلب محبوبته القاسي وهي موسيقى رقيقة وحزينة .

ومثل هذه الموسيقى الحزينة قد تنبعث في شعر الرثاء عندما يكرر الشاعر اسم المرثي فيمنح أبياته رنيناً عميقاً وحزيناً يعكس حالة الألم التي تشتعل في داخل الشاعر كما في تكرار ابن الرومي اسم بستان المغنية التي يرثيها باكياً:[٢]

بســـتانُ لهفـــي لحُســـن وَجْهـــك والـــ ... إحســـانُ صـــارا معـــاً إلـــى العَفَـــر
بســـتانُ أضحـــى الفـــؤادُ فـــي ولَـــهٍ ... يـــا نزهـــة السَّـــمْع فيـــه والبَصَـــر
بســـتانُ مـــا منـــكِ لامـــرئ عَـــوَضٌ ... مـــن البســـاتين لا ولا البَشَـــر
بســـتانُ أُسْـــقِيْتِ مـــن مدامعنـــا الـــد ... دمْـــع فـــأعقبتِ عُقْبَـــةَ المَطَـــر
بســـتانُ لـــم يُسْـــتَعرْ لـــك اســـمك يـــا ... بســـتانُ لذاتنـــا ولـــم يُعَـــر

فتكرار كلمة بستان جعل الأبيات تتحول إلى نواح وبكاء عميق وموسيقى حزينة تتناسب مع ما حلَّ به بعد وفاتها من فجيعة وشدّة، كما منحت الأبيات موسيقى حزينة تظهر من خلال الرنين الذي تحدثه تكرار كلمة بستان ومن خلال قوة الجرس في التأثير؛ فالكلمة صادفت في نفس الشاعر هوى فظلَّ يترنّم لها باكياً على صاحبتها ، ولعل القافية ساهمت في إثراء هذا الحزن ، وإخراجه ؛ لأن حرف الراء تكراري يتردد بين الأسنان ؛ فيكشف عن حالة الألم التي تعتصر قلب الشاعر لموت هذه المغنية ، ومثل هذا الإيقاع الحزين أحدثته كلمة الدّهر التي كررتها الشاعرة فضل وهي تبكي حالها بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ:[٣]

إنَّ الزمـــان بذَحْـــل كـــان يطلبنـــا ... مـــا كـــان أغفلنـــا عنـــه وأســـهانا
مـــالي وللدّهـــر قـــد أصبحـــتْ هِمَّتُـــهُ ... مـــالي وللدَّهـــر مـــا للدَّهـــر لا كانـــا

إذا انبعثت من الأبيات موسيقى حزينة فيها تباريح هم وقلق تعيشه الشاعرة على

---

(١) البحتري – الديوان، ج١، ص٣١٥.

(٢) ابن الرومي – الديوان، ج٣، ص٩١٨.

(٣) الأصفهاني – الأغاني ، ج١٩، ص٢٠٤. ذحل : الثأر. ابن منظور – اللسان، مادة ذحل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصيرها، كما تكشف عن خوف عميق في نفسيتها المضطربة للمصير المجهول الذي ينتظرها بعد مقتل مولاها .

وتعَدُّ ألوان البديع من جناس وطباق وحسن تقسيم من المصادر المهمة للموسيقى الداخلية لما تمنحه من جمال موسيقى يزيد في ترانيم المفردات والتراكيب في السياقات الشعرية، ونجد ذلك حسن التقسيم في قول علي بن الجهم في حظّية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:(١)

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله ... صَحْوٌ، وغَيْمٌ، وإبراقٌ، وإرعاد
كأنّه أنت يا مَنْ لا شبيه له ... وَصْلٌ، ونَجْزٌ، وتَقْريبٌ، وإبعاد
كأنمّا يومُنا فِعْلُ الحبيب بنا ... بَذْلٌ، وبُخْلٌ، وإيعادٌ، وميعاد
وليس يذهبُ عنّي كلُّ فِعْلكم ... غيٌّ، ورَشْدٌ، وإصلاحٌ، وإفساد

إذ ساعد حسن التقسيم في إبراز هذه الموسيقى الرقيقة التي تشبه تقلبات محبوبة الشاعر من خلال إيقاعات موسيقية تنبعث من فواصل الكلمات الأمر الذي كان له تأثيره في الغناء، فضلاً عن القدرة على استقصاء المعاني واستيفاء الأفكار .

ويسهم الطباق والجناس وغيرهما من الزخارف البديعية في رفد الموسيقى الداخلية بإيقاعات نابعة مما تحويه القصائد من عاطفة وصور ، كما نجده في قصيدة ابن الرومي في (وحيد) التي جمع فيها صدق العاطفة وبراعة التصوير وحسن الطباق ، يقول:(٢)

وغريرٌ بحُسْنها قال صفها ... قلت أمران هيّنٌ وشَديد
تتجلّى للناظرين إليها ... فشقيٌّ بحُسْنها وسَعيد
تتغنّى كأنّها لا تُغنّي ... من سُكون الأوْصَال وهي تُجيْد
والهوى لا يزال فيه ضَعِيْفٌ ... بين ألْحَاظِهِ صَرِيعٌ جَلِيد
هو في القلب وهو أبعد عن نجـ ... ـم الثُريا فهو القريب البعيد

فأصبحت وحيد ظاهرة لها تأثيران: شقاء وهناء على نفوس محبيّها، وظهر ذلك من خلال الطباق الذي أكسب الألفاظ قوة في الإيحاء والتراكيب غزارة في الموسيقى، ولعل القافية ساهمت بانخفاضها وامتدادها بالإحساس بمعنى التنهيد الذي يحرق زفرات الشاعر وهي تخرج من صدره .

كما نجد هذا في الطباق، إذ تمنح الأضداد موسيقى خاصة كما في قول البحتري في مطلع مدحه

---

(١) علي بن الجهم – الديوان، ص٩٧.

(٢) ابن الرومي – الديوان، ج٣، ص٧٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له في الفتح بن خاقان يقول:[١]

مِنِّـــي وَصْـــلٌ، ومنـــك هَجْـــرُ ... وفـــيَّ ذُلٌّ، وفيـــك كِـــبْرُ
قـــد كنـــتُ حُـــرّاً وأنـــت عَبْـــدٌ ... فَصِـــرتُ عَبْـــداً وأنـــت حُـــرُّ
أنـــتَ نعيمـــي، وأنـــتَ بُؤْســـي ... وقـــد يَسُـــوءُ الـــذي يَسُـــرُّ

فمن خلال هذه الموسيقى التي انبعثت من الأضداد استطاع الشاعر أن يحقق إيقاعاً رقيقاً يترجم فيه كل أشواقه وآهاته التي تحملها زفراته والتي تشبه وقع كلمات العتاب برقتها واستعطافها لقلب هذه المرأة التي قلبت حال الشاعر فغدا عبداً لحبها بعد حريته .

وقد خدم الطباق أغراض الشاعر في وصفه المعاناة التي يعيشها مع من يحب، وهذا ما نجده في حديثه عن الطيف إذ وظف المقابلة التي أفادها الطباق للإيحاء بمفارقات عديدة يقول:[٢]

تُريـك الـذي حَدَّثْـتْ عنـه مـن السِّـحْر ... بطَـرْفٍ عَليـل اللَّحْـظِ مُسْـتَغْرِبِ الفـتر
وتضحـكُ عـن نَظْـم مـن اللؤلـؤ الـذي ... أراكِ دمـوعَ الصَّـبِّ كـاللؤلؤ النَّـثْر
أقـامت علـى الهجـران مـا إن تَجُـوزُهُ ... وخالَفَهـا بـالوَصْل طيـفٌ لهـا يسـري
فكـم فـي الدّجـى مـن فَرْحَـةٍ بلقائهـا ... ومـن تَرْحَـةٍ بـالبين منهـا لـدى الفجـر
إذا الليـلُ أعطانـا مـن الوَصْـل بُلْغَـةً ... ثنتنـا تباشـير النّهـار إلـى الهجـر

فقد أقام البحتري مقابلة رقيقة بين اصرار المرأة على الهجر والصد وبين مخالفة الطيف لها، ووسائله في هذه المقابلة بين الواقع والخيال والشقاء والسعادة واليقظة والحلم والليل الوصال والفجر والهجر ، ونتج عن هذه المقابلة الضدية موسيقى متضادة أيضا فالهجر والشقاء والصد تعكس موسيقى كقرع الطبول مؤلمة للأسماع ولها تأثيرها السلبي على الشاعر ، بينما تنساب موسيقى رقيقة تعكس حالة الرضى والسعادة من الطيف والوصال والليل والحلم .

وتعدُّ التقطيعات الصوتية التي يمنحها حسن التقسيم والفنون البديعية الأخرى من مظاهر الموسيقى الداخلية ومن أبرز مصادرها، ولعل هذا ما يميّز قصائد البحتري لعنايته بهذه الناحية حتى تحوّلت قصائده إلى ما يشبه الألحان الراقصة التي استمدها من الحفلات الغنائية الراقصة التي كان يقيمها المتوكل في قصوره والتي كان يشهدها معه .[٣]ونجد ذلك في مقدمة قصيدة له يمدح بها المتوكل :[٤]

---

(١) البحتري – الديوان، ج٢، ص١٠٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص١٠٠٤. بُلْغة: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش. ابن منظور – اللسان، مادة بَلغ.

(٣) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية،ص٤٠.

(٤) البحتري – الديوان، ج٢، ص٧١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـي حبيـبٌ قـد لـجَّ فـي الهَجْـر جـدّا ... وأعـادَ الصُّـدودَ منـه وأبـدا
يتـأتى مَنْعـاً، ويَنعْـمُ إسـعا ... فـاً، ويدنـو وَصْـلاً، ويَبْعُـدُ صَـدّا
أغتـدي راضيـاً وقـد بـتُّ غضبـا ... ن وأُمْسِـي مَوْلـىً، وأُصْبِـحُ عَبْـدَا
سـيّدي أنـت، مـا تعرَّضـتُ ظُلْمـاً ... فأُجـازي بـه، ولا خنـتُ عَهْـدَا
حـاشَ للـهِ أنـت أفْـتَرُ ألحـا ... ظـاً، وأحلـى شـكْلاً وأحْسَـنُ قَـدّا

و تتمثل التقطيعات الصوتية التي أحدثها الشاعر في التوافق بين الشطرين الأول والثاني من خلال التصريع وفي الطباق والتقسيم والمماثلة في البيت الأخير فساهمت في انسياب موسيقى متلاحقة سريعة كتلاحق أنفاس الشاعر وضربات قلبه من هذا الهجرُ والصدُّ الذي به محبوبته، وكان إختياره للأوزان الخفيفة وانتقاؤه للكلمات الرشيقة ، وملاءمته للحروف ملاءمة ممتازة مصادره لهذه الموسيقى [١] ، وتبدو هذه التقطيعات أكثر موسيقية ووضوحاً في ذلك الطباق الذي أقامه البحتري في مقدمة قصيدته سالفة الذكر التي يمدح بها الفتح بن خاقان :[٢]

إذا انبعثت من الأبيات موسيقى خفيفة جميلة لها أثر كبير في غناء الأبيات شكلتها التقطيعات الصوتية، وما رافقها من طباق وتصريع "بحيث استطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمة بينها في الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملاءمة رفعته إلى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها سابق ولا لاحق، وكأنمّا كانت له أُذنٌ داخلية مرهفة، تقيس كل حرف وكل حركة وكل ذبذبة صوتية، فإذا به يَنْظُمُ شِعْراً مصفّى مروقاً، شعراً يلذ الألسنة والآذان والأذهان لذة لا تعادلها لذة. [٣]"

وكان للتصريع في مطالع القصائد أثر كبير في تكوين هذه الموسيقى المنبعثة من داخل الأبيات لأنها تترك أثراً واضحاً على نفس السامع [٤] ، وهو أمر استحسنه العرب يقول حازم القرطاجني "إنّ للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من النفس لاستدلالها على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعها [٥]"، ويمثل التصريع إيقاعاً على المستوى الأفقي في كل بيت ، مما يخلق تناغماً داخلياً يسهم في تشكيل الإيقاع الكلي [٦] ، ونجد مثل هذه الموسيقى التي تعد مدخلاً لطاقات موسيقية

---

(١) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية ، ص٩٣.

(٢) البحتري – الديوان، ج٢، ص١٠٥٠.

(٣) شوقي ضيف– العصر العباسي الثاني، ص٢٨٨.

(٤) أحمد علي – أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي ، ص٢٦٩.

(٥) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء، ص٢٨٣.

(٦) أحمد جاسم حسين – شعر ابن المعتز السياسي ، ص٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى في مطالع كثير من قصائد شعر العصر ومنها مقدمة قصيدة للبحتري يمدح بها الفتح بن خاقان:(١)

حَلَفْتُ لها باللهِ يومَ التَّفرق ... وبالوَجْدِ من قلبي بها المُتَعَلِّق

وقد يستغل الشعراء التصريع وما يرافقه من لزوم ما لا يلزم في إعطاء قصائدهم أكبر قدر من هذه الموسيقى كما نجد في أبيات ابن المعتز التي يخاطب بها محبوبته شِرّة:(٢)

عَصَيْتُ في شِرٍّ فما أنساها ... وحُجِّبْتُ عني، فما أراها
وفطِنْتُ أعيُنُ من يكلاها ... وشُغِلَ العيونُ عني فاها
وطوَيْتُ نفسي على جواها ... وغُصَّةٌ يَذْبَحُني شَجاها
فذاك من حالي وما أسلاها ... ليست ترى عن الهوى سِواها

وفي سبيل تحقيق الرِّقة التي تتطلبها الموسيقى الداخلية والخارجية جاء استخدام القوافي التي تتلاءم معها وتتناسب مع الغناء والتلحين؛ لذلك ابتعد الشعراء عن القوافي وحروف الروي النافرة التي يصعب نطقها وتلحينها كالطاء والظاء والذال والضاد. ونجد صدى هذا البعد في تلك الرواية التي نقلها الصولي في أخباره عن أبي الغوث بن البحتري. قال "حَدّثني أبو الغوث لما ابتدأ أبي يعمل قصيدته التي يهجو بها أحمد بن صالح بن شيرزاد ويمدح أبا الصَّقر إسماعيل بن بلبل الشيباني وزير المعتمد، ابتدأها طائية بقوله:(٣)

أمِنْ أجْلِ أن أقوى الغُوَيرُ فَوَاسِطُهْ ... وأُقْفِرَ إلاّ عينُهُ ونَواشِطُهْ

قلت له : لِمَ تركبْ هذه القافية الصعبة مع رجل لاحظَّ لك معه وأنت طالبٌ رضاه اركب قافية سهلة، فقال لي: يا بُنَيَّ لعمري أنَّ الكلام في القوافي السهلة أطبعُ وأمكن إلاَّ أنَّ الحاذق لا يقولُ إلا جيّداً في أي شيءٍ أخذ ولأي قافيةٍ ارتكب ثم رأيته قد ابتدأ بتشبيبها فقال :

ولمّا التقينا واللّوى مَوْعِدٌ لنا ... تعجَّبَ رائي الدُّرِّ حُسْناً ولا قطُّهْ

عندها طابت نفسي وقلت ليقل بعد هذا ما أحبَّ.(٤) "

---

(١) البحتري – الديوان، ج٣، ص١٥٠٨.

(٢) ابن المعتز – الديوان، ص٣٧.

(٣) البحتري – الديوان، ج٣، ص١٢٣٠.

(٤) الصولي – أخبار البحتري ، ص١٢١-١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يعني أنّ هناك علاقة وثيقة بين قدرات الشاعر وما يختار من قوافٍ مع من يوجّه له الشعر. وكأنّ القافية تقيس قدرة الشاعر على النظم وتعكس نظرة احترام أو سخرية للشخص الذي يوّجه له الشعر .

ودور القافية في تحقيق وحدة البناء الموسيقي عن طريق الأصوات التي تتكرر في أواخر الأبيات دور واضح وملحوظ؛ لأنها بمثابة فواصل موسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع به لأنه تردد يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة[١]؛ لذلك اشترط النقاد فيها ألا تكون حوشية الحروف ، نافرة ، ونظراً لتأثر الموسيقى الداخلية والخارجية بالغناء والموسيقى جاء استخدام القوافي يضمن تحقيق هذه الغاية ، فأكثر الشعراء لذلك من النظم على القوافي السهلة أو المذللة وهي قوافٍ سهلة النطق والتلحين وحروفها ليست نافرة أو صعبة اللفظ ، بل تكون قريبة من الطبع والنفس لذلك تكثر في معظم الأغراض الشعرية من غزل ومديح ورثاء وفخر وشعر وتهنئة وتعزية، وقد جاء معظم الشعر الذي أوردته في الفصول السابقة ممثلاً لهذا النوع من القوافي ، وقد تكون في بعض الأحيان غير موفّقة كما في رثاء ابن الرومي لوالدته عندما جعل الروي وقافيته ميماً ساكنة لم تتناسب مع موقف الرثاء والبكاء لأنّه لها وقعاً غير حسن في الأذن ولا ينسجم مع موقف البكاء والندب الذي يحتاج إلى مدّ الصوت والتنهيد والنواح [٢] لأن فيها غُنّة ورنين ونغمة هي من صفات القوة التي تميّز هذا الصوت.[٣] ولأن هذه القافية جعلت الموسيقى تهبط فجأة بعد أن كانت ممتدة في جميع أركان البيت .

ولا يعني هذا النوع أنه كان سنة الشعراء ، بل إنهم استخدموا من القوافي ما كانت نافرة أو صعبة أو حوشية ، فهي بعيدة عن الطبع، تحتاج إلى تكلف وإعادة نظر، وتكثر في الهجاء؛

وذلك بهدف النيل من المهجو وتحطيم صورته ومسخها مسخاً كاريكاتورياً، كما نلاحظه في قصائد ابن الرومي في مهجوّاته من المغنيات مثل شنطف وكنيزة ودريرة.[٤]

ومثال ذلك ما قاله في كُنَيْزة [٥]

حَدّثتني به كُنَيْزة عنه ... غير إفك من الحديث مصوغ
أوقح الناس كلهم ليس يخفى ... ذاك في جلد وجهها المدبوغ

---

(١) إبراهيم أنيس – موسيقى الشعر، ص٢٤٦.

(٢) محمد حَوّر – رثاء الأم في الشعر العربي، ص١٦.

(٣) تامر سلوم – نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، ص١٩.

(٤) قحطان الحديثي– اتجاهات الهجاء ص٢٢٧. انظر: ابن الرومي – الديوان، ج٤، ص١٤٠٨، ص١٤٢٢، ١٤٦٣، ١٦١٨.

(٥)ابن الرومي – الديوان ، ج٤ ، ص١٥٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبقـــــدر الغنـــــاء إذ تَدَّعيـــــه لا بحـــق بـــل بـــاطل مدمـــوغ

ويبدو واضحاً مدى صعوبة النطق بحرف الروي "الغين" وهو أمر يسهم في رغبة الشاعر بتشويه صورتها ، وتهميشها في صورة ساخرة .

المقدمات والمقطوعات :

المقدمات هي أول ما يطرب الأسماع، ومنها يتشكل الانطباع الأولي الذي يدوم لذلك حرص الشعراء على ضرورة أن تكون رشيقة تجذب الاسماع وتستميل القلوب، وإلى هذا دعا النّقاد العرب مثل ابن قتيبة الذي يرى أنَّ الشاعر الحاذق هو الذي يجعل مقدمته حسنة شيقة "ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به اصغاء الأسماع إليه [١]". وجاءت المقدمات في شعر هذا العصر حصيلة وعي وادراك بضرورة الأخذ بالموروث وتطويره وابتكار الجديد الذي يتلاءم مع روح العصر .

ونالت المقدمات عناية الشعراء في هذا العصر ؛ فعملوا على تطوير بعضها ، وابتكار الجديد ، لذلك جاءت مقدمات القصائد في هذا العصر على نوعين المقدمات التقليدية والمقدمات الجديدة . وسأقتصر في حديثي على ما جاء منها متعلقاً بالمرأة فقط .

ومن المقدمات التقليدية التي استخدمت بكثرة المقدمة الغزلية، وبرع البحتري كثيراً في تشكيلها فحوّلها إلى ما يشبه الألحان الراقصة التي استمدها من مجالس الغناء والموسيقى التي عاشها في قصور الخلفاء والأمراء .[٢]

وكان لكثرة المديح في ديوانه أثر كبير في جعله يتمسك بالمقدمة الغزلية لأنها تتناسب مع الذوق العام لممدوحيه بينما قلت عند غيره من الشعراء كابن المعتز وابن الرومي لجملة من الأسباب منها: قلة شعر المديح عند ابن المعتز وغلبة مقدمات أخرى كمقدمة الشيب على قصائد المديح عند ابن الرومي ولأنّ الغزل في ديوانيهما أُفرد في قصائد ومقطوعات مستقلة [٣] .

وجاءت المقدمة الغزلية على شكلين: مقدمات وردت فيها صورة المرأة المعنوية حيث الحديث عن صد المحبوب ومكابده العذاب في أثناء هجره. مثل مقدمة لابن الرومي في مديح

---

(١) ابن قتيبة – الشعر والشعراء، ج١، ص٢٠.

(٢) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية ، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة المعتضد :[١]

أرضـــى بصورتـــه، وصَـــدَّ فأغضبـــا ... فغـــدا المحـــبُّ منعَّمـــاً ومُعَذَّبـــا
يـا وجـــهَ مـــن أهـــوى: لقـد أعتبتنـــي ... لـــو أنَّ نائلَـــهُ الممنَّـــع أعتبـــا
ظبـــيٌ كـــأنَّ اللـــه كمَّـــل حُسْـــنَه ... ليغيـــظ سيـــرْباً أو يُكَـــايدَ رَبْرَبَـــا
فـــإذا بـــدا لـــلزَّاهدين ذوي التُّقـــى ... وجـــدتْ هنـــاك قلوبُهُـــمْ مُتَقَلِّبـــا

ومقدمات وردت فيها صورة المرأة الحسية حيث صورة الجسد الفاتن ومظاهر التمتّع به والمغامرات التي يقوم بها الشعراء للوصول إلى المرأة، وتتسم هذه النوعية من المقدمات بمحافظتها على مستوىً معينٍ من الأخلاق لم تتجاوزه ولم تخرج عن حدود الآداب العامة التي يجب أن تتحلى بها القصائد التي تخاطب الممدوحين من خلفاء وأمراء وقادة، ومثال هذا النوع قصيدة للبحتري في مديح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان :[٢]

بـــاتَ نديمـــاً لـــي حتَّـــى الصَّبَـــاح ... أغْيَـــدُ مَجْـــدُولُ مكَـــان الوشـــاح
كأنَّمـــا يَضْحَـــكُ عـــن لُؤْلُـــؤ ... مُنَظَّـــدٍ أو بَـــرَدٍ أو أَقَـــاح
أَمْـــزُجُ كأســـي بجَنَـــا ريْقِـــهِ ... وإنَّمـــا أَمْـــزُجُ رَاحـــاً بـــراح
سِـــحْرُ العيـــون النَّجْـــل مُسْـــتَهْلِكٌ ... لُبِّـــي وتَوْريـــدُ الخُـــدُودِ المِـــلاَح

ومهما يكن نوع الغزل الذي بدأ به الشعراء مطالع قصائدهم حقيقياً أم صناعياً ، تبقى صورة المرأة كما أرادها الشاعر ، وحسبما اشتهى أن يراها حسية أم معنوية ؛ لأن الهدف عنده ليس رسم صورة لها بقدر النفاذ من خلالها إلى عطاء الممدوح [٣] لكنها بلا شك صورة يجب أن تتناسب ومقام الممدوح ضمن إطار أدبي أخلاقي معين ؛ فلا يجوز للشاعر أن يتهتك في مطلقه الغزلي ، وهو في حضرة الممدوح ؛ لأن هذا من الآداب المرعية والأصول الملتزمة في خطاب هذه الفئة .

وامتزجت المقدمة الغزلية بذكر الطيف والشيب والشباب والطبيعة، وبرع في كل لون من هذه الألوان أحد أشهر شعراء العصر فكان البحتري شاعر الطيف وابن الرومي شاعر الشيب وابن المعتز صاحب حضور متميز في معظم هذه المقدمات .

وفي مقدمة الطيف امتزجت أحلام البحتري بوصال المرأة وحبّها بعد صدّها وهجرها

---

(١) ابن الرومي – الديوان، ج١، ص٣٤١ .

(٢) البحتري – الديوان، ج١، ص٤٣٥.

(٣) ابن قتيبة – الشعر والشعراء ، ج١ ، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في صحوه وأكثر استخدامها في مطالع قصائده حتى اقترنت باسمه[١]، وصار لها على يديه معالم وأبعاد ثابتة كذكر الليل وسرى الطيف بحثاً عنه ووصله وتأثير زيارة الطيف على نفسه وعلى الطبيعة من حوله.[٢]

ومنح مقدمة الطيف إشراقاً في العبارة، وحيوية في المشاهد والصور، وطبعها بطابع قصصي وحوار روائي أحياناً، ومن الأمثلة على مقدمة الطيف مديحه لأبي العباس بن الفرات:[٣]

بِتُّ أُبْدِي وَجْداً وأكْتُمُ وَجْداً ... لِخَيالٍ من البَخِيْلَةِ يُهْدى
أَقسِمُ الظَّنَّ فيه أَنِّي تَخَطَّى الـ ... رَّمْلَ من عَالِجٍ وأَنِّي تَهَدَّى
خَطْأً ما أَزَارَناه طُرُوْقاً ... أم تَوَخِّيه للزيارة عَمْدا
جاء يَسْري فأشْرقتْ أرضُ نَجْدٍ ... لِسُرَاهُ، وواصلَ الغيثُ نَجْدا
وعَدَتْنَا فما وفَتْ بوصال ... ووفَتْ حين أَوْعَدَتْ أن تصُدَّا

أمّا مقدمة الشيب فكانت عالم ابن الرومي الذي توّج به معظم قصائده حتى طغت على أشكال المقدمات في ديوانه، ولا يعني هذا عدم وجودها عند غيره فقد كثرت عند البحتري وقلت عند ابن المعتز.

وعبّر ابن الرومي من خلالها عن فلسفته في الحياة، وهي فلسفة عمادها الإقبال على الحياة ومتعها خاصة المرأة التي اعتبرها الباحثون وسيلته الأولى لتعويضه من يشعر به من عقدة الحرمان في الحياة ، لا نجده يبكي ويتألم كالأخرين ؛ إنما ينوح ويندب وقد اعتصره الألم ، لأن الشباب عنده اقترن بالمرأة ، وهي الحياة عنده ، فكان صدها وإعراضها يعني زوال الحياة عنه لذا كان ميت الروح حي الجسد ، فحال الشيب بينه وبينها؛ فأعرضت وصَدَّت فكان هذا هو الموت الحقيقي عنده.[٤]

ومن أمثلة هذه المقدمات مقدمته في مديح صاعد بن مخلد كاتب الموفق سنة ٢٦٥هـ:[٥]

وفَقْدُ الشَّبابِ الموتُ يوجدُ طَعْمُهُ ... صُراحاً، وطَعْمُ الموتِ بالموتِ يُفْقَدُ

---

(١) الشريف المرتضى – طيف الخيال، ص٢١-٨٨.

(٢) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية ، ص٦٠.

(٣) البحتري – الديوان، ج١، ص٥٦٩. أبو العباس بن الفُرات أو من ساد من بني الفرات، وكان حسن الكتابة خبيراً بالحساب والأعمال. انظر : الشابشتي – الديارات، ص١١٩.

(٤) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية، ص ٤٥ .

(٥) ابن الرومي – الديوان، ج٢، ص٥٨٤-٥٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كنتُ جلاءً للعيون من القذى ... فقد جعلتْ تَقْذَي بشيبي وترقد
هي الأعينُ النجلُ التي كنتَ تشتكي ... مواقِعَها في القلب، والرأسُ اسودُ
فما لك تأسى الآن لما رأيتها ... وقد جعلت مرمى سِوَاكَ تَعَمَّدُ؟
ولُذَّتْ أحاديثي الرِّجالُ وأعرضتْ ... سُلَيْمى وريَّا عن حديثي ومَهْدَدُ
وبُدِّلَ إعجابُ الغواني تَعَجُّباً ... فهنَّ رَوان يَعْتَبِرْنَ وصُدَّدُ

وامتازت مقدمات الشيب والشباب عند ابن الرومي بالطول قياساً مع بقية المقدمات في ديوانه والسبب يعود إلى أنها تأخذ شكل تأملات في الحياة وخواطر فلسفية في دورة الموت والحياة وتكثر فيها مواقف الندب والبكاء على شبابه وتغيُّر أحواله ، إضافة إلى رغبته في تقليب المعنى [١]، كما في مقدمة قصيدته للحسن بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ت ٢٨٤ هـ التي يمدحه بها :[٢]

وعَيَّرتني بشيب الرأس ضاحكةً ... من ضاحكٍ فيه أبكاني وأضحك بي
فالآن أهزأ بي شيبي، وأوبقني ... عيبي، وإن كنت لم أوبق ولم أُعب
جاءت تَدافَعُ في وَشْي لها حَسَن ... تَدافُعَ الماء في وشي من الحبب
فأعرضتْ حلوةَ الإعراض مُرَّتَهُ ... بزفرةٍ كنسيم الروض ذي الرَّبب

ويبكي في هذه المقدمة تلك الجميلة التي أقبل عليها ، فأعرضت عنه بصورة آلمته جداً ، بدأتها بالضحك من شيبه ثم اشتدت في سيرها ، وقد أطلقت زفرة غضب لازال يذكر طيبها .

وامتزجت المقدمة الغزلية بالطبيعة عند جميع الشعراء الذين رأوا في الطبيعة كل ما رأوا في المرأة من جمال ، كما وجدوا فيها بعض السلوة والعزاء عند انصراف المرأة عنهم .

ويأتي على رأس هؤلاء ابن الرومي في قصيدته المسماه جنّة المحبين أو دارة البطيخ التي قالها في مديح إسماعيل بن بلبل وساوى فيها بين المرأة والطبيعة تسوية جميلة نالت استحسان الأدباء [٣] عندما جعل المرأة بستاناً لكل أنواع الثمار والجمال وأصغى إليها واستمع إلى أسرار الحياة فيها يقول :[٤]

أجَنَتْ لك الوَجْدَ أغصانٌ وكُثبانُ ... فيهنَّ نوعان تُفَّاح ورمانُ
وفوق ذينك أعنابٌ مُهَدَّلَةٌ ... سُودٌ لهنَّ من الظَّلماء ألوانُ

---

(١) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية ، ص١٥٣.

(٢) ابن الرومي – الديوان ، ج١، ص١٩٠-١٩١. انظر : المصدر نفسه، ج٢،ص٥٨٤، ج١، ص١٣٨ .

(٣) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية، ص١٩١ .

(٤) ابن الرومي – الديوان ، ج٦، ص٢٤١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحت هاتيك أعنابٌ تلوح به ... أطرافهُنَّ قلوبَ القوم قِنْوان
غصونُ بانٌ عليها الدَّهرَ فاكهةٌ ... وما الفواكهُ مما يحملُ البَانُ
ونرجسٌ بات ساري الطَّلِّ يَضْرِبُهُ ... وأقحوانٌ منيرُ النُّور رَيَّانُ

ويظهر أنّ الشاعر لم ينظر للطبيعة نظرة سطحية عابرة اكتفت بما فيها من ثمار وأشجار وإنمّا نظر بعين المحب فخلع عليها روحاً جديدة لذا جاء تصويره مبتكراً يعكس براعته في النظم، وإن رأى بعضهم أنّ هذا المزج جاء نتيجة اختلاط مشاعر الحب واللذة عند الشاعر لأنّه لم يحب في المرأة حنانها وحبها ومودتها وإنمّا أحب فيها ما يقيم لذته فكانت فواكه يسهل أكلها واستغلالها[١] لعل حياته الاجتماعية المضطربة ونفسيته القلقة التي واجهت إخفاقات كثيرة مع المرأة هي السبب في هذا الخلط عندما جعل الطبيعة وسيلة تعوّضه هذه الإخفاقات.

أما ابن المعتز فكان تعامله مع الطبيعة في مطالع قصائده مختلفاً إذ أدرك جمالها وعبَّر عنه من خلال صورة المرأة وبصورة رشيقة تنبعث منها عذوبة وموسيقية كما في مقدمته:[٢]

لا ورمَّانِ النهودِ ... فوق أغصانِ القدود
وعناقيدَ من الصُّدْ ... غ وورْدٍ من خدود
ووجوهٍ من بدور ... طالعاتٍ من سعود

ومن المقدمة التقليدية الأخرى مقدمة الظعن التي استخدمها الشعراء قليلاً خاصة بعد إجراء تعديلات عليها وتحويلها إلى مشهد وداع وفراق فقط [٣]. ولعل طبيعة الحياة الاجتماعية كانت السبب وراء مثل هذا التعديل والتحويل من شكل إلى آخر، وترد في مقدمة الظعن صورة النساء المرتحلات لكن دون ملامح محددة ومن أمثلة هذا اللون مقدمة للبحتري في مديح الحسن بن وهب ت ٢٥٠ هـ. ويصف فيها مشهد النساء المرتحلات دون وجود ملامح واضحة أو تفصيلات خاصة سوى الجمال الحسي لهنّ ونظرات الوداع ربمّا لأنّ المشهد لم يعد مألوفاً في مجتمع العصر المتحضر يقول:[٤]

أنخيلٌ بعالج أم سفينٌ ... عائماتٌ، أم أُولَيَاتُ خُدُور؟
ضَلَّ بَدرُ السَّماء أو كادِ لمَّا ... واجَهَتْهُ وُجُوهُ تلك البُدُور
اللواتي يَنْظُرْنَ بالنَّظر الفا ... تِر من أعيُن الظِّباء الحُوْر

---

(١) محمد النويهي – ثقافة الناقد الأدبي، ص٢٣٤، ص٢٤٧.

(٢) ابن المعتز – الديوان، ص٢٣٥. انظر غضوب خميس – ابن المعتز شاعراً ، ص٣٥٨.

(٣) حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية ، ص٤٦.

(٤) البحتري – الديوان، ج٢، ص٨٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَتَبَسَّمْنَ من وراء شُفُوفِ الـ ... رِيْط عن بَرْدِ أُقْحُوان الثُّغور
ويُسَارِقْنَ والرَّقيب قريبٌ ... لحظاتٍ يُعْلِنَّ سِرَّ الضمير

فأخذ يصف بإيجاز هودج المسافرات وهو يسير على الرمال في لحظات الوداع معهن .

أمّا المقدمة الطللية فقد خفف الشعراء من بعض مقوماتها كالبكاء والوقوف على الأطلال الدراسة ، والدعاء لها ، وإحصاء ما حل بها من أحوال ، بينما اهتم البحتري بها ، وحافظ على أصولها محاولاً التجديد بشكل يسير فيه من خلال حذف بعض أجزائها وابتكار صور جديدة لها ، ومن أمثلتها في ديوانه قوله في مدح أبي نهشل محمد بن حميد الطوسي يقول:(١)

لم يَبْقَ في تلك الرُّسوم بمَنْعِج ... إمَّا سَأَلْتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرِّج
رفعوا الهوادج مُعْتِمِين فما تَرَى ... إلاَّ تَلأْلُؤَ كوْكبٍ في هَوْدج
أمثالُ بَيْضاتِ النَّعام يَهُزُّها ... للبُعْدِ أمْثَالُ النَّعام الهُدَّج

وحافظ ابن المعتز كذلك على المقدمة الطللية التي امتازت بأنها جزء من حياته لأنه أثبت فيها تلك المواضع الحضارية التي عاش فيها ردهاً من الوقت (٢) فهي لم تعد مجرد تقليد عنده ؛ وإنما أصبحت خلاصة لتجاربه في الحياة وفي بيئته المترفة يقول (٣) :

أيُّ رسم لآل هندٍ ودار ... دَرَسَا غير ملعبٍ ومنار
وأثافٍ بقين لا لاثياق ... جالساتٍ على فريسةِ نار
ومغان كانت بها العينُ ملأى ... من غصون تهتزُّ في أقمار

ومن المقدمات التي استخدمها شعراء العصر مقدمة الشكوى من الدهر والثورة عليه، وجاءت معظم الشكوى تحمل هموماً ذاتية من شكوى الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية خاصة عند البحتري وابن الرومي بينما كانت الشكوى تحمل هموماً عامة عند ابن المعتز بسبب الظلم السياسي الذي تحقق على يد الأتراك .

ومن المقدمات التي فيها شكوى الفقر مقدمة لابن الرومي في مديح القاسم بن عبيد الله

---

(١) البحتري – الديوان ، ج١، ص٣٩٩.

(٢) حسين عطوان – مقدمة القصيدة ، ص٢٥١.

(٣) ابن المعتز – الديوان (دار صادر) ، ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن وهب حيث يجعل زوجته شريكته في الشكوى يقول:[١]

عَزمتُ على تطليق عِرسي لعُسْرَتي ... فعاذت بحَقْوَيْ قاسم وأرنَتِ
ونادت نداء المستجيرة باسمه ... فقلتُ أجرنا جارةً فأطمأنتِ
أمانُكِ عندي ما حييتُ مُؤكَّدٌ ... وإن لم تَعُدِي حُرمةٌ قد أَسَنَّتِ

ومن مقدمات الشكوى عند ابن المعتز ، والتي يبدو فيها همه الكبير على هذه الأمة ، وما نالها من ضيم على يد الأتراك هذه التي يقول فيها [٢]:

إنَّ الفراق دعا الخليط فزالا ... وقعدتَ تسألُ بعده الأطلالا
عَجَبتْ شُرَيْرَةُ إذ رأتني شاحباً ... يا شُرُّ قد قُلِبَ الزمان وحالا
يا شُرُّ قد حُمِّلتُ بعدكِ كُربةً ... وهُمومَ أشغال عليَّ ثقالا
وفساد قوم قد تمزَّقَ وُدَّهم ... فعلا وضاعوا من يديَّ ضلالا

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن شيرة هي رمز لأطماعه في الخلافة .

ومع تغيير أشكال المقدمات في هذا العصر ظلّت المرأة جزءاً مهماً فيها .

وغلب على شعر هذا العصر ظاهرة المقطوعات [٣]، ومع أنها ليست جديدة على القصيدة العربية فإن كثرتها جعلتها ظاهرة مميزة استوقفت الكثير من النّقاد والباحثين لدراسة وتحديد أسبابها التي تعود في مجملها إلى من يقول الشعر؟ وكيف يقوله؟ ومتى؟ ولماذا؟ فنظم هذه المقطوعات سرى على السنة الشعراء حتى الكبار منهم مثل ابن المعتز والحسين بن الضحاك ، علي بن الجهم ، أبو علي البصير ممن عرفوا بجودة المقطوعات [٤] ،وعلى ألسنة من يتعاملون بالشعر ويتذوقونه كالخلفاء والوزراء والقادة وكبار الكتّاب، ويجري نظم هذه المقطوعات بطريقة ارتجالية عفوية تعليقاً على حادثة أو وصف مداعبة أو تظرفاً وغيرها من الحوادث التي لا تستدعي نظم القصائد الطوال؛ لذلك مال الشعراء إلى الإيجاز والتقطيع إضافة إلى ذلك فإن هذه المقطوعات يغلب عليها كونها تمثل نتاج مجالس الخلفاء والوزراء والأدباء؛ لذلك فإنّ جل ما قالته المرأة الشاعرة كان في هذه المجالس تعليقاً على حادثة معينة أو وصفاً لأمر أو مداعبة لأحد رواد هذه المجالس. ويرى بعض النّقاد أنَّ رقة المرأة ورهافة حسها

---

(١) ابن الرومي – الديوان، ج٦، ص٢٥٦٨.

(٢) ابن المعتز – الديوان ، ص٥٦٦.

(٣) يونس السامرائي – ظاهرة المقطوعات ، مجلة آداب المستنصرية ، عدد ٨ ، سنة ١٩٨٤ ، ص٣٠٧-٣٣٧.

(٤) ابن رشيق – العمدة ، ج١ ، ص١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسرعة تأثرّها وضيق الأغراض التي تنظم فيها كلّها أسباب تجعل المقطوعات تغلب على شعرها.[١]

كما أن التقطيع والإيجاز لم يعد ظاهرة تتعلق بالشعر فقط بل أصبح طابعاً عاماً في الأدب ومنهاجاً عاماً للحياة كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين : "أن الرواة وقفوا على القصار والنُتف في كل شيء"[٢] وكان لطبيعة الموضوعات الجديدة التي شاع استخدامها في هذا العصر أثر كبير في الميل إلى التقطيع كاستفتاء الفقهاء والقضاة في الحب على سبيل المداعبة والعبث كما فعل ابن الرومي مع ابن داود الاصفهاني الذي لقبّه بـ "فقية العراق" في قوله :[٣]

يا ابن داود يا فقيه العراق ... أفْتِنَا في قَوَاتل الأحداق
هل عليهنَّ في الجروح قِصَاصٌ ... أم مُباحٌ لها دم العُشّاق

فأجابه :

كيف يفتيكُمُ قتيلٌ صريعٌ ... بسهام الفراق والاشتياق
وقتيلُ التلاقي أحسن حالاً ... عند داود من قتيل الفراق

وكالتراسل الشعري الذي ساد بين الأحبّة من الشعراء والأدباء وبين الشاعرات وعشاقهنّ كتلك التي شاعت بين ابن المعتز وبعض شاعرات ومغنيّات العصر، وبين فضل الشاعر وسعيد بن حميد، وبين عريب المغنية وابراهم بن المدبر، ومثل هذه الرسائل لا تستدعي نظم قصائد طوال بل تكون موجزة موضوعاتها ذاتها لا تخرج عن دوائر الحب وما يتصل بها من وصل وهجر وعتاب واسترضاء ومثال هذا ما نجده في رسائل سعيد بن حميد إلى فضل يعاتبها يقول :[٤]

أصبحتُ فَرْداً هائمَ العقْل ... إلى غزال حَسَن الشَّكل
أضنى فؤادي طولُ عَهْدي به ... وبُعْدُه مني ومن وصلي
مُنْيَةُ نفسي في هوى فَضْل ... أن يَجْمَع اللهُ بها شَمْلي
أهْوَاكِ يا فَضْلُ هوىً خالصاً ... فما لقلبي عنك من شُغْل

فأجابته على شوقه برسالة تقول فيها :

---

(١) يونس السامرائي – ظاهرة المقطوعات، مجلة آداب المستنصرية، عدد ٨ ، سنة ١٩٨٤، ص٣٠٧-٣١٠.
(٢) الجاحظ – البيان والتبيين ، ج٤، ص٢٣. انظر المصدر السابق ، ص٢٠٩.
(٣) ابن الرومي – الديوان، ج٤، ص١٧١٤.
(٤) الأصفهاني – الأغاني ، ج١٩، ص٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصَّـــبْرُ يَنْقُـــصُ والسَّـــقامُ يَزِيـــدُ والـــدَّارُ دانِيـــةٌ وأنـــتَ بَعِيْـــدُ
أَشـــكوك أم أشـــكو إليـــك فإنـــه لا يســـتطيع ســـواهما المَجْهـــودُ

وكان لمجالس الخلفاء والأدباء، ومجالس اللهو والخمر في أمكنته المختلفة، والمنتديات التي تقام في منازل الشعراء والشاعرات مثل فضل أثر كبير في زيادة الاهتمام بالمقطوعات إذ كان الشعراء يكلفون بالنظم في حوادث طريفة تقع في هذه المجالس أو إجازة بيت من الشعر أو مساجلة بين شاعرين أو شاعر وشاعرة كما كان يحدث في مجالس الخليفة المتوكل عندما طلب من الشاعر بن الجهم وشاعرته محبوبة وصف قبيحة وقد دخلت عليه تحمل كأساً من بلور وكتبت على خدّها بالمسك اسم جعفر فقالت محبوبة:[1]

وكاتبـةٍ بالمســك فـــي الخَـــدِّ جعفـــرا بنفســـي مَخَـــطُّ المســـك مـــن حيـــثُ أثَّـــرا

أو عندما طلب المتوكل من علي بن الجهم أن يقول بيتاً من الشعر ويطلب من فضل أن تجيزه "فقال علي أجيزي يا فضل :

لاذ بهـــــا يشـــــتكي إليهـــــا فلـــــم يجـــــدْ عندهـــــا مـــــلاذا

قالت :

فلـــــم يـــــزل ضارعـــــاً إليهـــــا تَهْطِـــــلُ أجفانُـــــه رَذَاذا
فعـــــاتبوه فـــــزاد عِشْـــــقاً فمـــــات وجـــــداً فكـــــان مـــــاذا؟

فطرب المتوكل وأمر لها بمئتي دينار وأمر عَرِيب فغنّت الأبيات.[2]"

وهذا لا يعني عدم وجود المطوّلات من شعر العصر، فقد اشتهر ابن الرومي بقصائده الطوال التي قلّ وجودها في الشعر العربي حتى غدت ظاهرة مميزة لشعره [3] نجد هذا في مرثاته لأمه التي زادت عن مئة وخمسين بيتاً ومرثاته للمغنّية بستان.

---

(١) السيوطي – المستظرف ، ص٥١.

(٢) الاصفهاني – الأغانين ج١٩، ص٣١٣.

(٣) عبد الأمير مهنّا – ديوانه (المقدّمة) ، ص١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمــة :

تكونت هذه الدراسة من تمهيد وأربعة فصول، عرضت في التمهيد لدور المرأة في هذا العصر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً . وقيمة هذه الأدوار في الصورة العامة لـــها فـــي الشعر.

وخصصت الفصل الأول للحديث عن صورة المرأة في شعر الغـــزل حيـث تغنّـى الشعراء بصورة الجسد المادي والجمال المعنوي ؛ فكوّنوا من صورهم وتشبيهاتهم تمثالاً للجمال المادي الذي اختلف في بعض نواحيه عن تمثال الجمال المادي والمعنوي الـــذي رغبـوا فـي الوصول إليه .

وتناولت في الفصل الثاني صورة المرأة في الأغراض الشعرية الأخرى، فهي جـــزء من قصيدة الشعر في كافة الأغراض الشعرية ، وان تفاوت هذا الجزء كثرة وقلة حســب هـذه الأغراض .

وأفردت الفصل الثالث للحديث عن المرأة الشاعرة وعرضت فيه إلى أهمية الشاعرات في فتح آفاق جديدة للنظم من خلال إثراء روح المنافسة بينهن وبين الشعراء واستقرأت أبـــرز الأغراض الشعرية التي نظمت بها ، كما ذكرت أهم شاعرات العصر ممن أنطقتهنَّ الحـــوادث والأيام، وممن امتهنَّ قول الشعر من حرائر وجوارٍ.

ودرست في الفصل الرابع الخصائص الفنية المميزة للشعر الذي استخدمته في الفصول السابقة فتناولت اللغة والأسلوب وما طرأ عليها من مظاهر الرقة والوضوح والسهولة وعرضت ما اتسمت به الصور من خيال مجنّح، وبراعة في التصوير وانبعثت من قصـــائدهم موســيقى داخلية تعددت مصادرها . أما بناء القصيدة فجاء على شكل مطولات استهلها الشعراء بمقدمات وافقت تطور الحياة الاجتماعية وذوق العصر ، أو على شكل مقطوعات قصيرة .

من المؤكد أن المرأة الحرة لم تنل نصيباً من شعر الغزل في هذا العصر؛ لأنه اتجـــه إلى الجارية التي عبثت بالقلوب وبهرت الألباب وسحرت العيون؛ لذلك جاءت صورتها ماديـــة أكثر منها معنوية ؛ لذلك نجد فرقاً واضحاً بين ما قيل في الجواري من شعر وبين ما قيل فـــي الحرائر.

وتبرز فكرة الجمال الجزئي في تعامل الشعراء مع الجمال الحسي للمرأة ، وبعدهم عن التعامل معه على انه كل متكامل ؛ ويثبت ذلك ضخامة الصورة الحسية للمرأة في شعر الغزل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ في تمثال الجمال الحسي حدوث تغيير على مقاييسه إذ أخذت تميل نحو الاعتدال والاتزان والرشاقة بعيداً عن السمنة والاكتناز؛ ويعود هذا إلى تغيير الذوق الجمالي بسبب تطور الحياة الثقافية والاجتماعية والعقلية وازدهار الحضارة المادية.

ورافق ذلك التغيير زيادة الاهتمام بالنواحي الروحية والمعنوية أكثر من العصور السابقة لكنه لم يصل إلى مرحلة إيجابية في رفع قيمة المرأة في المجتمع ، ولم يتجه إلى نقد النظرة الراسخة التي أحاطت بها . وعلى الرغم من المكانة التي حققتها المرأة ووصفتها الكتب الأدبية والمصادر التاريخية؛ فإنَّ الشعراء لم يتجهوا إلى مديح المرأة مديحاً خالصاً ، أو يفخروا بها فخراً خالصاً ، بينما أكثروا من الرثاء والهجاء فيها ، ولم تحظ بأكثر من ذلك ؛ وكان للمصادر التاريخية التي لم تنصف المرأة بشكل يعي حقيقة دورها أثر في تركيزها على نقل صور الابتذال والمجون للمرأة دون أن تتجاوزها إلى أعمال البر والإصلاح والعمل؛ فأهملت بذلك جانباً مهماً من حياتها.

غرقت بعض أغراض الشعر التي تتحدث عن المرأة في الإقذاع والفحش فتردت لغتها وأساليبها وانعكس ذلك سلباً على القيمة العامة للمرأة، وبالمقابل كان لامتزاج صورة المرأة بالطبيعة أثر في رفع قيمتها، وهذا يعكس مدى التعلق بصورة المرأة المثالية التي حاول الشعراء تلمسها حتى في الكون والطبيعة ، خاصة في شعر الغزل لأن الشاعر عندما فصل صورتها الحسية والمعنوية ؛ إنما كان يبحث عن المرأة المثالية .

لم يكن شعر المرأة من التنوع والغزارة بحيث يتناسب مع ما وصل إليه نشاط الشعر في هذا العصر خاصة الحرائر .

وتمتع هذا الشعر في جمال الصور وسعة الخيال ؛ فخرج من بوتقة التراث بطريق حضارية جذابة لم يكن فيها تحدٍ صارخ لفنياته .

ويلاحظ زيادة الاهتمام بتحقيق عناصر الموسيقى الداخلية في شعر هذه الفترة كثيراً وعند معظم الشعراء سواء أكان من حيث الألفاظ والأوزان والقوافي .

ولتميز التجربة الشعرية للمرأة ؛ جاء معظم نتاجها على شكل مقطوعات قصيرة ، ولم تتخذ شكل قصائد أو مطولات .

كما وجدت شعراء مغمورين أجادوا في شعر الغزل مثل الخبز أرزي والفتح بن خاقان والخليفة الراضي إضافة إلى بعض الوزراء مثل الحسين بن أبي البغل وابن الفرات وهؤلاء بحاجة إلى دراسات متخصصة تكشف عن حياتهم وأشعارهم وتوضح دورهم في الأدب العربي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الابـــار (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) الحلة السيراء، ط٢، ٢م، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القـاهرة، ١٩٨٥.

- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبـــد الواحـد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) – الكـــامل في التاريخ، ط١، ١٠م، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميـــة، بـيروت، ١٩٨٧.

- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧هـــــ/ ١٢٣٩م) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج٤، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـد، شـركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، د.ت.

- الأزدي، أبو المطهَّر محمد بن أحمد الأزدي – حكاية ابي القاسم البغدادي، مكتبة المثنـــى، بغداد.

- نفسه – حكاية أبي القاسم البغدادي، مطبعة كرل ونتر في هيدلبرج، ١٩٠٢.

- الحسين بن الضحاك، أبو علي بن ياسر الخليج (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) – اشعار الخليع، جمعها وحققها عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) – الأغاني، ط١، ١٢م، إعداد مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤.

- نفسه – القيان، ط١، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٩م.

- نفسه – مقاتل الطالبيين، شرح السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩.

- ابن داود الأصفهاني، أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني (ت ٢٩٧هـــــ/ ٩٠٩م) – أوراق من ديوان ابن داود الأصفهاني، دراسة وتحقيق نوري حمودي القيســـي، مديريـة الثقافـة العامة، وزارة الإعلام، العراق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه – الزهرة ، ط ٢ ، ٢ م ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٥.

- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) – إعجاز القرآن الكريم بهامش كتاب السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١/١٥٠٥م) – الإتقان في علوم القرآن، ٢ج، المكتبة الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٧م) – الديوان، ٤ج، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

- البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري – الحماسة البصرية، ط٣، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

- ابن بطلان، أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان (ت٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) – رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، نوادر المخطوطات، ط١، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

- البلوي المدني، أبو محمد عبد الله بن محمد المدني – سيرة ابن طولون، ج١، ١م، تحقيق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. د.ت.

- البيروني، ابو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) – الجماهر في معرفة الجواهر، ط١، ١م، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٣٦.

- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٨م) – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، ١٢م، قدّم وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

- نفسه – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، ١٦م، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٩م.

- القاضي التنوخي، أبو علي الحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، ١٩٧٢م

- نفسه – مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، اختصره وهذّبه إبراهيم بن عبد الله الحازمي، دار الشريف، الرياض، ١٩٩٦.

- نفسه – الفرج بعد الشدة ، تحقيق زكي مجاهد ، عبد القادر علاّم ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م) – البصائر والذخائر، ط١، ٤م، تحقيق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، دمشق، د.ت.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) – خاص الخاص، ط١، شرحه وعلّق عليه مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

- نفسه – لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

- نفسه – تحفة الوزراء، ط١، تحقيق سعد أبو دية، دار البشير، عمان، ١٩٩٤.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) – المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، ١٨م، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، محمد عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

- نفسه – صفة الصفوة، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٣٦.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) – رسائل الحاحظ، ط٢، قدّم لها وبوّبها وشرحها علي أبو ملحم، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧.

- نفسه– البيان والتبيين، ط٢، ٤ج، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦١.

- نفسه – المحاسن والأضداد، ط١، قدّم له وراجعه عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦.

- نفسه – البخلاء، المكتبة الثقافية، د.ت.

- نفسه – ثلاث رسائل، تحقيق يوشع فنكل، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٢٥.

- القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن العزيز بن الحسن (ت٣٦٢هـ/ ١٢٣٤م) – الوساطة بين المتنبي وخصومه، ط٣، تحقيق وشرح محمد ابو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١.

- القاضي الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م) – أسرار البلاغة، تحقيق هلموت ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استنبول، ١٩٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه – أسرار البلاغة، ط٦، تعليق محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٩.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) – الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) – طوق الحمامة في الالفة والآلاف، ط٣، ضبط وحرّر هوامشه الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

- الحصري ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م) – زهر الآداب، ط٤، ٢م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، شرح زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.

- نفسه – جمع الجواهر في الملح والنوادر ، المطبعة الرحمانية – مصر ، د . ت .

- الحصري، أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م) – محاضرات الأدباء، ٢م، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١.

- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) – معجم الأدباء، ط١، ٧م، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

- نفسه – معجم البلدان، ٥م، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الخطيب البغدادي، الإمام أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) – تاريخ بغداد، ط١، ٢٤م، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- نفسه – تاريخ بغداد، ١٨م، دار الكتاب العربي، بيروت.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) – وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ٩م، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ابن دريد، أبو بكر ممد بن الحسن الأزدي (٣٢١هـ/٩٣٣) – الديوان، تحقيق عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- دعبل الخزاعي، أبو علي دعبل بن علي الخزاعي (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م) – الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) – العبر في خبر من غبر، ٤م، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت.

- نفسه – دول الإسلام، ط٢، ٤م، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٤٤.

- القاضي الرشيد بن الزبير، أبو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف، ط١، حققه عن نسخة فريدة محمد حميد الله، قدّم له وراجعه صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٥٩.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) – العمدة في صناعة الشعر ونقده، ط٣، ٢م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤.

- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (٢٨٣هـ/٨٩٦م) – الديوان، تحقيق حسين نصّار، سيدة حامد، منير المدني، مطبعة دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

- نفسه ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩١م.

- ابن ساعد السنجاري، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم السنجاري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) – نخب الذخائر في أحوال الجواهر، عالم الكتب، بيروت.

- ابن الساعي، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م) – نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، حققه وعلّق عليه مصطفى جواد، دار المعارف.

- السري الرفاء، أبو الحسن السري بن أحمد الكندي الرفاء الموصلي (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م) – المحبوب، ط١، تحقيق حبيب الحسني، دار الرسالة، ١٩٨٢.

- سعيد بن حميد (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) – رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، جمع وتحقيق يونس السامرائي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧١ م.

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) – المستطرف من أخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه – تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادرن بيروت، ١٩٩٧.

- نفسه – نزهة الجلساء في اشعار النساء، ط٢، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨.

- الشابشتي، ابو الحسن بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) – الديارات، ط٢، تحقيق كوركيس عواد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، دار المعارف، بغداد، ١٩٦٦.

- ابن الشجري، هبة الله بن على بن حمزة العلوي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) – حماسة ابن الشجري، ٢م، تحقيق عبد المعين الملوحي، أسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠.

- الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م) – شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د.ت.

- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) – طيف الخيال، ط١، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مراجعة إبراهيم الإبياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، ١٩٦٢.

- نفسه – الشهاب في الشيب والشباب ، دار الرائد العربي ، ١٩٨٢ م.

- الصابي، أبو الحسن هلال بن محسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) – رسوم دار الخلافة، تحقيق مخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤.

- نفسه – الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨.

- الصابي، غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي (ت٤٨٠هـ/١٠٦٩م) – الهفوات النادرة، ط١، تحقيق صالح الأشتر، ١٩٦٧.

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) – الوافي في الوفيات ، ط٣ ، بإعتناء س . ديدرينغ ، فرانز شتايز ، فيسبادن ، ١٩٩١م.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) – أخبار الراضي بالله والمتقى لله أو تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢-٣٣٣، من كتاب الأوراق، ط٢، عنى بنشره ج. هيورث، د.ن، دار المسير، بيروت، ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه – أدب الكُتَّاب، شرح وتعليق احمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

- نفسه – أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، ط٢، عني بنشره ج. هيورث، د.ن، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

- نفسه – أخبار البحتري، ط٢، تحقيق صالح الأشتر، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤.

- ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) – عيار الشعر، تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٦.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) – تاريخ الأمم والملوك، ط٢، ٥م، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

- ابن الطقطقي، فخر الدين أبو جعفر محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) – الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠.

- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) – طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأسرار، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٥.

- العبد لكاني ، ابو محمد عبد الله بن محمد الزوزني – حماسة الظرفاء من اشعار المحدثين والقدماء ، تحقيق محمد عبد الجبار المعيبد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٣ .

- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٦هـ/١٢٨٦م) – تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته الأب انطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

- ابن عربي، محي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) – محاضرة الابرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، دار اليقظة، بيروت، ١٩٦٨.

- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) – تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأوائل او اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) – ديوان المعاني، عُنيت بنشره مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٢٩هـ.

- نفسه – الصناعتين، ط١، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢.

- علي بن الجهم، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر (ت٢٤٩هـ/٨٦٣م) – الديوان، ط٢، تحقيق خليل مردم، لجنة التراث العربي، بيروت، ١٩٤٩.

- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، ٤م، اشرف على تحقيق وخرّج أحاديثه عبد القادر الارناؤوط، حققه وعلّق عليه محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦.

- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م) – الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

- القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ / م) – الأمالي ، ٢ج ، ط٣ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٣ م .

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسليم (ت٢٧٦هـ/٢٨٩م) – الشعر والشعراء، ط١، دار إحياء العلوم، ١٩٨٤.

- القرطاجني، ابو الحسن حازم بن محمد حس (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط٣، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامين بيروت، ١٩٨٦.

- القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) – مآثر الإنافة في معالم الخلافة، اختار النصوص وعلّق عليها شوقي ابو خليل، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٨٥.

- ابن قنيتو، أبو محمد بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم سنبط قنيتو الأربلي (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) – خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيطرة الملوك، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م) – أخبار النساء، دار الحياة للنشر، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) – البداية والنهاية، ط٣، ١٤م، دقق أصوله وحققه أحمد ابو ملحم، علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- ماني الموسوس ، محمد بن القاسم المصري (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) – شعر ماني الموسوس ، جمع وتحقيق عادل العامل ، منشورات وزارة الثقافة ، سورية ، ١٩٨٨م.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م) – الكامل في اللغة والأدب والنحو، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد ابو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٦.

- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) – الديوان، ط٢، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٨.

- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) – معجم الشعراء، تصحيح وتعليق. ف. كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٣٥.

- نفسه – معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٦٥٧م) – التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، ١٩٣٨م.

- نفسه – مروج الذهب، ج١، ٤م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧.

- نفسه – مروج الذهب، ط١، ٤م، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١.

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) – تجارب الأمم، ٤م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

- ابن المعتز عبد الله بن محمد المعتز بالله (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) – طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء، تحقيق عباس إقبال، لوزاك وشركاه، لندن، ١٩٣٩.

- نفسه – الديوان، دار صادر، بيروت، ١٩٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه – الديوان، دراسة يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.

- نفسه – الديوان، صنعة الصولي، تصحيح لورين، مطبعة المعارف، استنبول، ١٩٤٩.

- نفسه – أشعار الأمير ابي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق محمد بديع شريف، دار المعارف، مصر، د.ت.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م) – لسان العرب ط٣، ١٨م، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربية، مؤسسة التاريخ العربية، بيروت، ١٩٩٣.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) – نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر الشهير بابن الوردي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) – تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

- الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م) – الموشى أو الظرف والظرفاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

- الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن علي الكتبي المعروف بالوطواط (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) – غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة، دار صعب، بيروت، ١٩٠٠.

- مجهول – العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ٤م، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

- المراجع الحديثة:

- آدم ميتز – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ م

- ابراهيم أنيس – موسيقى الشعر، ط٦، مكتبة لأنجلو المصرية، مصر، ١٩٨٨.

- إبراهيم السامرائي – لغة الشعر، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان. د.ت.

- أحمد أمين – ضحى الإسلام ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أحمد خالد – ابن الرومي ، سلسلة أدبية يشرف عليها الأستاذ عبد الوهاب بـــابكير ، نشـــر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د . ت .

- أحمد زكي – ابن المعتز العباسي ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٦٤ م.

- احمد زكي صفوت– جمهرة رسائل العرب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القـاهرة، ١٩٣٧.

- احمد علي محمد – النزعة العقلية في القصيدة العربية، ط١، قطري بن الفجاءة، الدوحـــة، ١٩٩٣.

- بشير يموت – شاعرات العرب ، ط١ ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٣٤ م .

- تامر سلوم – نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط١، دار الحوار للنشـــر والتوزيـــع، سوريا، ١٩٨٣.

- توفيق الفيل – القيم المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز، جامعة الكويـــت ١٩٨٤م.

- جمال بدران – الجواري والحظايا ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

- جين كلور فادية– الغزل عند العرب، ترجمة إبراهيـــم الكيلانـــي، ط٢، منشـــورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٨٥.

- حسن الحاج – أعلام في الشعر العباسي، ط١، المؤسســـة الجامعيـــة للدراســـات والنشـــر، بيروت، ١٩٩٣.

- حسين صبيح العلاق – الشعراء الكتاب في العراق ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، مكتبة التربية ، بغداد ، د . ت .

- حسين عطوان – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، دار الجيـــل، بـــيروت، ١٩٨٢.

- حمدان عبد المجيد الكبيسي – عصر الخليفة المقتدر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشـــرف ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٧٤ .

- نفسه – أسواق بغداد حتى بداية العصر البويـــهي ، منشـــورات وزارة الثقافـــة والفنـــون ، العراق، ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رشدي علي حسن – شعر الطبيعة في العصر العباسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار عمّار، عمان، ١٩٨٨م.

- روفون جست – ابن الرومي حياته وشعره، ترجمة حسين نصّار، د.ط، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

- زكية عمر العلي – التزييق والحلي في العصر العباسي، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٦.

- سعد شلبي – ابن المعتز صورة لعصره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

- سي – دي لويس – الصورة الشعرية ، ترجمة احمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ، سليمان حسن إبراهيم ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .

- شوقي ضيف – العصر العباسي الثاني، ط٨، دار المعارف، مصر، د.ت.

- نفسه – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠.

- نفسه – الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧م.

- صالح حسن اليظي – شاعرية البحتري، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٩٤.

- صلاح العبيدي – الملابس العربية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .

- صلاح الدين المنجد – جمال المرأة عند العرب، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٥٧.

- نفسه – بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، دار الحياة ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- طاهر لبيب – سوسيولوجية الغزل – الغزل العذري نموذجاً، ترجمة حافظ الجمالي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١.

- عبد البديع صقر – شاعرات العرب ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٦٧ .

- عبد الحميد جيده– مقدمة لقصيدة الغزل العربية، ط١، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٢.

- نفسه – قصيدة الهجاء عند ابن الرومي ، دار الشمال للطباعة والنشر ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه – الهجاء عند ابن الرومي ، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .

- عبد الحميد فايد – المرأة وأثرها في الحياة العربية ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ .

- عبد الرشيد عبد العزيز سالم– شعر الرثاء واستنهاض العزائم، ط١، وكالة المطبوعات عبد الله حرمي، الكويت، ١٩٨٢.

- عبد القادر الرباعي – الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، جامعة اليرموك ، إربد ، ١٩٨٠ .

- عبد اللطيف الراوي – المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع ، مكتبة النهضة ، العراق ، ١٩٧١.

- عز الدين إسماعيل – في اشعر العباسي ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

- العقاد، محمود عباس – ابن الرومي حياته وشعره، القاهرة، ١٩٥٧.

- علي هاشم – الأندية الأدبية في العصر العباسي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٧.

- على أبو زيد – بناء القصيدة في شعر الناشئ الأكبر ، دار المعارف ، ١٩٩٤م.

- عيسى سابا – المغنيات في الأدب العربي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٤ .

- غضوب خميس – عبد الله بن المعتز شاعراً ، دار الثقافة ، الدوحة ، ١٩٨٦ .

- فاروق عمر – محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٣.

- فايد العمروسي – الجواري المغنيات ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ .

- فهمي عبد الرزاق سعد – العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣ .

- قحطان رشيد التميمي – اتجاهات الهجاء في القرن الثالث، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٠.

- كرم البستاني – النساء العربيات، ط١، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٤.

- ماهر هلال – جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي عند العرب، ط١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد إبراهيم حَوَّر – رثاء الأم في الشعر العربي من ابن الرومي إلى ابي العلاء، جامعة الإمارات، أبو ظبي، ١٩٨٦م.

- محمد جميل بهيم – المرأة في حضارة العرب ، ط١ ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٦٢ .

- محمد عبد المنعم خفاجي – البناء الفني للقصيدة العربية، ط١، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٠.

- نفسه – التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي، ط١، المطبعة الفاروقية الحديثة، مصر، د.ت.

- نفسه – ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ط١ ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة، ١٩٤٩ .

- محمد زغلول سلاّم – الأدب في عصر العباسيين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٣.

- محمد النويهي – ثقافة الناقد الأدبي، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩.

- محمد نوفل – المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي ، ط١ ، مطبعة أوفست النصر ، نابلس ، -١٩٨ .

- محمد هدارة – اتجاهات الغزل في القرن الثاني ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨١ .

- مصطفى جواد – سيدات البلاط العباسي ، دار الفكر للجميع ، بيروت ، -١٩٦ .

- مصطفى الشكعة – الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ .

- مليحة رحمة الله – الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مطبعة الزهرة، بغداد، ١٩٧٠.

- منير الدين احمد – التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ، ترجمة وتلخيص وتعليق سامي الصقار ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨١ .

- مي يوسف خليف – الشعر النسائي في أدبنا القديم ، مكتبة غريب ، ١٩٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نصرت عبد الرحمن – الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٧٦ .

- نعمات أحمد فؤاد – المرأة في شعر البحتري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.

- وفاء علي – الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٨.

- يسري سلامة – الأدب في القرن الثالث الهجري ، ظواهر فنية واجتماعية عند شعرائه ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤ .

- يونس السامرائي – شعراء عباسيون ، ط١ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت، ١٩٩٠ .

- الرسائل الجامعية:

- أحمد جاسم حسين – شعر ابن المعتز العباسي (دراسة تحليلية حديثة) ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٩٦ .

- أروى الشوشي – شعر الشيب والشباب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع ، جامعة مؤتة ، الأردن ، ١٩٩٦ .

- اعتدال درويش – صورة المرأة في شعر البلاط البويهي ، الجامعة الأردنية .

- أمل نصير – الأسرة في الشعر العباسي حتى القرن الثالث ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٩٨٧.

- حسن ربابعة – الصورة الفنية في شعر البحتري ، الجامعة الأردنية ، الأردن ، ١٩٩٤ .

- راكان الصفدي، التطور والتجديد في شعر ابن الرومي، رسالة ماجستير، جامعة دمشق.

- سهيل خصاونة – الغزل بالسود في العصر العباسي ، الجامعة الأردنية ، الأردن ، ١٩٨٧.

- عامر نايف الهيتي – بغداد في شعر العصر العباسي الأول حتى سنة ٣٣٤هـ ، جامعة المستنصرية ، العراق ، ١٩٨٨.

- مصطفى البشير – الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء العباسيين حتى نهاية القرن الثالث ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ١٩٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- واجدة الأطرقجي، المرأة في الأدب العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ١٩٧٨.

- **الدوريات:**

- حسن الشماع ، صورة المرأة في غزل المتنبي وعلاقته بها ، المورد ، مج ٩ ، عدد ٣ ، ١٩٨٠ ، ص٨٠-٨٥.

- خليل شاكر – جهود الخليفة العباسي المهتدي في التصدي لسيطرة الترك ، آداب المستنصرية، مج١٥ ، سنة ١٩٨٧، ص٤٥٨- ٥٠٨ .

- السامرائي، يونس، ظاهرة المقطعات في الشعر العباسي، آداب المستنصرية، مجلد ٨، عدد٨، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٧٩-٣٣٩.

- نفسه ، أشعار أبي علي البصير ، المورد ، ج١ ، ١٩٧٢م ، ص١٤٩-١٧٣ .

- صالح، قاسم حسين، صورة المرأة في الشعر العربي، آفاق عربية، مجلد ١٣، عدد٢، بغداد، ١٩٨٨، ص٧٠-٧٩.

- صلاح الدين المنجد – جواهر الخلفاء العباسيين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج١٦، سنة ١٩٤١ ، ص ٥٥٣- ٥٦١ .

- ظمياء محمد عباس – نساء خطاطات ، المورد ، مج ١٥ ، عدد ٤ ، سنة ١٩٨٦ ، ص١٤٣- ١٤٤ .

- قحطان الحديثي – عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حياته وتحقيق ما بقي من شعره ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، عدد ٢٠ ، سنة ١٩٨٢ ، ص٥-٦٥.

- ماريوس كنار – بغداد في القرن الرابع الهجري ، ترجمة أكرم فاضل ، المورد ، مج٢ ، عدد ١-٤ ، سنة ١٩٧٣ ، ص١١- ٢٢ .

- محمد جمال الدين سرور – الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي ، مجلة العربي، عدد ٥٧ ، سنة ١٩٦٣ ، ص٢٩-٣٢ .

- مزهر السوداني – ابن بسام حياته وشعره ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، مج١٥ ، عدد٢، سنة ١٩٨٦ ، ص١٠٩-١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مليحة رحمة الله – دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني ، مجلـــة كليـــة الآداب ، جامعة بغداد ، مج٢ ، عدد ١٤ ، سنة ٧٠-٧١ ، ص٧٥٧-٧٧١ .

- نفسه – بناء المجتمع العراقي في العصر العباسي ، حولية كلية البنات ، جامعة عين شمس، عدد٢ ، سنة ١٩٧٠ ، ص١٨١-١٩٤. .

- ناجي، مجيد عبد الحميد، الصورة الشعرية، اقلام، مجلد ١٩، عدد٨، بغداد، ١٩٨٤، ص٤-١٤.

- ناصر حلاوة – مفهوم الصورة في الموروث العربي القديم ، الأقلام ، عدد٧ ، سنة ١٩٩٠، ص٢٩-٣١ .

- النجم، وديعة طه، أضواء على منزلة المرأة في العصر العباسي، عالم الفكـــر، مجلـــد ١٨، عدد١، الكويت، ١٩٨٧، ص٢٢١-٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس أعلام النساء

	اســـــم المـــــرأة	رقم الصفحة
١-	اختيار قهرمانة القاهر	٥
٢-	أم فيلولة	١٥
٣-	أم عيسى بنت إبراهيم الحربي	١٨،١٩
٤-	برتابنت الأوتاري	١١
٥-	بنت بدر مولى المعتضد	١٠
٦-	ثمل جارية شغب	٥،١٦
٧-	جوهرة زوجة أبي عبد الله البراثي	١٣،١٩
٨-	حبابة النائحة	١٦
٩-	حُسنْ جارية الإمام أحمد بن حنبل	١٣،٢٢
١٠-	خديجة أم محمد المحدثة	١٨
١١-	خشف الواضحية	٢٠
١٢-	خلاّفة زوجة المعتضد	١٥ ، ٢١
١٣-	خمرة زوجة المقتدر	١٧
١٤-	دريرة جارية المعتضد	٨٤ ، ٩١ ، ٩٣
١٥-	دستنوية زوجة المقتدر	١٥
١٦-	دولة جارية ابن المعتز	٢٢
١٧-	ريطة بنت العباس	٩
١٨-	زادمهر جارية ابن جمهور	٩ ، ٦٢
١٩-	زيدان القهرمانة	٣ ، ٥ ، ١٣
٢٠-	ستيتة بنت القاضى المحاملي	١٨ ، ١٩
٢١-	شاجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٢٠ ، ٨٩ ، ٩٠
٢٢-	شجاع أم المتوكل	٢ ، ٣١ ، ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	اســـــــم المـــــــرأة	رقم الصفحة
٢٣-	شجر جارية المتوكل	١٠
٢٤-	شغب أم المقتدر	٢ ، ٦ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧
٢٥-	عابدة الجهنية	١٥
٢٦-	عاتب	٩٣
٢٧-	العباسة بنت الفضل	١٨
٢٨-	عبدة بنت عبد الرحمن أم أحمد الأنصارية	١٩
٢٩-	علم قهرمانة المستكفي	٥
٣٠-	فاطمة بنت العباس بن محمد سليمان بـــن الأمـــام (أم موســـى قهرمانـــة المقتدر)	٥ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧
٣١-	فاطمة بنت عبد الرحمن بن صالح الحراني	١٨
٣٢-	فاطمة قهرمانة المقتدر	٥ ، ١٢ ، ١٧
٣٣-	فريدة الصغرى زوجة المتوكل	٢١
٣٤-	قبيحة أم المعتز	١ ، ٦ ، ١٣ ، ١٧ ، ٤٦
٣٥-	قطر الندى بنت خماروية	١١ ، ١٧
٣٦-	مخارق أم المستعين	١٦
٣٧-	مُنْية جارية خلاَّفة زوجة المعتضد	١٥ ، ٢٢
٣٨-	ناشب جارية المتوكل	٢١
٣٩-	نظم جارية شغب	٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس أعلام الشعراء

	اســـم الشاعـــــر	رقم الصفحة
١.	أحمد بن صالح القطربلي	٤٨
٢.	أحمد أبو العباس ثعلب	٣٦
٣.	أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي	٣٠
٤.	إبراهيم بن المدبر	٧٩،٧٨،٧١،٥٧
٥.	اسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب	٩٥،٩٣
٦.	أعرابية من بني سليم	١١٤
٧.	أم الشريف	١٣٢،١١٥،١١٤،١٩،٦
٨.	البحتري	٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨-٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٣-٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٧-٨٩ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠،١٦٦،١٦٧،١٦٩ ، ١٧٠-١٧٦
٩.	بدعة جارية عريب	١٦٤،٢١،
١٠.	ابن بسام (علي بن نصر بن منصور بن بسام)	١٤٦،٩٠،٨٣،٢٩
١١.	بنان شاعرة المتوكل	١٢٤،٤٦،٢٢
١٢.	ثمامة بنت عبد الله سوّار	١١٩،١٩
١٣.	جحظة البرمكي	١٤١،٣٧
١٤.	ابن جمهور (محمد بن الحسين بن جمهور القمّي)	٧٢،١٠
١٥.	الحسين بن الضحّاك	١٤٤،٨٧،٥٢
١٦.	خالد بن يزيد الكاتب	٧٧،٧٢،٦١،٣١،٢٩،٢٧
١٧.	الخبز أرزي (نصر بن أحمد البصري)	٥٨،٤٠،٣٣،٢٨
١٨.	خزامى جارية الضبط المغني	١٣٣،
١٩.	خنساء جارية هشام المكفوف	١١٨،٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	اســـم الشاعـــــر	رقم الصفحة
٢٠.	ابن داود الأصفهاني	٣٢،٦٠،٦٧،٧٠،١٤٩
٢١.	ابن دريد	٢٧،٣٤،٤٧،٥٥،٦٤،١٠٦
٢٢.	دعبل الخزاعي	٢٣،٨٦،٩١
٢٣.	أبي دلف العجلي	١١٣
٢٤.	الخليفة الراضي	٥١-٥٣،٥٥،٥٦،٥٨،٩٢،١٠٠،١٤٦،١٥٩،١٦٠
٢٥.	ابن الرومي	٢٥-٤٠ ، ٤٥-٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤-٦٦ ، ٦٨-٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩-٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٦- ١٥٩،١٦٢،١٦٥-١٦٧،١٧١- ١٧٤،١٧٥،١٧٧،١٧٨
٢٦.	زهراء الكلابية	١٩،١٢٠،١٢٣
٢٧.	سعدى من بني لخـــم	١٢٢
٢٨.	سعيد بن حميد	٧١،٧٤،١٥٠،١٧٩
٢٩.	ابو الشبل البرجمي (عاصم بن وهب البرجمي)	٤٢،٦٥،٨١
٣٠.	ابن طيفور	٣٢،٦٢،٧٠،١٢٥
٣١.	عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع	٤٠،٤٩،٦١
٣٢.	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	١٣،٢٠،٥٧،٦٠،٦٢،٦٩،٩٢،٩٦،٩٧،١٠٤،١٠٥ ١٤٥،١٤٩-١٥٠
٣٣.	أبو عثمان الناجم	٣٠،٤٨،٥٣،٥٤،٩٩،١٠٨،١٠٩
٣٤.	عريب	١٢،١٤،٢٠،٢١،٢٢،١١٦،١١٧،١٢٥،١٢٧،١٣٤
٣٥.	العطوي	١٤٣
٣٦.	علي بن إبراهيم الخزاعي	٦١
٣٧.	أبو علي البصير	٢٨،٤٥،٨٩،١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	اســـم الشاعســـر	رقم الصفحة
١-	علي بن الجهم	-٤٥،٣٩،٣١،٢٨ ٤٧،٥٩،٦٦،٩١،١٣٠،١٤٧،١٤٨،١٥٤،١٥٥، ١٦٧، ١٧٩،
٢-	علي بن عيسى	٨٩،٤
٣-	علي بن يحيى المنجم	١٥٢،١٢١،٥٣
٤-	عيسى بن فرخانشاه	١٠٧،٧٩
٥-	أبو العيناء (محمد بن القاسم)	٩٠٥،٩٢،٩
٦-	الفتح بن خاقان	١٤٠،٥٩
٧-	أبو فرعون الساسي	٩٣
٨-	فضل	١٩-٢١،١١٥،١١٧،١٢١،١٢٣،١٢٤،١٢٦- ١٢٨،١٣١،١٦٧
٩-	ابن أبي فنن (أحمد بن أبي فنن)	٣٤
١٠-	ماني الموسوس	٤٨،٥٨
١١-	المتنبي	٢٥،٣٢،٤٤،٤٧
١٢-	المتوكل	١ ، ٣ ، ٩ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢٧،٦٧،٧١،
١٣-	محبوبة	١٢،١٢٠،١٢٤،١٣٠،١٣١،١٧٨
١٤-	محمد بن أحمد بن أبي مرة	٦٠
١٥-	محمد بن صالح العلوي	٣١،٤٣،٥٨،٩٠
١٦-	محمد بن عبد الله بن طاهر	٣٦،٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	اســـم الشاعـــــر	رقم الصفحة
١٧-	ابن المعتز	١٢ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨-٤٠ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧-٥٠ ، ٥٣-٥٧ ، ٥٩-٦٣ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٤-٨٦ ، ٨٩-٩١ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ١٢٣-١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١-١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧،١٥٨،١٥٩،١٦٠،١٦٢،١٦٥،١٧٠،١٧٦
١٨-	المعتضد	٢ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢١ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠
١٩-	المعتمد	٢٠،٥١،١٣٦
٢٠-	المكتفي	٦٠،٦٩
٢١-	الناشئ (عبد الله بن شرشير)	٦٦،١٤٢،١٤٥
٢٢-	نبت شاعرة المعتضد	٢٠،١٢٥
٢٣-	هارون بن علي المنجم	٤١،١٥٥
٢٤-	هند الشاطبية جارية الفتح بن خاقان	١١٦،١٢١
٢٥-	يحيى بن علي المنجم	١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The Image of the woman in the verse the second Abbasi era in Iraq.

Prepared by : Wadha Moh'd Awad Al Halahla,
Supervision of Dr. Ismat Gosha .

This study has dealt with the image of the woman in the poetry of the (second) Abbasi era in Iraq in order to disclose the feat of that picture and to clarify its defined signposts . it also displayed the participation of woman in the political life, the intercessions and deeds achieved by the caliphs wives and housekeepers. In addition to what the economical life witnessed of her accomplishments and deeds . Also what variety of literature and singing that she displayed in the cultural life, beside the changes that she maids influenced on the social life .

In chapter (II) , induced what was said about the woman of romantic verse that described her sensual beauty in a comprehensive picture that was accomplished by them , beside on an abstract one in which the poets turned towards the relation of love with the woman and what rotates in its orbit of merits and virtues they admired , Beside the refusal, the separation, the blame, the coolness and dissertation of the beloved because of jealousy of the slanders and calumniators, further more it also described what they manipulated to express their love by messages and gifts .

In chapter (II) I discussed her picture in the other types of verse whereas she shared the poet his wish for achieving his demands from the one he is praising, also she was a part of his proudness , besides he lamented and condoled her death, congratulated her marriage and delivery. She was his implement to offend and defame his foe by showing her abomination and nastiness of her singing . she was the source of his blame and censure, his method of complaining his poverty and the severity of his livelihood, his pain, his sorrow , and the cause of his lamentation when she dies.

In chapter (III) I lived her world as a sensitive poet who was admired by all, and acquired the care and attention of the Caliphs, so she left an obvious impression on the society as in flourishing literature and the poetry movements by arising the spirit of competition which was flourished in seminars and councils of the caliphs . And what was left behind of massage , debates and poems that overcomed the most famous poets and literarymen of the era .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In chapter (IV) I thoroughly fulfilled the study of poetry from the artistic point of what she had composed or was been composed for her .

I discussed the language , its vocabulary , meanings , pronunciation the style , its forms and the impact of the rational life on it .

I ceased to look with an inspective eye where the magnificent images and concepts , the spacious and powerful imaginations . I displayed how the innate and the inborn corresponded to the use of rhetoric , assonance and figurative language .

Also I pointed out the out standing and creative sides in the music , or the rhythm of verse , and the structure of the poem or lyric itself .

I concluded from this study how the concept of the ideal woman is very important , and how to look for her in the beings of the universe and nature . However poetry was unable to convey all of the concepts and images of the woman and her life circumstances .

٤٩٤٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit